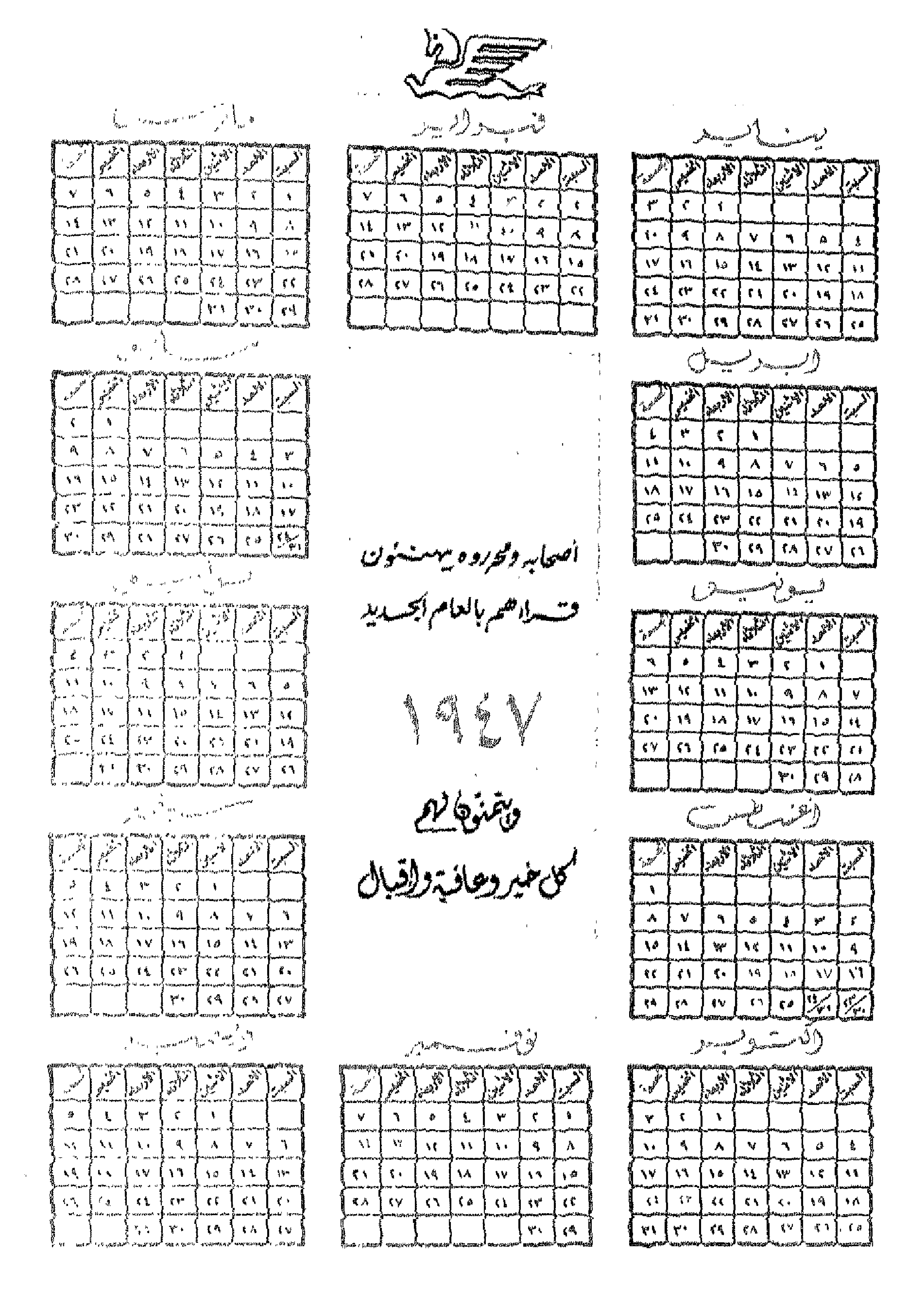
المختار من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

يناير ١٩٤٧



يناير

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
				١	٢	٣
٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤
٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١

فبراير

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١
٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨

مارس

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١
٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨
٢٩	٣٠	٣١				

ابريل

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
			١	٢	٣	٤
٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١
١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥
٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠		

مايو

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
					١	٢
٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦
١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣
٢٤/٣١	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠

أصحابه ومحرروه يهنئون

قراءهم بالعام الجديد

١٩٤٧

ويتمنون لهم

كل خير وعافية وإقبال

يونيه

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
	١	٢	٣	٤	٥	٦
٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣
١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠
٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧
٢٨	٢٩	٣٠				

يوليه

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
			١	٢	٣	٤
٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١
١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥
٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	

أغسطس

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
						١
٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨
٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢
٢٣/٣٠	٢٤/٣١	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩

سبتمبر

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
		١	٢	٣	٤	٥
٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩
٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦
٢٧	٢٨	٢٩	٣٠			

اكتوبر

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
				١	٢	٣
٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤
٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١

نوفمبر

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١
٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨
٢٩	٣٠					

ديسمبر

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
		١	٢	٣	٤	٥
٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩
٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦
٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١		

سنة بعة
المختار من ريدرز دايجست
المجلد ٧
العدد ٤١
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
يناير ١٩٤٧

في حديقة صينية

الدكتور فردريك لوميس • ملخصة عن "الرابطة التي بيننا"

> متع نفسك ، فقد تأخرت أكثر مما تظن

في السنوات القليلة الماضية دارت الكلمة التي أوحت بهذه القصة الصغيرة على الألسنة وجرت بها الأقلام، وكانت إلى حد ما ، موضوع قصيدة نظمها روبرت سيرفس منذ بضع سنوات ، واتخذت في سنة ١٩٣٨ عنواناً لكتاب وضعه ماكس ليرنر عن أخطار الديمقراطية. ولست أدرى هل ابتكرها روبرت سيرفس، أو رآها غيره وقرأها في حديقة صينية ، أو أنها كغيرها من الحكم والأمثال الصينية تسربت إلينا في حياتنا بوسائل أخرى .

وقد رويت مراراً قصة رسالة تلقيتها منذ سنوات ، لأن وقعها في نفسي كان عميقاً ، وما رويتها قط وأنا على ظهر سفن في البحار القصية ، أو إلى جانب الموقد في مكان أقرب إلى وطني، إلا وجدت من حولي يستجيبون لها مفكرين متدبرين .

وهذه هي الرسالة :

« بكين — الصين .

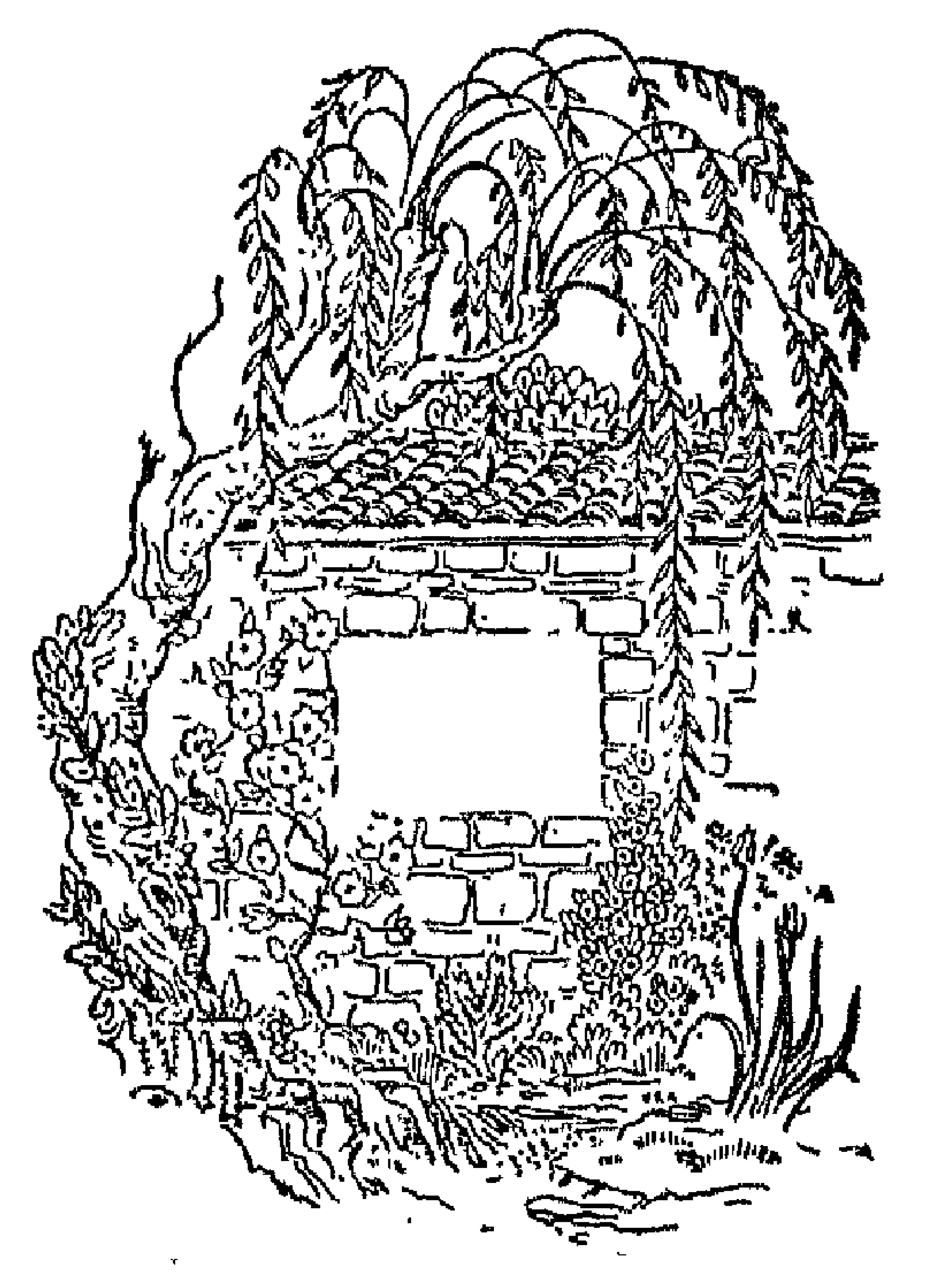
« عزيزي الدكتور

« أرجو أن لا يدهشك كثيراً أن تتلقى مني رسالة ، وقد وقعتها باسمي الأول وحده لأن لقبي كلقبك .

« وأحسبك لن تتذكرني. وقد كنت قبل عامين في المستشفى الذي أنت فيه تحت رعاية طبيب آخر، ومات طفلي يوم ولد. وفي اليوم نفسه زارني طبيبي ليراني، ولما هم بالانصراف قال: « على فكرة ، هنا طبيب اسمه كاسمك ،

وقد لاحظ اسمك على اللوحة وسألنى عنك ، وقال إنه يود أن يراك فقد تكونين من قريباته . فقلت له إن طفلك مات ، وإنى لا أظن أنك ترغبين فى رؤية أحد ، على أنه لا اعتراض لى على أن يراك » .

« وبعد قليل جئت ، فوضعت كفك على ذراعى وجلست بجانب سريرى لحظة ، ولم تقل شيئاً يذكر ولكنه كان فى عينيك وصوتك حنان ، فسرعان ما شعرت أنى أحسن . وقد لاحظت وأنت جالس عندى أنك تبدو متعباً وأن الغضون التى فى وجهك عميقة .



ولم أرك بعد ذلك أبداً ، ولكن الممرضات قلن لى إنك لا تكاد تبرح المستشفى ليلا أو نهاراً .

« وفى عصر هذا اليوم كنت ضيفة فى بيت صينى جميل هنا فى بكين ، وحول الحديقة سور عالٍ ، وعلى أحد الجوانب لوح من النحاس طوله نحو قدمين تحف به أزهار بيض وحمر متعانقة ، فرجوت من بعضهم أن يترجم لى ما على اللوح من كتابة صينية فقال :

منع نفسك فقد تأخرت أكثر مما تظن

« فشرعت أفكر فى ذلك ، وكنت قد زهدت فى الحمل مرة أخرى لأنى كنت لا أزال حزينة على طفلى الذى فقدته ، ولكن عزمى استقر فى تلك اللحظة على أن لا أنتظر أكثر مما انتظرت ، إذ من يدرى ؟ لعل الوقت تأخر أكثر مما أظن أنا أيضاً .

« ولما كنت أفكر فى طفلى فقد فكرت فيك وفى تعبك وفى تلك الغضون التى فى وجهك ، وفى لحظة العطف التى أوليتنيها حين كنت أحوج ما أكون إليها . ولست أدرى ما عمرك ؟ ولكنى واثقة أنه فى مثل سن أبى . وأنا أعلم أن الدقائق القليلة التى قضيتها معى ، لا قيمة لها عندك بالطبع ، ولكنها كانت عظيمة القيمة لامرأة كانت فى غاية البؤس .

« ولهذا أجترىء على الظن بأن أجازيك معروفاً بمعروف ، وعسى أن يكون الوقت ، فيما يتعلق بك ، قد تأخر أكثر مما تظن . وأرجو أن تسامحنى ، ولكن حين ينتهى

عملك يوم تتلقى رسالتى ، أرجو أن تقعد وحدك هادئاً وتفكر فى هذا » .

[مرجريت]

وأنا فى العادة يستغرقنى النوم إذا لم يزعجنى التلفون ، ولكنى فى تلك الليلة استيقظت عدة مرات وقد تصورت ذلك اللوح النحاسى فى الحديقة الصينية . وقد حدثت نفسى بأنى رجل سخيف تقلقه رسالة من امرأة لا يستطيع أن يتذكرها . ونحيت الموضوع كله عن ذهنى ، غير أنى ألفيتنى — قبل أن أفطن إلى ذلك — أقول لنفسى مرة أخرى : « قد يكون الوقت تأخر أكثر مما تظن . فلماذا لا تصنع شيئاً ؟ »

وقصدت فى صباح اليوم التالى إلى مكتبى وقلت للقوم إنى سأقوم برحلة تستغرق ثلاثة شهور .

ومن التجارب المفيدة لأى امرىء يظن أنه ذو شأن ولا غنى عنه فى عمله ، أن يتركه بضعة شهور . ففى المرة الأولى التى قمت فيها برحلة طويلة منذ بضع سنوات قبل أن أتلقى هذه الرسالة ، كبر فى وهمى أن كل شىء سينهار ، فلما عدت وجدت أن عدد المرضى لم يزد ولم ينقص ، وأن كل مريض شفى بسرعة أو بأسرع مما كان يشفى فى عهدى ، وأن معظم مرضاى لم يعرفوا أنى غبت عنهم . وإنه لما يذل النفس أن يجد المرء أن مكانه يسد سداً تاماً وبسرعة ، ولكنه درس نافع .

واتصلت بالتلفون بكولونيل متقاعد اسمه سورتى كان أوثق أصدقائى صلة بى ، ودعوته إلى مكتبى ، فلما جاء قلت له إنى أريد منه أن يعود إلى بيته ويعد حقيبته ، ويرافقنى إلى أمريكا الجنوبية . فقال إن هذا كان بوده ، ولكن هناك أشياء كثيرة تحتاج إلى تعهده لها فى الشهور القليلة المقبلة ، فمن المستحيل عليه أن يغيب أسبوعاً .

فناولت عليه الرسالة ، فهز رأسه وقال : « لا أستطيع أن أذهب . بالطبع أعنى ذلك ، ولكنى ما زلت منذ أسابيع أنتظر أن أعقد صفقة . وإنى لآسف يا صديقى ، ولكن ربما استطعت يوماً ما .. يوماً ما .. » وكان يتكلم ببطء شديد . « ما هذا الذى

عالج الدكتور فردريك لوميس طب الولادة وأمراض النساء خلال إحدى وعشرين سنة ، ويوم نفض من يديه أدوات الطب ، حمل القلم ، فألف كتاب : « عيادة الطبيب » (وقد نشر المختار منه فصل : « لمن الحكم » ، فى أكتوبر ١٩٤٤ ص ٦٤) وكتاب : « الرابطة التى بيننا » (وقد نشر المختار منه فصل : « عملية على غير استعداد » فى فبراير ١٩٤٤ ص ٣٩) وأنشأ مقالات كثيرة فذة فيما تنطوى عليه من فهم للنفس الإنسانية وأسرارها ، ولا ريب فى أن قراء المختار يذكرون ولا ينسون فصل « وفاء كامل » (المختار يونيو ١٩٤٦ ص ٦٤)

قالته تلك المرأة ؟ الوقت تأخر أكثر مما تظن ؟ حسن . . »

وأمسك برهة ، ولم يتكلم أحـد منا ، وكنت أكاد أرى كفتي الميزان تضطربان ، وهو يضع في إحـداهما مطالب الحاضر ، وفي الأخرى ما بقي لكل منا في الحياة من أعوام قليلة شيئاً ما ، على نحو ما حدث لي في الليلة الماضية .

وأخيراً تكلم : « لقد صبرت ثلاثة شهور على هؤلاء الناس ليستقرّ رأيهم على شيء ، ولن أنتظر أكثر مما انتظرت، وعليهم الآن أن ينتظروني . متى تريد أن تسافر ؟ »

وذهبنا إلى أمريكا الجنوبيـة ، وقضينا أيامنا في البحر على سفينة مريحة ، وأحسسنا أن أعباءنا تنحط عن كواهلنا مع الأميال التي نقطعها ، وأن أبداننا المتعبة تبنيها الرياح التي تهب على المحيط الهادي من الصين ، ثم ألفينا أنفسنا في إحدى المدن الكبيرة بأمريكا الجنوبية . وكان من حسن الحظ أن احتفى بنا أحد كبار القوم في البـلاد ، وهو رجل أنشأ مصانع عظيمة للصلب ، تتسع وتنمو بسرعة .

وفي خلال هذه الزيارة سأله شورلي : هل يلعب الجولف ؟ فقال الرجل : « نعم يا سنيور ألعبه قليلا ، وبودي أن أكثر من لعبه ، وزوجتي تستجمّ في الولايات المتحدة مع الأولاد ، وبودي أن ألحق بهم ، وعندي هنا خيول جميـلة أتمنى أن أركبها ولكني لا أستطيع أن أفعل شيئاً من هذا كله لكثرة أعمالي ، وقد بلغت الخامسة والخمسين ، وبعد خمس سـنوات أخرى سأكف عن العمل . وصحيح أني قلت مثل هـذا قبل خمس سنوات ، ولكني لم أكن أدرك يومئذ مبلغ اتساع نطاق العمل . ونحن نبني الآن مصنعاً جديداً ونصنع صلباً لا عهد لأمريكا الجنوبيـة به ، فلست أستطيع أن أدع العمل ولو بعد الظهر لألعب الجولف . وأحسب أن ساعي مكتبي أكثر مني فراغاً » .

فقلت : « هل تعرف يا سنيور ماذا جاء بي إلى أمريكا الجنوبية ؟ »

فقال : « لأنك كنت قليل العمـل ، فلديك من الوقت والمال ما يسمح بذلك » .

قلت : « كلا ! فقد كان عملي كثيراً ، ولم يكن عنـدي من الوقت أو المال فوق الكفاية ، ونحن جالسان هنا في شرفتك الجميلة، لأنه حدث قبل بضعة أسابيع أن فتاة لا أستطيع أن أعرفها إذا رأيتها نظرت إلى لوح نحاسي على سور حديقـة صينية في مدينة بكين في قلب الصين » .

ورويت له القصة ، فاسـتعاد ، كما فعله شورلي ، عبارة : « متع نفسك ، فإن الوقت

تأخر أكثر مما تظن» ،فبدا بعد ذلك مشغول الفكر غير أنه ظل يؤدى واجب الضيافة بعناية ودقة .

وفى صباح اليوم التالى قابلته فى رواق الفندق،فقال : « انتظرنى لحظة يا دكتور . لقد اضطرب نومى أمس . أو ليس عجيباً أن يستطيع رجل تعرفه مصادفة أن يغير مجرى حياة حافلة بالأعمال . ولقد فكرت طويلا وكددت رأسى مذ لاقيتك أمس ، وأبرقت إلى زوجتى أقول إنى ذاهب إليها . وسأتشرف بزيارتك وأنا هناك » .

لقد أضيفت عدة سنوات إلى متوسط حياة الناس ، ولكن مصير كل فرد لا يزال بيد القدر . وقد عاش خير الناس لغيرهم على الأكثر . ويبدو أن هذا هو الوقت الملائم لتذكيرهم بأنه ستمدّ فى أعمارهم سنوات أخرى أكثر وأسعد ، ليسدوا الخير للغير ، إذا بدأوا يعملون شيئاً لأنفسهم — أن يرحلوا أو يفعلوا ما كانوا يتطلعون إليه من زمان طويل ، وأن يتيحوا لمن يحبونهم أن يروهم ينعمون ببعض الجزاء الذى استحقوه، وأن يحلوا بعض التأمل محلّ التنافس .

وقد ذهب « شورتى » الذى ذكرته فى هذه القصة ، والذى كان منذ بضعة أسابيع قوياً صحيحاً ، ذهب لينال جزاءه عند ربّه . وقضيت الساعات الأخيرة بجانب سريره ، وكان يقول ويكرر : « فريد، إنى سعيد لأننا ذهبنا إلى أمريكا الجنوبية معاً . وأحمد الله على أننا لم ننتظر أكثر مما ينبغى » .

أصدق أصدقائه

دفع الكلب باب المقهى ففتحه وتركه مفتوحا حتى دخل صاحبه الشاب ، ثم قاده إلى مقعد . فلما جلس فيه أقعى عند قدميه ، فنظر روّاد المقهى نظرة العطف إلى الشاب ، لظنهم أنه أعمى ، ثم دهشوا ساعة رأوه يفتح صحيفة الصباح ويلتفت إلى جاره ويقول : « يبدو أن الأخبار صارت أحسن » .

ولاحظ الشاب دهشة جاره فقال : « كنت أعمى ، وظل كلبى هذا يقودنى من مكان إلى مكان فى هذه المدينة . فلما ارتد إلىّ بصرى حاولت أن أستغنى عنه ، فصار يأبى أن يأكل ، وجعل يتماوت . فلذلك أحاول الآن أن أفطمه عن عمله القديم رويداً رويداً . وقد أصبح يكتفى الآن بأن يأتى بى إلى هذا المقهى لأشرب قهوة الصباح » .

[تشارلز مولر]

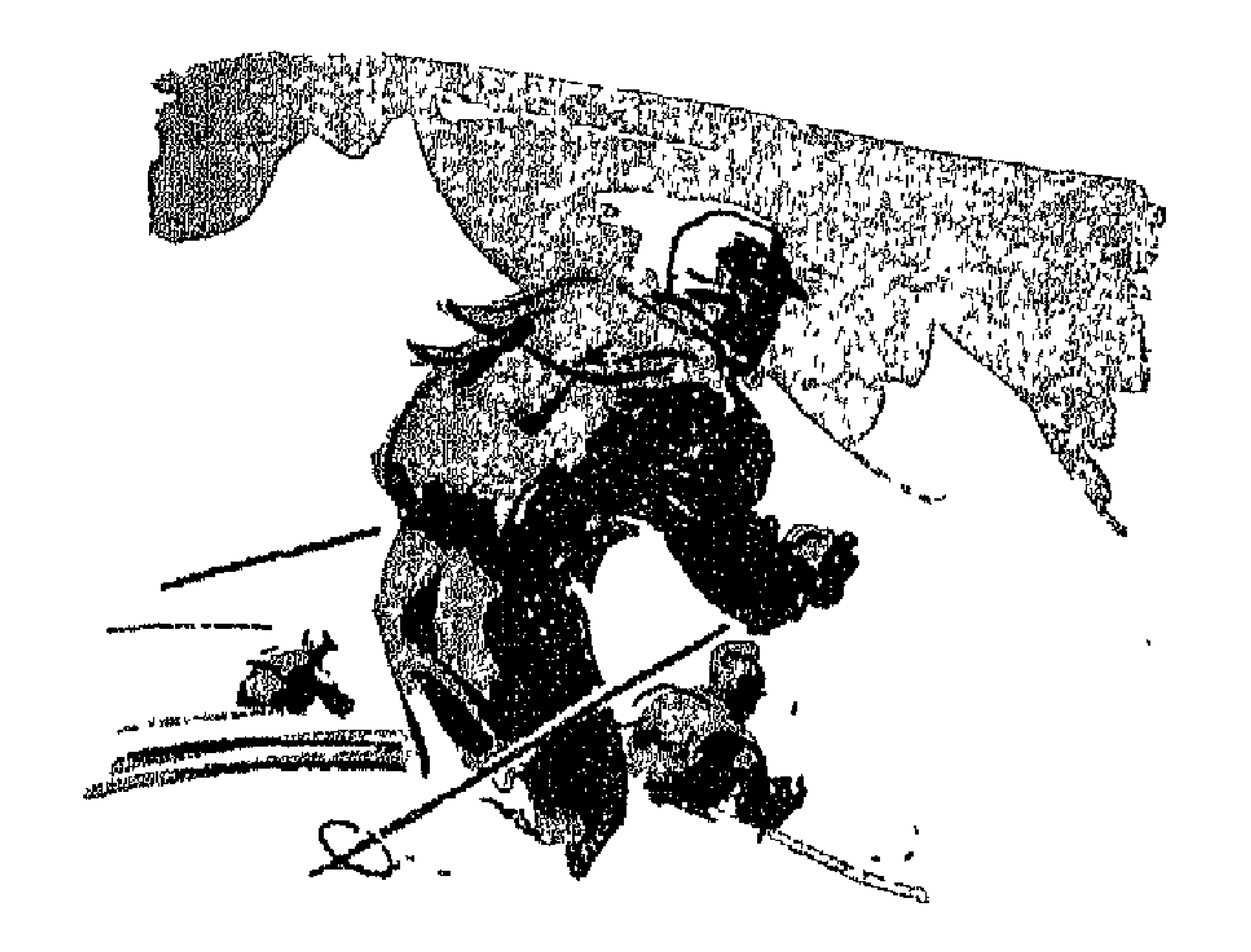
من أفواه الرجال أنفسهم أخذ الكاتب تفاصيل هذه المهمة الحربية الرائعة التي يقف لها الشعر ويقصر عنها الخيال .

أحد عشر رجلا
وقنبلة النازى الذرية

فردريك سوندرن
مختصرة من صحيفة "مينابوليس تربيون"

في صباح يوم من شهر فبراير سنة ١٩٤٤ كانت السفينة « هايدرو » ، موقرة بحملها تشق عباب الأمواج المتلاطمة في بحيرة تنسيو النرويجية ، وإذا هدير انفجار يدمدم في جوفها ، فمالت السفينة وارتجت ، ثم وقفت ، وما هي إلا خمس دقائق حتى غرقت ، وغرق معها أمل هتلر بأن يكون أول إنسان يملك قنبلة ذرية . ومن وراء ذلك الانفجار تجد قصة عمل من أعجب الأعمال الحربية السرية التي تمت في الحرب وأروعها .

فمنذ شهر أبريل ١٩٤٠ تسامع العلماء أن معهد القيصر ولهلم في برلين يجرى تجارب واسعة في تحطيم الذرة . وما كادت أمريكا وحلفاؤها تبدأ في إنفاذ مشروع القنبلة الذرية في سنة ١٩٤٢ حتى روى قسم المخابرات في وزارة الحرب الاقتصادية البريطانية خبراً يهز النفوس هزًّا : لقد أصدر الألمان أمراً إلى المصنع الكهربي الكيميائي نورسك هايدرو — وهو نرويجي



ويعد أكبر مصنع من نوعه في العالم — بأن يزيد مقدار ماينتجه من أوكسيد الدوتيريوم (الماء الثقيل) من ٣٠٠٠ رطل في السنة إلى ١٠٫٠٠٠ رطل . وهذا أمر لا يدل إلا على شيء واحد مخيف ، فقد كشف علماء الطبيعة من الحلفاء أن الماء الثقيل خير مادة « ملطّفة » تصلح في تحضير يورانيوم ٢٣٥ . ولما كان الحلفاء لا يملكون قدراً كافياً من الماء الثقيل ، ولما كان إعداده الدقيق يستغرق سنة ونصف سنة ، فقد قرر علماء الحلفاء أن يستبدلوا الجرافيت مكان الماء الثقيل في هذا العمل ، ووفقوا فيما أرادوا ، ولكن الخبر الذي نقله الإنجليز يدلُّ على أن معهد القيصر ولهلم قد قطع شوطاً كبيراً في تجاربه .

فقرّرت وزارة الحرب البريطانية أن تقدم مهمة شل المصنع النرويجي ـ نورسك هايدرو ـ وتدمير المخزون فيه من الماء الثقيل، على كل مهمة أخرى من مهام الحرب. وقررت هيئة أركان سلاح الطيران أن الهجوم بالقاذفات على هذا الهدف الدقيق في مكان تحيط به الجبال الشوامخ ذوات الضروس والأنياب، ليس عملا ممكناً بالطائرات التي كانت متاحة لهم يومئذ. فهذا عمل لا يتولاه إلا الفدائيون.

وكانت جماعة من رجال المقاومة الخفية في النرويج قد استولت قبيل ذلك على سفينة من سفن السواحل تدعى « جالتيسوند »، وجازت بها حقول الألغام، وتجنبت مخاطر الغواصات في البحر الشمالي حتى وصلت بها إلى أبردين في أسكتلندة. وكان أحد الرجال خبيراً في الصناعة الكهربية الكيمياوية، وكان قد نظم تنظيما دقيقاً مجدياً جماعات من أهل المقاومة الخفية في النرويج.

فدعي أينار هذا إلى قيادة القوات الخاصة في لندن. فهذا المهندس الذكي المفتول العضل، بارع ماهر في الانزلاق، ورام بالنار سديد المرمى، وهما صفتان لهما شأن عظيم في المهمة التي ستوكل إليه. وقد كان رابط الجأش لا يثيره مثير، وفي كل حركة من حركاته عزم لا يتزعزع، وأهم من ذلك كله أنه قد قضى معظم حياته على مقربة من مصنع نورسك هايدرو، وله شقيق وأصدقاء يتولون في المصنع مناصب كبيرة.

لقي أينار في قيادة القوات الخاصة الدكتور ليف ترونستاد، المهندس الذي وضع تصميم مصنع الماء الثقيل لشركة نورسك هايدرو، وهو الذي سار بإنتاج الماء الثقيل حتى صار واسع النطاق، وكان قبل الحرب صديقا حميما لطائفة كبيرة من علماء نواة الذرة من الألمان، فما يعرفه عن تقدم الألمان في صنع القنبلة الذرية أتمّ وأدق مما يعرفه أي رجل سواه من غير الألمان. وفي أواخر سنة ١٩٤١ تولى رجال المقاومة الخفية النرويجية تهريب ترونستاد إلى السويد، ثم نقل بالطائرة إلى لندن.

وبعد حديث مع ترونستاد سئل أينار: « أتظن أن تعطيل مصنع نورسك هايدرو مستطاع بأسلوب من أساليب التخريب ؟ » فبسط الموقف بسطاً شافياً على دأب أهل إسكندناوة، فالمصنع سبعة أدوار، متين البناء مشيّد بالصلب والأبرق، وهو قائم مع مصنع الطاقة المائية الكهربية على شفا هوّة عمقها ألف قدم، ويتولى حراسة المصنع وجميع مداخله ثلة من صفوة الجنود الألمان، والجبال من حواليه تكاد تكون ممتنعة على العابر، فتدميره عمل صعب حقاً.

قال : « ولكننا سنحاول بلا ريب » .

نقل أينار إلى مكان تدريب القوات الخاصة. ولما كان عاملا لاسلكياً من الهواة، فسرعان ما تعلم أن يدير محطة لاسلكية قوية ، تذيع وتلتقط ، وتستطيع أن تضعها في حقيبتك . وتعلم جميع الرموز اللازمة للتخاطب ، ودرب على القفز بالمظلة من طائرة . ثم ألقيت إليه أوامره الأخيرة ، فقد كان عليه أن يعود إلى النرويج ، ويجمع كل نتفة من أخبار نورسك هايدرو ويرسلها إلى لندن ، ثم عليه أن ينتظر وصول الجماعة التي تعززه .

وفي ليلة قمراء ألقي أينار من قاذفة بريطانية إلى الجبال الواقعة على عشرين ميلا من مسقط رأسه . فألم نفسه وهو « يشعر بشعور غريب في بطنه » على حد قوله ، ثم سار منزلقاً على الثلج إلى بيته ، فأفطر مع أمه قبل أن يتنفس الصباح . قال : « وقد قلت لأهلي إنني كنت في رحلة انزلاق على الثلج ، وقد ظللت أياماً يستبد بي الريب ، ولكن من الواضح أن أحداً لم يعلم أنني اشتركت في رحلة جالتيسوند » .

واستعان أينار بأخيه على الظفر بعمل في تشييد السد الجديد الذي أقيم لزيادة المستقطر من الماء الثقيل . وقد عني أدق عناية بتنظيم أصدق أصدقائه ، حتى يستطيع أن يتلقى بواسطتهم أخبار المصنع . وكان يبرق الأخبار إلى مقر هيئة المخابرات البريطانية .

وقد روى أينار أن ما يصنع من أوكسيد الدوتيريوم (الماء الثقيل) يزداد ازدياداً مطرداً سريعاً ، وأن مقادير منه ترسل كل شهر إلى ألمانيا . فأمرت وزارة الحرب قيادة الأعمال المشتركة، أن تهيء هجوماً يشنه الفدائيون في الحال على نورسك هايدرو .

أما قيادة الأعمال الحربية المشتركة فقد واجهت يومئذ مهمة من أشق المهام التي وكلت إليها ، برغم ما لها من تجربة سابقة في أعمال حربية أدنى إلى الانتحار منها إلى الحرب . فهذه جبال مسنونة الأنياب ، تهب عليها تيارات عنيفة من رياح لا يعرف لها مهب أو موعد ، فتجعل النرويج أفظع بلد في أوربة يتعسر الهجوم عليه بجنود المظلات أو بالطائرات السابحات . ولكن معونة ترونستاد الذي أشرف على صنع نماذج دقيقة للهدف والمصانع القائمة في دائرته ، وتقارير أينار المحكمة ، هيأت لقيادة الأعمال المشتركة أن تنظم أمر المهمة المطلوبة وسميت « مهمة سوالو » أي السنونو .

وكانت الخطة أن يهبط أربعة من خيرة الرجال ، وكانوا جميعاً من أهل المنطقة، ولهم براعة في الانزلاق على الثلج ، فيعززون

أينار ، ويؤلفون لجنة لاستقبال الفدائيين البريطانيين حين يشنون هجومهم محمولين على أجنحة طائرة . وقد ذهبت القاذفة بهؤلاء الفدائيين مرتين إلى النرويج ، وتأهبوا للوثوب منها ولكنها عادت أدراجها بهم ، لأن الضباب كان كثيفاً لا يسهل أمر الوثوب . وأخيراً حشدوا فى طائرتهم على حين فجأة فى مساء يوم من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٢ ، وبعد بضع ساعات وثبوا منها فى جوف الليل . فلما رصدوا موقعهم فى الصباح التالى ألفوا أنفسهم على جانب جبل وعر ، يبعد أكثر من مئة ميل عن منطقة الهدف . وقد ظلوا يومين حتى جمعوا معداتهم التى ألقيت وراءهم فى أوعية معلقة بمظلات .

وفى خلال الأسبوعين التاليين قام الفدائيون من رجال « السنونو » برحلة من أروع رحلات الحرب ، فقد كانوا على ٤٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وكانت حرارة الجو تحت الصفر ، فما كان فى وسع أحد منهم أن يحمل على ظهره كيساً من المعدات يزيد وزنه على ستين رطلا ، أى أن كل واحد منهم كان عليه أن يروح ويغدو مسافة معينة ثلاث مرات كل يوم لينقل معداته التى تزن ١٢٠ رطلا . وكانت جراية كل منهم كل يوم قطعة من الجبن ، وحفنة من العصيدة المجففة ، وحفنة من الدقيق ، وأربع قطع من البسكويت .

وأخيراً ، فى اليوم التاسع من نوفمبر ، تلقى الضباط الذين استبد بهم القلق فى مقر قيادة الأعمال المشتركة بإنجلترا ، تلك الإشارة الرمزية المتفق عليها من رجال « السنونو » . فقد كانوا يومئذ فى مكان قريب من نورسك هايدرو ، وقد اتصلوا بأينار ، وقد تأهبوا لكى يرشدوا بأشعة الراديو ومصابيح هبوط الطائرات ، فرقة التخريب التى ينتظرون وصولها على طائرة من الساحبات .

وفى ١٩ نوفمبر حلقت من مطار فى إنجلترا قاذفتان من طراز هاليفاكس ، وكانت كل منهما تقطر طائرة من الساحبات مثقلة بالجند . ولم تكد تنقضى ساعات حتى أبرق أحد الوكلاء من النرويج بأن القاذفتين والساحبتين قد سقطتا وتحطمتا وقتل كل من فيهما أو أسر .

ثم تلا ذلك نبأ أسوأ وقعاً . فقد مضى ضابط ألمانى من ضباط المخابرات العسكرية للبحث فى حطام الطائرات ، فوجد خريطة قد رسم فيها خط أحمر تحت اسم فيمورك ، وهو اسم البلدة التى يقوم فيها مصنع الماء الثقيل ، فهرع جوزيف تربوفن حاكم النرويج الألمانى والجنرال فون فالكنهورست قائد القوات الألمانية ، إلى فيمورك ليفحصا

أسباب الدفاع عن المصنع بأنفسهما . وجعل رجال الحرس الألمان ينقبون فى الجبيرة كلها ، واعتقلوا كل إنسان تقع عليه أقل شبهة فى أنه من الموالين للبريطانيين ، ولكنهم لم يقعوا على أحد من رجال « السنونو » .

أما فى لندن فقد جعلت قيادة الأعمال المشتركة تلح فى تأهبها لإعادة الكرة . وقد تخلت عن فكرة شن الهجوم بجنود تحملهم طائرات من السابحات ، وقررت أن تلقى بالمظلات ستة من رجال القوات النرويجية الخاصة فيتولوا عمل التخريب . ومضى الدكتور ترونستاد فى تدريبهم مستعيناً بالخرائط والنماذج . لقد أخذ الوقت يضيق ، فرجال « السنونو » لا يزالون معتصمين بالقمة الشاهقة ، فى أحوال مرهقة مخيفة ، فطعامهم قليل ، وبطاريات أجهزتهم اللاسلكية أخذت تفرغ ، وهم يعيشون فى كوخ يغطيه الثلج . وقد قال قائدهم فى رسالة : « كلهم ، غيرى أنا ، مصاب بالحمى وبآلام فى المعدة » . ولم يجدوا بدًّا من أن يأكلوا أعشاب الطحلب التى تأكلها الوعول . وكان أينار على بضعة أميال منهم فى طراد بينه وبين رجال الجستابو ، ولكنه كان يخرج مرة كل بضعة أيام من كوخه الصغير المنكّر ، فينزلق على الثلج عند الغروب ، ويلقى المخبرين الذين يثق بهم قرب فيمورك .

وسرعان ما أبرق أينار نبأ مستغرباً مؤداه أن الألمان يعتقدون ، لسبب ما ، أن هدف الفدائيين لم يكن مصنع نورسك هايدرو ، بل السد الجديد الذى ينشأ على مقربة منه ، وأنهم عززوا حرس السد بمئة رجل ، وأن حرس المصنع لا يزيد على اثنى عشر رجلا .

فما أشرف ديسمبر على نهايته حتى كانت قيادة الأعمال المشتركة قد أتمت تدبيرها لمهمة جديدة سميت « مهمة جنرسايد » ، فألقت طائرة ستة من النرويجيين بالمظلات على الجمد الذى يغطى بحيرة سكرايكن ، وهى تبعد ٣٠ ميلا إلى الشمال من مخبأ رجال «السنونو» . ولم يكد النرويجيون يشرعون فى المسير حتى هبت عاصفة ثلجية عاتية لم يعرف لها مثيل منذ سنين ، فحجبت معالم الأرض . وقد ظل النرويجيون خمسة أيام يعانون البرد الفظيع والجوع فى كوخ صيد مهجور . وأخيراً همدت العاصفة واستأنف الرجال سيرهم . وساعة دنوا من مكان اللقاء ، لاحظوا على حين فجأة شبحين يزلجان على الثلج على مسافة منهم . وانقضت دقائق تهدّ الأعصاب ، فكل صدام بينهم وبين عسس من الألمان يكون كالكارثة ، لأنه يعطل

المهمة . وهمّ أحدهم فلبس فوق ثوبه العسكرى مئزراً كالذى يلبسه المتزحلقون على الثلج واتخذ لرأسه قبعة كقبعتهم، وانطلق إلى ملاقاة الغريبين ، فإذا وجدهم من الألمان زعم أنه من حراس الوعول يقوم بالتفتيش . أما رفاقه فقد انبطحوا فى الثلج وجعلوا أصابعهم على زناد مسدساتهم، ولكن سرعان ما سمعوا فى صرير الريح ثلاث صيحات تدل على فرح اللقاء بين « جنرسايد » و « سنونو » .

ومن ثم سارت الحوادث سراعاً ، فقد اجتمع النرويجيون فى مخبأ رجال السنونو — وقد صاروا أحد عشر رجلا — للتدبير . وقد زودهم أينار بأحدث ما عنده من تفاصيل عن أماكن رجال الحرس، ومواعيد تغييرهم ، وأى الأبواب موصد ، وكيف أوصد . وكان يسع المهاجمين أن ينحدروا بضعة أميال فى غابة منحدرة يغطيها الثلج ، ثم ينزلوا وادياً عمقه ألف قدم ، ويعبروا نهراً عارماً متدفقاً ، ويتسلقوا حافة الوادى من الناحية الأخرى ، وهى جدار قائم من الصخر ، حتى يصلوا إلى مصطبة سكة حديدية تفضى بهم إلى المصنع . فإذا أحس بهم أحد من الحراس ، أطلقت الأضواء من تلقاء نفسها . فيغمر المنطقة كلها ضياء باهر .

وفى الساعة الثامنة من يوم ٢٧ فبراير خرج تسعة من الرجال ، وكانوا محملين بمواد متفجرة شديدة التفجر ، فكان انحدارهم فى الثلج الغادر تحت أقدامهم إلى مقر الوادى ، كأنه كابوس . وكان بعض الثلج قد أخذ يذوب على حين فجأة ، فملأ النهر بقطع من الجمد الطافى والماء المتدفّع . وبعد أن بحثوا بحث المحموم عن معبر ، وجدوا جسراً صغيراً من الجمد قد غمره الماء بعض الشىء ، ولكنه لا يزال يصلح للعبور . ثم شرعوا يتسلقون على صفحة الصخر من الجهة المقابلة . وظل رونى قائدهم ، يلقى نظره على ساعة معصمه وهم يتسابقون . فجدول العمل المتفق عليه لا يدع له مجالا كبيراً للتأخير . وكذلك ظلوا يتسلقون صفحة ذلك الصخر بوصة بوصة ، وكانوا يعلمون جميعاً أن أقل زلة فيها هلاكهم جميعاً .

وبعد جهد جاهد وصلوا إلى القمة ، وزحفوا وهم يلهثون على مصطبة السكة الحديدية ، حتى صاروا على ٥٠٠ قدم من المصنع ، فسمعوا هدير الآلات . وجمعهم رونى وتهامسوا فيما بينهم ، حتى استوثق أن كلا منهم يعرف تماماً مهمته الملقاة على عاتقه، ثم قال : « لقد أزف الوقت » . فتقدم أحدهم وفى يده مقصٌّ حديدٌ حتى بلغ باب المصنع الذى اختاروه ليدخلوا منه ،

لأنه لم يكن موصداً إلا بسلسلة وقفل ، ثم سمعوا صوت انقطاع السلسلة . فجمد الباقون فى أماكنهم ، ولكنهم لم يسمعوا صوتاً صادراً من داخل المصنع ، فعجلوا فى الدخول ، ووقف خمسة منهم مسلحون بالبنادق السريعة حول الثكنة التى يقيم فيها الحراس الألمان الاثنا عشر ، فإذا أطلق صفير الإنذار رموا الجنود برصاصهم ساعة يخرجون من حجرهم.

كان الدكتور ترونستاد قد أحسن تدريب الجماعة ، فلم يستغرق المخربون الأربعة بزعامة رونى ، سوى بضع دقائق فى الوصول إلى نفق حبال الأسلاك الذى أفضى بهم مباشرة إلى الحجرة المجاورة حيث الماء الثقيل المركز أعظم تركيز . وقد ضل اثنان من رجال رونى طريقهم فى الظلام ، ولكنه استطاع مع رفيقه الآخر أن يتامس طريقه فى تيه الأنفاق .

وكان الحارس الذى فى أهم حجرات المصنع يجيل نظره ، فإذا هو يرى فوهتى مسدسين مسددين إليه ، فرفع ذراعيه دون أن ينبس بكلمة . وقد جاء فى تقرير النرويجيين : « بدا عليه أنه خائف ، ولكنه ظل هادئاً مطيعاً » . ومضى رونى مسرعاً إلى الخزانات والأنابيب والآلات ، وربط بها الألغام — كما درب أن يفعل على نماذجها فى إنجلترا — حتى يكون أذى التفجر أعظم ما يكون . ثم سمع انكسار زجاج ، فقد ركل أحدهم زجاج نافذة ، وقد أوشك رونى أن يطلق ناره حين تبين ، ولما يكد ، أحد مساعديه اللذين ضلا يتسلق داخلا من النافذة ، فأنجز بقية مهمته بيدين ترتعشان.

ومع ذلك لم تنعب صفارة الإنذار التى كانوا يخشون نعيها بين ثانية وأخرى . ثم قص رونى فتيل الألغام الذى يستغرق اشتعاله ثلاثين ثانية ، ثم أشعله . وأمر الحارس ، وكان نرويجياً ، أن يفر طلباً للنجاة . وما كادوا يصيرون على بعد عشرين ذراعاً خارج مدخل القبو ، حتى سمعوا صوت الانفجار دمدمة هادرة وراء الجدران الضخمة المبنية بالأبرق ، كان انفجاراً قوياً هز الأرض تحت أقدامهم هزاً .

ولم تكد صفارة الإنذار تنعب نعيها والحراس الألمان النائمون يربطون أحزمة رصاصهم على خصورهم ، ويخرجون ليروا ماذا حدث ، حتى كان رونى ورجاله قد غابوا عن الأبصار فى نفس الطريق الخطر الذى حسبه الألمان سبيلا مستحيلا إلى المصنع . وفى خلال ذلك ، كان مقدار من أكسيد الدوتيريوم الثمين يبلغ ألف رطل ، قد تدفق من الخزانات المحطمة على الأرض وإلى مجارى المصنع .

ولم تكد تنقضى بضع ساعات ، حتى هرع الجنرال فون فالكنهورست إلى فيمورك

ثائراً متوعداً ، وألقى نظرةً على الخراب فقال : « إنها لأبرع ضربة ملعونة رأيتها فى حياتى » . ثم جعل يصدر الأوامر ، وإذا فرقة كاملة من الجيش الألمانى فيها اثنا عشر ألفاً قد أطبقت على المنطقة ، وذهبت الدوريات على المزاليق وطائرات الاستكشاف البطيئة تفتش الجبال ، وسُدَّت جميع الطرق والدروب ، وجعل رجال الحرس الألمانى يفتشون المنازل منزلا منزلا ، ولكنهم لم يقفوا للمغيرين على أثر .

أما رجال جنرسايد فقد أسرع خمسة منهم فى الانزلاق نحو حدود السويد فبلغوها سالمين بعد مشقات لاتصدق ، ومن هناك ركبوا الطائرات وعادوا إلى إنجلترا . أما السادس بونزو ، فأقام مع رجال السنونو الأربعة للعناية ببعض أعمال المقاومة الخفية ، وهم فى طراد دائم بينهم وبين رجال الجستابو . وأما أينار فقد أوى إلى عرينه فى الجبل ، حتى يستطيع أن يتابع إرسال الأنباء عن عاقبة التخريب ، ولكى يواصل مراقبته لما يتم فى مصنع نورسك هايدرو .

وفى أواخر سنة ١٩٤٣ ، أبرق أينار أن الخراب فى المصنع قد رُمِّم ، وأن المصنع قد أخذ يواصل إنتاج الماء الثقيل . فما كاد النبأ يصل إلى إنجلترا حتى خرجت قاذفات من السلاح الجوى الأمريكى فألقت قنابلها على محطة الطاقة التى تزود المصنع ، فعطلتها . فعز الألمان يومئذ أن ينقلوا جميع معدات الماء الثقيل فى مصنع نورسك هايدرو ، وما صنع منه وخزن، إلى مخبأ تحت الأرض فى ألمانيا. فاستأذن أينار فى أن يغرق السفينة هايدرو التى تقل هذه الشحنة مجتازةً بحيرة تنسيو فى يوم ما ، فجاءه الإذن على عجل . فأمر أينار زميله بونزو الذى كان يعمل مع كتيبة من رجال المقاومة الخفية على بعد خمسين ميلا ، أن ينضم إليه، واستعان بونزو بأوراق مزوّرة تدل على أنه من عمال نورسك هايدرو ، فركب السفينة قبل رحلتها لكى يتبين أحسن السبل لإغراقها حتى لايمكن إنقاذ مافيها بعد غرقه . وقبل أن تبحر فى تلك الرحلة وضعت فيها القنابل التى تنفجر فى وقت مضروب .

وبعد أيام صار آخر ما عند الألمان من أوكسيد الدوتيريوم فى قعر بحيرة تنسيو . وكان الألمان فى حاجة ملحة إلى سلاح يستطيعون أن يفجأوا به الحلفاء ، فعمد هتلر وجورنج إلى الاهتمام بأسلحة غير القنبلة الذرية ، ووقفوا البحث فى الطاقة الذرية .

فالحلفاء مدينون بدين عظيم لأحد عشر رجلا من بواسل أهل النرويج .

لا علاج لاعتلال شرايين القلب التاجية — ولكن هناك دلائل على أن الحيطة في الغذاء قد تعين على الوقاية منه .

عرضة للنكبة القلبية

جورج دوك

مقتبسة من مجلة "هاربرز"

أمرض في حياتي قط» ؛ قالها الجاويش « لم معتزاً ، وانطلق يعدو مرة ثانية في سباق الموانع الذي أعدَّ لتدريب الجنود . فلما بلغ غايته غشي وجهه ذهول مشوب بالغضب ، فغمغم : « إنها القاضية » ، وانحنى ثم خرَّ إلى الأرض ميتاً .

وظهر من التشريح أن سبب الوفاة هو « الانسداد المفاجيء في الشريان التاجي* » . وقد كان الرجل في الثالثة والثلاثين ، ساعة انقطع بغتة مدد الدم عن قلبه .

وتدل سجلات الوفيات في المستشفيات على أن علة الشرايين التاجية تودي بخمسة وعشرين في المئة من جميع الوفيات بين أصحاب الأعمال . وأكثر من تودي بهم رجال تتفاوت أعمارهم بين ٤٥ سنة و٦٥ سنة ، أما بين النساء فمعدل الوفاة بها أقلُّ كثيراً منه بين الرجال .

وهذه علة لا يسبقها نذير في أول مقدمها ، ونوبتها الأولى هي القاضية في نحو خمسة في المئة من الحالات . وكل نوبة تالية تقضي على عدد مطرد الزيادة ممن تخطَّوا النوبة الأولى أحياء . بيد أن ألوفاً من المرضى بهذه العلة يحيون اليوم حياة زاخرة بالنشاط ، لأنهم نجحوا — هم وأطباؤهم — في توقي النوبات التالية . والمشكلة الكبرى هي توقي النوبة الأولى أو تأجيلها إلى حين .

لقد كان الرأي السائد إلى وقت قريب في تعليل زيادة وفيات الرجال بعلة الشرايين التاجية على وفيات النساء ، هو ثقل ما يحمله الرجال من مكاره الأعمال وهمومها . ولكن ثمة رأي جديد في هذا التعليل انجلى عنه الفحص المجهري للشرايين التاجية في كثير من الناس من رجال ونساء ماتوا بشتى الأسباب في أعمار تتفاوت من بضع ساعات إلى سبعين سنة . فإذا عزز التوسع في البحث هذا الرأي كان الكدح في طلب الرزق أقلَّ أثراً في وفاة الرجال

---

* الشريانان التاجيان ، الأيمن والأيسر ، يمدان أنسجة القلب ذاتها بالدم ، ويكادان يحيطان به كأنهما تاج معقود .

بعلة الشرايين التاجية من عاملين آخرين مجتمعين هما : تركيب شرايينهم التاجيـة ، والطعام الذى يأكلون .

وبطانة الشرايين التاجية أشبه بالإطار الباطن فى عجـلة السيارة ، ويحيط بهذه البطانة أسطوانة من نسيج العضل المطاط هو بمنزلة العجلة نفسها . وهـذه البطانة فى الشرايين التاجية أسمك منها فى أى شريان آخر فى الجسم يماثلها فى الاتساع . والأغلب أنها فى الذكور أسمك منهـا فى الإناث حتى فى أول الميلاد ، وتزداد سمكا كلما تقدم العمر ، فتكون الزيادة فى الرجال أسرع منهـا فى النساء . وتكون هذه الزيادة فى جوف الشريان كأنها طبقة الصـدأ فى باطن أنبوب من الحديد ، وبذلك يقل شيئاً فشيئاً مقدار الدم الجارى فى الشريان إلى القلب .

وكثيراً مايستحث هذا التضخمَ فى بطانة الشرايين تجمُّعُ الشحم على سطح الغشاء . وقد تجلى من الأبحاث الحديثة أن العامل الجوهرى فى حدوث هذا النوع من آفات الشرايين هو ما نأكله ، أو ما ينقصنا أن نأكله من ألوان الطعام .

وسبب ذلك أن فى الدم مادة تشبه الشمع تسمى الكولسترول ، تتسرب خلال بطانة الشرايين التاجية الناعمة ، وتترسب فيها حبيبات . وهذه المادة أسهل تغلغلا فى الأغشية السميكة منها فى الأغشية الرقيقة ، فتؤلف ركاماً من الشحم تدق رؤيته على العين ، وتكبرهذه الرواسب فتحدث التهاباً فى باطن الغشاء ، يلتئم ويترك وراءه ندوباً تسمى الأورام الهلامية . وقد يدوم هـذا الفعل بضعة أشهر أو يمتد عشرات من السنين ، فيضيق رويداً رويداً مجرى الشريان الذى يحمل الدم إلى القلب .

فإذا تقدم المرض انفصلت يوماً ما قطعة من هذا النسيج المخشوشن فى بطانة الشريان ، وتكون مكانها علقة من الدم تملأُ ما بقى من فراغ فى مجرى الشريان ، فينسدّ ، وقد يفضى ذلك إلى الموت فى الحال ، ما لم يقم فرع آخر من شبكة الشرايين التاجية بوظيفة الشريان المسدود ، ومن ثم ينجو المريض من الموت وتسير الحيـاة سيرها ، لكن السيف يبقى مصلتاً على عنقه يهـدده بنوبة أخرى أخطر من الأولى .

وقد لا ينفصل هذا الورم الهلامى ، ولكن مجرى الشريان ينسد تدريجاً من نمو الركام الممتلىء بالكولسترول فى بطانة الشريان ، كما ينسد الأنبوب على زيادة الصدأ ، فيؤدى ضيقه إلى حبس الدم السارى إلى عضـلة القلب شيئاً فشيئاً . فإذا احتدّ المريض فجأة أو أرهق نفسه بعجل ، فقد ينتابه ألم مبرح من الذبحة الصدرية فى قلبه المنهوك .

إن للقلب شريانين تاجيين اثنـين ليس إلا ، ولكن بينهما شبكة عجيبة من الأوعية الدموية المشتركة ، تصل ما بينهما إذا ضاق أحدهما أو كلاهما بتضخم البطانة ، وربما انسد أحد الشريانين انسداداً تاماً فلا يصحبه نذير يدل على حدوثه فى بعض الحالات . وقد يورث الذبحة الصدرية أو العلة المسماة بعسر الهضم الحاد ، وهى حالة قد تكون فى حقيقتها انسداداً فى الشريان ربما انتهى بصاحبه بعد أمد قصير إلى الموت .

والكولســـترول عنصر جوهرى من عناصر الدم يصنع فى الكبد ، ويمتص أيضاً من بعض الأطعمة التى تحتـويه كشحوم الحيوان ، ومُحّ البيض ، والزبدة والقشدة واللبن ، وهى أهم الأطعمة التى يغتذى بها الرضّع والأطفـال فى نموّهم ، وجميع المصابين بنقص الغذاء من الكبار .

ولا يوجـد الكولسترول فى الفاكهة والخضر والبقول والنقل . أما اللحم الأحمر والسمك فيحويان مقداراً قليلا منه ، ومقداراً عظيما من المواد الزلالية التى يبدو أنها تمنح الجسم قدرة على أن يستهلك مايزيد على حاجته من كولسترول الدم .

وقد تبين من تشريح جثث ألوف من الصينيين أن علة الشرايين التاجية نادرة بينهم ندرة تبعث على الدهشة . وقِوام طعام الملايين فى الصين هو الأرز ، ثم الدُّخن (الذرة العويجة) وفول الصويا ، وكلاهما غنى بالمواد الزلالية . أما البيض واللبن وشحوم الحيوان ، فتكاد تكون تَرَفاً غير معهود فى الصين . ومستوى كولسترول الدم فى سواد الصينيين لا يزيد إلا قليلا على نصف ما فى أبدان الأمريكيين .

وقد هال أطبـــاء الجيش الأمريكى ما وجدوه من ارتفاع معدل الوفاة بعلة الشرايين التاجية بين الجنود الأمريكيين (ولا سيما صغار السن) فى معسكرات التدريب ، حيث يزيد معدل ما يأكلونه من البيض واللبن والأطعمة ذات الشحم عن المعدل المعهود زمن السلم .

ووجد كذلك أن معدل الوفيات من غوائل الشريان التاجى يقـل بين الجنود الإنجليز الذين يشربون الشاى أكثر مما يشربون اللبن ، ويأكلون من الخبز واللحم أكثر مما يأكلون من مثلجات اللبن والبيض ، لذلك يبدو أن ثمة علاقة وثيقة بين وفرة الكولسترول فى الطعام وارتفاع معدل الذين يموتون بعلة الشريان التاجى .

وقدرة الجسم على مقاومة هذه العلة قدرة موروثة مردّها إلى مقدار مايرثه المرء من سمك بطانة هذه الشرايين ، وحظ الناس منه يختلف اختلافاً كبيراً فى كل مراحل

العمر . بيد أن سرعة تضخم هذه البطانة وتخشنها هو أخطر سبب يهيء المرء لاعتلال الشرايين التاجية . وفي الوسع تقليل هذه السرعة في كثير من الأحيان بتنظيم الطعام.

ويتباين الناس في قدرة أبدانهم على تدبير أمر الكولسترول ، فكثير منهم لايتجاوز الكولسترول في دمهم حدّه المأمون حتى لوعاشوا على طعام غني به . أما البعض الآخر فيطغى الكولسترول في دمهم طغياناً قاتلا، وإن كان طعامهم كله يكاد يكون خالياً منه .

ومن الخير لنا أن نتذكر أن مشكلة طعام البشر مشكلة معقـدة ، وأن حاجاتهم من الطعام تختلف اختلافاً شديداً . وكلنا نعرف أسراً يعيش أهلها حتى يبلغوا أرذل العمر، وكل طعامهم مُـثْقَـل بالقشـدة والبيض والشحوم . وقد يكون مردّ طول عمرهم إلى توافق نادر الحدوث بين بطانة رقيقة في الشرايين التاجية كانت لهم منـذ ولدوا ، وطريقة موروثة لاستهلاك فضول الكولسترول ، ومدد وافٍ من المواد الزلالية في الطعام الذي يأكلون.

أكثر البشر وسطٌ بين شدة المقاومة لمرض الشرايين التاجية، وبين سرعة القبول للمرض . ولعل خير طريق نسلكه هو أن نتجنب الإسراف في أكل الاطعمة الغنية بالكولسترول، وأن نحاول القصد في تناولها، كما نحاول القصد والاعتدال في سواها من أسباب الحياة .

أما الحقيقة الجوهرية فلا ريب فيها ، فثمة خمسة ملايين إلى سبعة ملايين من البشر في الولايات المتحدة ، تجاوزوا اليوم الخامسة والعشرين ، كتب عليهم أن يموتوا بعـلة الشرايين التاجية . وجلهم — لا كلهم — يستطيعون أن يؤخروا أجل هذا القضاء إلى حين ، لو هم اتخذوا بعض الحيطة المعقولة في الوقت المناسب . وليسأل كل منا نفسه هذه الأسئلة الثلاثة ، ويتخذ من الإجابة عليها هادياً في سبيل الحياة :

هل مات أحد من أهلي بعلة الشرايين التاجية ؟ أيزيد وزني زيادة بالغة على ماتعدّه شركات التأمين وزناً مأموناً لرجل في مثل طولي ، وهو في سن الخامسة والعشرين ؟ مارأى طبيبي الخاص في قدر الكولسترول الذي في دمي ، وهل هو أكبر من القدر المألوف بكثير ؟ (وهذا القدر يمكن تقديره باختبار بسيط جداً ، ويمكن تنظيم الطعام بحيث يهبط مقدار الكولسترول فيه، ويزداد مقدار المواد الزلالية) .

وقد يجد العـلم يوماً ما حلاً آخر للغز الشرايين التاجية . فإلى أن يأتي ذلك اليوم ، يبدو أن خير درع تقينا شرّ ماورثه بعضنا في هذه الشرايين، هي تدقيق المرء في اختيار طعامه.

نصيحة حكيمة للأمهــات ، من كاتبة مشهورة هى أم موفقة أيضاً .

عاملوا أطفالكم معاملة الكبار

كاثلين نوريس

مختصرة من مجلة "ليديز هوم جورنال"

شهدت مسرحية مضحكة ، فسمعت فيها هذا الحوار : قال الزوج: « إنك تُضْجِرين أولادى» فردت الزوجة متحمسة : « نعم ، أولا تراهم يضجرونني أيضاً » . فضج الجمهور بالضحك .

أما أنا فأكاد أدعو إلى فرض عقــوبة الإعدام على كل أم جميلة ذكية ميسورة الحال يضيق صدرها بصحبة أولادها .

وأنا أعرف أمّاً كهذه تتشدّق بأنها تبذل كل مرتخص وغال فى سبيل أولادها، وهى أم لها ابنتان فى السابعة عشرة والخامسة عشرة وولد فى الثانيــة عشرة . وقد كانوا يوم عرفتهم منذ سبع سنوات ، أطفالا أهل بلادة ولا يرجى منهم خــير ، وهم اليوم كما كانوا بالأمس، وسيظلون على ذلك ماعاشوا .

فقد ولدوا فى بيت ترف ، حيث أعدت لهم روضة جميلة حافلة بآنية الفضة والأغطية الفاخرة ، وكان يحف بهم الأطباء وعلماء التغذية والممرضات ، وقد قامت على رعايتهم مربيتان ولدتا فى أوربة واتخذتا ثوب المربية الذى يسبغ عليها سمة من السلطان والوقار .

وأنا أستريب فى هؤلاء المربيات «المتميزات» اللواتى « ينحدرن من أسر كريمة » . نعم قد يكن من أسر كريمة ، بيــد أنه يغلب أيضاً أن يكن نسلاً ضعيفاً فى تلك الأسر ، وأن تكون عقولهن ونفوسهن مصابة بعقد تجعلهن أقلَّ الناس صلاحاً لتربية الصغار .

أما الأم فلا ترى صغارها سوى هنيهة وهى تتأهب للخروج إلى حفلة شــاى أو لتلعب الورق مع صويحباتهـا ، فلا تتبين من أمر المربية سوى أناقة ملبسها ، بيد أن الصغار أعرف من أمهن بالنزوات الغريبة التى تستبدّ بمربيتهن .

ولأعد إلى صاحبتى بعد هذا الاستطراد . لما شب صغارها الثلاثة عن مرحلة التربية الأولى فى الروضة، جاءتهم بعشرات من الناس، لكى يتموا لهم تربيتهم — وهى تعلم أن معظم هؤلاء ضعاف العقل ، وما كنت تجد فى ذلك البيت أحداً من سكانه أو روّاده منصرفاً عن تولى تربيــة الصغار ، سوى

أبيهم وأمهم ، فالأب جادٌّ فى كسب مايلزم لهم من المال وهذه صورهم على مكتبه، وهذا حسبه. وأما الأم فتراها تهرع إلى تجميل وجهها وتصفيف شعرها ومخاطبة الناس بالتلفون لتحدثهم فيما ينبغي أن يصنع لأسنان صغارها وعيونهم وصحتهم وملابسهم ودروس اللغة الفرنسية والرقص والتنس والرياضة ، وهى تظن أن ذلك حسبها وكافيها .

فلما صارت ابنتها هارييت فى السادسة عشرة ، تدلهت بحب سائق سيارتهم البالغ ٤٦ سنة من العمر ، فاستبدّ الأسف بنفس السائق استبداده بنفس الأم . ثم ظهر أن الفتاة ما فتئت منذ كانت طفلة تقبّل الرجل كما يفعل الصغار بمن يحوطهم من الكبار . أما ما أحست به الفتاة — يوم فضح سرّها ويوم كشفت أمها رسائل غرامها التى تنضح بشهوة الشباب فضحكت منها وتلتها على صديقاتها حول مائدة الشاى — فلا يعرفه إلا ربُّ الفتيات الحييّات المبلبلات اللواتى أهملتهن أمهاتهن .

وهذه الأم مثالٌ للأمهات اللواتى يسرُّهن أن يعرضن صغارهن فى الملابس الأنيقة على زوار البيت مباهياتٍ بمنظرهم ، ولكن الصغار يأكلون مع المربية ، والمربية هى التى تجيب عن أسئلتهم وتوجه أفكارهم وتغرس فى نفوسهم أصول الرأى وقواعد الأخلاق .

أما صديقتى فكانت تترفع عن أن تنفق خمس دقائق فى حديث جدّ مع المربية التى اتخذتها لأولادها . وكانت تذكرها فى حديثها مع صويحباتها فتشير إليها إشارة الاحتقار وتصف عقلها بأنه «عقل عصفور» ، ومع ذلك فقد كانت هذه المربية المحتقرة هى التى تصوغ نفوس أولادها ، وهى نفوس كأنها صلصال ندىٌّ طرىٌّ بين يديها ، فكانت مغبة ذلك أن نشأ الأولاد أهل بلادة ولا يرجى منهم خيرٌ . ومهما بالغت ابنتاها فى التجمل والتصنع فلن ينفث ذلك فيهما روحاً من الخفة والمرح وإرسال النفس على السجية ، فالذين قاموا على تربيتهما كانوا ضعاف العقول والنفوس ، وسيظل الأولاد ضعاف العقل والأدب والنفس ما عاشوا . وأعرف فتاة أخرى نشّئت على غرار هؤلاء وقد بلغت العشرين ولا تزال تحبُّ أن تلعب بعرائسها ودُماها .

ومغزى كلّ ذلك فى رأيى ، هو أن الصغار أناسىّ وينبغى أن يعاملوا معاملة الأناسىّ .

ونحن قد أقنعنا أنفسنا بأن الصغار يختلفون عنا وينبغى أن نعاملهم معاملة من هم دوننا ، فنصفعهم ونخدعهم، لا لشىء سوى أنهم ليسوا لنا أكفاء طولا وعرضاً وقوة . والنساء العاقلات لا يصفعن أزواجهن ،

وإذا كنت ضيفاً على مائدتى ، واتفق لك أن كسرت صحفة من صحاف الطعام النفيسة ، فإننى لا أنفجر غضباً ، ولا أهددك ، ولا أعمد إلى الندب والعويل . ومع ذلك أرانا نبثُّ الخوف والجزع فى نفوس أبنائنا مرة بعد مرة ، بمثل هذه الثورة النفسية الجامحة التى لا يضبطها ضابط ، فإذا لم نغضب عليهم ضقنا بهم ذرعاً . وكم من طفل تتوثب نفسه رغبة فى السؤال والمعرفة ، فيسكته انتهار شديد من أحد أبويه : « اسكت ، دع عنك هذه الأسئلة ، فقد كدت تجننّى » .

وينبغى لكل أم أن تركع بين يدى ربها وترفع يديها إلى السماء وتشكر الله الذى جعل ابنها أو ابنتها توجه إليها الأسئلة تترى ، فهذا دليل على أن ذلك العقل الصغير الحىّ قد بدأ يعمل ، وكل سؤال يسأله الصغير ، ينبغى أن يتلقى عنه جواباً صحيحاً — حتى لو كان السائل فى الثالثة من عمره . ولا تخشى أن تستعملى ألفاظاً لا يفهمونها ، أو أن تشيرى إلى أشياء مستسرّة عن أفهامهم — فهم يحبون ذلك . إنهم يحبون أن تعامليهم كأنهم أقرانك ، وينبغى أن تعامليهم كأنهم أصدقاؤك .

أفى وسع الأم أن تفعل هذا ؟ كلا ، ليست كل أم بقادرة عليه ، فسوف تمضى أمهات كثيرات فى عقاب صغارهنّ وتحقيرهم والاستبداد بهم ، والضيق بهذه النفوس الغضة المتفتحة كأكمام الزهر . بيد أن هناك أمهات كثيرات يطقن أن يفعلن ، فيظفرن بجزاء لا أجمل منه ولا أروع ، يوم يجدن فى أسرهن أفراداً قد توثقت بينهنّ وبينهم آصرة الصداقة والتعاطف والفهم والولاء .

ولربّ قائل يقول : أتربّين الأولاد بغير عقاب ؟ فأقول : نعم ، بل أقول إن معاقبة الصغار قد أصبحت من مخلفات العصور القديمة ، كمعاقبة المارقين بحرقهم أحياء .

لا تعاقب صغيراً ، بل أقنعه إن كان فى الثالثة ، بأن طلب الحلوى والتأخر فى النوم ، والكذب والعصيان ، كلها أمور سخيفة لا تجدى عليه شيئاً . ولن تجد فى الدنيا طفلاً لا يركبه الغضب والخزى والعناد ، إذا أخذته إلى حجرة وأوصدت بابها ثم حاولت أن تؤدّبه بالعصا أو السوط . ولن تجد فى الدنيا صغيراً فى الرابعة ، لا يستجيب استجابة العاقل إذا سمع أمه تقول :

« تلك السيدة المسكينة لها أولاد يصرون على مصّ قطعة من الحلوى قبيل طعام الغداء ، ألا ترى آيات المرض والغم بادية على وجوههم . وتلك الفتاة المسكينة لم تربّ على أن تكون لطيفة مؤدبة . أليس هذا أمراً محزناً ؟ »

وهذه العبر المنتزعة من صميم الحياة تترك أثرها البالغ فى نفوس الصغار . والصغار يستطيعون أن يدركوا صلة السبب بالمسبّب

كما يفعل كبارهم . وهم طبعاً يخطئون وينسون، ويكسرون أشياء فى البيت ، ويعمدون إلى العناد حين يجب أن يلينوا ، ويلينون حين يجب أن يقاوموا ، ولكننا نحن الكبار نفعل هذا أيضاً .

وأعرف أماً موفقة غاية التوفيق فى تربية صغارها ، وقد كانت تقرّظ الإيثار فى طفلها المتصف بالأثرة ، وتمدح ضبط النفس فى صغيرها المندفع المتهوّر،وكانت تقول للطفل العفريت إنها معجبة بما يبدو منه من حسن سيطرته على عفرتته ، وتهنىء الفتاة الشاردة الفكر بما ترى فيها من اهتمام وعناية ، فكان هؤلاء الصغار يصدقون ما كانت الأم المحبة لهم تريدهم أن يصيروا إليه ، فصاروا إلى هذه الأخلاق على الزمن .

جرّبى أيتها الأم استعمال التفسير المعقول المشرب بالمودة والرفق ، جربى الصداقة ، انظرى إلى ذلك الوجه الصغير المضطرب وقولى لنفسك : « إنها ليست طفلة بل هى سيدة ، إنها ليست عِيالا علىّ بل هى صديقة لى . وينبغى علىّ أن لاأفرض عليها أن تسير على قاعدة لاأسير أنا عليها ، وينبغى لى أن أفسر لها القواعد المتبعة فى البيت ، وقواعد الصحة ، وقواعد الأخلاق. قد لاتكون فتاة كاملة ولكنها تريد من أمها أن تظنها كاملة كما تريد الأم أن تكون كاملة فى عين ابنتها »

والأم التى تفعل ذلك لا تلبث أن تلفى نفسها وهى تقول متلطفة مترفقة مع ابنتها : « ترى ماذا كنت تفعلين يا ابنتى لو كنت مكانى ؟ أنا لا أظن أن ضربك أخاك لأنه مزق ثوب العروس يجدى شيئاً ، أتظنين أنه يجدى ؟ وما رأيك لو تخيلنا ، أنا وأنت ، أن ثوب العروس لم يمزق، وأننا سنخرج بعد الظهر لنشترى لها ثوباً جديداً » . ولو فعلت ذلك مع سيدة كبيرة لأجدى ما تفعلين ، وسوف يجدى فى أمر ابنتك الصغيرة أيضاً .

نمو الصغار

لاينمو الصغار نمواً مضطرداً فى جميع فصول السنة ، فزيادة الطول فى فصل الربيع تبلغ ضعف زيادته فى فصل الخريف على المعدّل ، وفى الربيع يزداد الطول ولا يزداد الوزن ، أما فى الخريف فيقل ازدياد الطول ويزداد الوزن .

[كلارنس ملز فى كتابه « أثر الجو فى الحياة »]

رأس في متحف !

إديسون مارشال

مختصرة من مجلة "ستردای ریفیو" الأدبية

من كتب هذا ؟

قرأت منذ عشر سنوات قصة فى بعض مختارات الأدب ، ولم تكن ذات « مغزى اجتماعى » ، بل كتبت لتكون مسلاة وحسب ، وما أروعها من مسلاة !

عاد إلى أمريكا طبيب طاعن فى السن من غانة الجديدة يصحبه خادم من أهلها . وقد تأججت بين جوانحه نار الحماسة أن يحارب العصابات فى مسقط رأسه مدينة دترويت . وأظن أنه كان يدعى جيمس ويدربى ، ولم يكن خادمه الصبى موكى يرى سيده طبيباً ماهراً ، فإن روائع السحر التى كانت تتم على أيدى كهّان قبيلته كانت أروع وقعاً فى نفسه ، ولكنه كان يجلّه لما يرى من مهابته ، ويوقّر مشيبه ، ويحبه حباً هادئاً رفيقاً . غير أنه لم يدرك معنى لهذه الحرب التى يشنها سيده على رجال العصابات .

ولم يكد يمضى وقت طويل حتى وقعت حادثة جعلته يدرك ذلك المعنى تمام الإدراك ، فقد تسلل أحد رجال العصابات ، وكان يعرف بين الأشرار باسم لوى ، إلى بيت ويدربى ، ثم سدد إليه من نافذة مفتوحة رصاصة أصابته بجرح بليغ .

كان موكى عندئذ جاثماً فوق شجرة ، وتلك كانت عادته : أن يتسلق الأشجار ليشاهد ما يحيط به ، فلم يتمكن من صدّ المعتدى ، ولكنه نظر إلى وجهه نظرة فاحصة .

فلما كان سيده فى المستشفى انفسح له مجال البحث عن لوى . فإذا زنجى أنيق ضامر الجسم لطيف المعشر ، يندس بين الأشرار فلم يمض وقت طويل حتى عثر على لوى .

وذات ليلة وقف لوى يتولى حراسة السُّبل لعصابة كانت تسرق بيتا ، فلما فرغت العصابة لم تجد لوى فى مكانه ، فذهب أحد أصدقائه يبحث عنه ، وإذا هو يصرخ صرخة راجفة من شدة الذعر ، ويقول : « هذا لوى ، ولكنه فقد رأسه ! »

ولاشك فى أنهم فزعوا فزعاً شديداً لهذا الحادث الوحشى غير المعهود فى صراع العصابات ، وأعنى قطع رأس لوى . فكذلك

سفكت دماء غزيرة فى القتال الذى نشب بين عصابة لوى وخصومهم للأخذ بثأره .

عاد موكى إلى دار سيده يحمل غنيمته فى سلة ، وها هى الفرصة قد سنحت له لكى يظهر ما فى وسعه أن يفعل ، فصمم على أن يكون ذلك أكبر مأثرة له فى سبيل الدفاع عن شرفه وشرف سيده .

وبعد بضعة أشهر نظر فى الذى صنعت يداه ، فرضى عنه ولم يجد به سوى عيب بسيط ناشىء عن عجزه عن المحافظة على لون بشرة لوى المغبرة الشاحبة ، غير أنه بلغ النجاح فى تمثيل ملامحه العنيفة الصارمة .

ثم حمل معجزته معه إلى المستشفى وقدمها إلى سيده ، فشكره شكراً فاتراً وإن كان ينم عن الإخلاص ، فاغتبط الزنجى الضئيل الجسم . وقد دلت قلة احتفال ويذربى برأس عدوه المهداة إليه ، على أنه زعيم عظيم حقاً ، هكذا تصور موكى ، وفاته أن ويذربى لا يعرف شيئاً عن الذى اعتدى عليه ، وأن هذا الوجه الأسود غريب عنه ، بل لقد ظن ويذربى أنها هدية جاء بها موكى معه من موطنه فى غانة الجديدة .

ولما استرد ويذربى عافيته وعاد إلى بيته أهدى الرأس إلى متحف المدينة حيث علق فى صدر المتحف ، وبعد بضعة أيام لاذ بالمتحف فرد من عصابة لوى هرباً من أحد خصوم عصابة أخرى ، فألقى نظره على الرأس الجديد المعروض ، فاتسعت عيناه الضيقتان من فرط الدهشة وانسحب من فوره .

ولاحظ أمين المتحف فى الأسبوع التالى أن عدداً وافراً من الرجال ذوى الجباه الضيقة والوجوه الشاحبة والملابس الزاهية ، يدخلون المتحف ثم يحملقون فى التحفة الجديدة ، فتبدو على وجوههم أمارات الفزع ثم يتسللون إلى الخارج . ولم يكن يدرى أن أشرار دترويت سيبدون هذا الاهتمام البالغ بتحفة تمثل سلالة من البشر تقطن غانة الجديدة .

وذات يوم أقبل أكبر رجال العصابات فى المدينة وجاذبه أطراف الحديث . ثم سأله : «من أين جئتم بهذا الرأس ؟» فأجابه الأمين : « لقد أهداه إلى المتحف الطبيب ويذربى الذى عاش زمناً طويلا فى الغابات ، وأظنه قد جاء به من هناك » . فغمغم الرجل .

قال الأمين : «إن ويذربى رجل عجيب ، وأظن أنه لابد للمرء أن يكون كمثله حتى يسعه أن يعيش فى قلب الغابات . إنه يطوى جوانحه على شىء أكبر مما يبدو لعينيك » .

فقال الرجل : « هو ذاك ! »

ومن يومئذ عاش ويذربى آمناً ، وعاش معه موكى سعيداً بخدمته . وسرى بين رجال العصابات : إنه رجل داهية ، فدعوه وشأنه !

معلم زنجي عاد إلى قومه بعد طلب العلم ، فأخذ بيدهم فى طريق التحرر من رق الأرض المستأجرة ذات المحصول الواحد .

مُرشد يمهِّد لهم طريق الحرِّية

ا . ك . أرمسترنج

مختصرة من
مجلة "ذي بروجرسيف"

في سنة ١٩١٤ وفد على بلدة فورت ڤالى ، فى ولاية جورجيا ، زنجى ضئيل الجسم مفتول العضل يدعى أوتيس صمويل أونيل وكان مزهواً بتعيينه مفتشاً زراعيا للمقاطعة ، فكان من أوائل الزنوج الذين عينوا لهذه الوظيفة .

وكان ستون فى المئة من سكان المقاطعة زنوجاً ، فعلم أونيل ما هو خليق أن يجده فيها: فلاحون يستأجرون الأرض ويتقاسمون محصولها مع أصحابها ، يزرعون القطن على الأكثر ، ولا ينالون لقاء عملهم طوال العام إلا قسطاً من المحصول لا يكاد يقيم الأود والاكتفاء بزرع محصول واحد ، جعل الفاقة مخيمة على ذلك الإقليم ، فلا تكاد ترى أسرة من الزنوج تسكن فى بيت طُلى خشبه ، وقليل منهم من يجنى طعامه من زرع يديه ، أما اللحم الجيد فهو طعام ، مقصور على البيض .

وليس فى المنطقة ما تألفه عادة فى حياة الجماعة من معاشرة ومشاركة .

وكثيراً ما كان أونيل يسأل الفلاحين الزنوج : ويعيد عليهم السؤال ، « ألا تستطيعون أن تزيدوا ما تربونه من الدواجن ؟ ألا تستطيعون أن تربوا بعض ذوات اللحم ، وأن تتخذوا حدائق صغيرة تزرعونها ؟ » فكان جواب غير واحد منهم : « أظننا نستطيع — لو بينت لنا كيف ينبغى أن نصنع » .

وقد قضى هذا الخبير الزراعى اثنتين وثلاثين سنة يبين لهم كيف يصنعون ، فترى اليوم فى « منطقة أوتيس أونيل » بيوتاً طليت أخشابها ، وطرقاً ممهدة ، وماشية ممتازة ، وحظائرة تزخر بذوات اللحم ، وتسمع الفتية يتحدثون عن الجماعات التى أنشأوها لتحسين تربية العجول ، وتسمع

الفتيات يتناقشن فى المباريات التى أقيمت للفراخ وللدجاج البَيوض . ثم تجد الزنوج قد تحرروا من رقّ الفاقة الذى فرضه عليهم الاكتفاء بمحصول واحد .

فى سنة ١٩١٤ كان هؤلاء الزنوج يجنون ٨٠ فى المئة من دخلهم التافه من القطن ، أما اليوم فترى دخلهم قد زاد أربعة أضعاف — وصار عشرة فى المئة منه وحسب من القطن . ويوم بدأ أونيل جهاده لم يكن فى أسر الزنوج المقيمة فى الريف من يملك بيوتاً سوى ٨ فى المئة ، أما اليوم فتجد ٦٠ فى المئة منهم يملكون بيوتهم أو يملكون أرضاً تصلح للزراعة .

والخطة التى جرى عليها أونيل تقوم مثلا على التعاون الوثيق المجدى بين أسر الزنوج وجيرانهم من البيض . وقد قال لى سوان المفتش الزراعى لحقول البيض : « إن أونيل موقّر عند جميع الناس فى جورجيا ، أبيضهم وأسودهم على السواء . إنه أعظم الزنوج مقاماً فى جنوب الولايات المتحدة كله » .

كان أبو أونيل وأمه جميعاً عبدين رقيقين ، وولد أوتيس فى مزرعة شوجارهيل فى ولاية جورجيا ، وتعلم فى مدرسة صغيرة للزنوج ، ثم ذهب إلى مدرسة للمعلمين ومدرسة للصناعة . وقرأ عما يبذله المربى الزنجى بوكر وشنطن فى معهد تسكيجى لكى يعين الشبان الزنوج على أن يصلحوا أمورهم بأيديهم ، فعزم أوتيس أن يذهب إلى ذلك المعهد .

وصل معهد تسكيجى خالى الوفاض لايملك شروى نقير ، فقيل له : « فى وسعك أن تنام على دكة فى مكتب الأستاذ كارفر* » . فكان ذلك من آيات التوفيق النادرة ، فقد صار كارفر معلمهُ ومرشده وملهمهُ ، وصار أوتيس يكنس مكتب الأستاذ ، ويقضى له حاجاته ، ثم يجلس الساعة بعد الساعة فى المعمل الصغير شاخصاً ببصره إلى الأستاذ يبحث عن منافع جديدة يستخرجها من حبة الفول السودانى المحتقرة ، أو عن ثروة جديدة فى محاصيل الحقل الأخرى .

ويوم أوفى أوتيس على نهاية دراسته قال لكارفر : « أريد أن أصنع شيئاً لبنى جلدتى » ، فحدق الدكتور هنيهة فى الشاب السقيم ، ثم قال : « إنك على هذا لقادرٌ يا أوتيس . عد إلى قومك وعلمهم كيف يخرجون من الأرض ما يكفل لهم العيش الرغيد » .

جاهد أونيل فى السنوات الأولى من

* « المراعى الخضر حيث تكون » ، ترجمة جورج وشنطن كارفر . المختار ، أكتوبر ١٩٤٣ ص ٤٧

تقلده عمل المفتش الزراعى ، فجعل يتنقل راحلا من مزرعة إلى مزرعة ، فينام ويأكل حيث يجد القِرَى. وكانت دودة لوز القطن قد غزت المنطقــة ، وهددت زراعه بيضاً وسوداً بالخراب ، فجمع أونيل المزارعين الزنوج فى أبنية المدارس وقال: «احمدوا الله على مجيء دودة اللوز ! ففى وسعنا الآن أن نزرع شيئاً سوى القطن . فلننوّع محاصيلنا، ولنجعل الاستكفاء بما ننتجه هدفنا » .

ويومئذ وضع أونيل طبيب المزارع برنامجاً جعل غرضه أن يستقل كل فلاح فى بيته ، وأقام البرنامج على مبادىء أربعة : « اشتر مزرعة تكون ملكا لك وحسّنها على الدوام. ابحث عن خير محصول يجود فيها . رَبِّ الدواجن والأنعام . ازرع كل ما تأكل »، ثم يختم البيان بقوله : « اكدح فلكل كادح نصيب » .

كان قليل من الزرّاع الزنوج فى منطقة أونيل، يرون أن فى وسعهم أن يصيروا ملاكا . فوجد أونيل أرضاً بوراً مهملة يستطيعون أن يشتروها ، ودبر لهم أمر القروض ، وألهب حماستهم ، ثم بين للملاك الجدد كيف يداولون المحاصيل على أرضهم ، وكيف يستعملون خير سماد يصلح لها .

وكان جل اعتماده على تعاون الجماعة ، وعلى ضرب المثل الصالح المستخرج مما تم فعلا . وقد عاونه رجال الخدمــة العامة فى الولاية معاونة صادقة . وكانت الهيئات الأولى التى نظمها جماعات من الفتيان أطلق عليها « أندية الأنعام والذرة » .

وكان برنامج أونيل يشمل زراعة الذرة فى رقعة من الأرض ، فلم تأت السنة التالية حتى صار عنــد أكثرهم أنعام من ذوات اللحم ، وحتى اتسعت رقعة الأرض التى تزرع فيها الذرة .

وقد جعل أونيل منطقتهُ جماعات جماعات ، وعين فى كل جماعة فلاحاً ليكون مرشداً لإخوانه . وترى اليـوم هؤلاء المرشدين ، وعددهم ٣٦ ، يملكون بيوتهم ، ويستعملون الآلات الحديثة فى مزارعهم ، ويعدون خبراء فى استغلال الأرض على خير وجه وأجداه .

وقد تبين أونيل فى بدء جهاده أن قليلا من أسر الفلاحين يعنون بإعداد اللحم لحفظه . أما الذين يفعلون، فكانوا يأكلونه قبل مأتى الربيع ، لما شاع بينهم من أن اللحم المحفوظ يفسد إن حفظ حتى شهر مايو . وكان أونيل يعلم أن سبب الفساد هو النقص فى إعداد اللحم قبل حفظه . فجعل يعلمهم الأصول بالمشاهدة ، فصار الفلاحون وزوجاتهم يفدون عليه من كل فج ليشاهدوا كيف يملح المفتش اللحم ، وكيف يدخنه

حتى يبقى بمنجاة من الفساد طول العام .

وأوحى أونيل إلى طائفة من الأسر ذوات الإقدام أن تعرض البيض واللحم المحفوظ والفاكهة المعبأة فى العلب ، على شرفات بيوتها أصيل يوم السبت من كل أسبوع . وكان الجيران يدعون ليشاهدوا ذلك ، فيبين لهم أونيل كيف السبيل إلى إنتاج مثل هذه المحاصيل الجيدة، ورب البيت يُزهى بما يقول .

وقد أفضى هذا إلى أول معرض للحم والبيض نظمه المفتش فى مدرسة فورت ڤالى سنة ١٩١٦ . وشغف أحد رجال الصحافة بالفكرة ، فقصد المعرض وألقى خطبة ، وتبرع بجائزة قدرها عشرة ريالات . وقصد المعرض أيضاً رجل يدعى أميكا ، كان قد استأجر رقعة صغيرة من الأرض فى تلك الجيرة وعرض قطعة من اللحم كان قد أعدها ، فقال : « لم أظفر بجائزة ، ولكننى رأيت ببصيرتى عظم هذا العمل » . وهو اليوم من كبار أهل الزراعة ، يملك بيته وأرضاً مساحتها ٦١١ فداناً .

وفى سنة ١٩٢٦ عينت مسز مرجريت توم مرشدة لربات البيوت فى المنطقة ، فبذلت عونها لهن وللشباب حتى يحققوا برنامج استقلال كل بيت بموارده . وقد نمت الفراخ التى وزعتها فصارت أسراباً كبيرة من الدواجن، تعد خير أسراب الولاية.

وكانت براعتها فى تعبئة الفاكهة فى العلب تضارع براعة أونيل فى إعداد اللحم للحفظ ، فذاع ذكر المعارض التى يعرضانها على أعين الفلاحين . وقد صار عدد الفتيان والفتيات من الزنوج فى أندية الفلاحة التى أسساها ٢٢٩٦ فتى وفتاة .

ولئن كان أوتيس أونيل رجلا ضئيل الجسم فإنه يفيض نشاطاً وبشراً. والاجتماعات التى يعقدها فى المدارس يتوافد عليها الكبار والصغار، وهو يتبع محاضراته بزيارة الأسر المتحفظة التى تحجم عن الخروج على التقاليد . وقد يزور رجلا وزوجته يسكنان فى بيت لم تطلَ أخشابه ، فيأخذهما فى سيارته ويمر بهما على بيت أحد المرشدين من الفلاحين ، ويسألهما: « أظنكم تحبّون جميعاً هذا اللون من الطلاء على بيوتكم » . ولكى يثير فيهما حمية التنافس يقول: « يقول الشيخ جونز إنه سيبذّكما هذا العام فى محصول الفول السودانى. أترضيان بهذا ؟ » وهذا يفضى إلى التنافس فى أمرين : تحسين البيوت وزيادة الإنتاج . وتقف الجماعة ترقب ماتسفر عنه المنافسة .

وكان أونيل إذا ماوجد شيئاً من الفراغ يعود إلى معهد تسكيجى للدراسة فى الصيف، حتى نال درجته العلمية فى سنة ١٩٣٧ . وقد سأله أساتذة المعهد أن يبقى بها أستاذاً

خلفاً للدكتور كارفر ، ولكن أونيل رأى أنه يستطيع أن يسدى خدمة أعظم فى الجامعة التى أنشأها فى الهواء الطلق ، وقال ضاحكاً : « إننى رجل فى وسعكم أن تصفوه بأنه دكتور فى تربية الأنعام أو الخنازير » .

وحث أونيل الفلاحين فى أثناء الحرب على أن يغتنموا فرصة الرخاء ليوفّوا ماعليهم من ديون ، فكان يقول لهم : « إن الدين يعيد الزنجى عبداً رقيقاً » ، ثم يشرح لهم أن الدين الذى يقصده ليس القروض التى تؤخذ على البيوت والعقار وتسدد أقساطها تسديداً منظماً . وقد ظفر نورمن تايلر بقرض على مزرعته قدره ٣٥٥٠ ريالا ، فوضع له أونيل خطة تمكنه من أن يوفى القرض فى عشر سنوات بدلا من ٤٠ سنة ، وهى المدة المألوفة ، فكان يدفع الأقساط مما يكسبه من محاصيله المنوعة .

أما شارلى وايترز فقد كان من المزارعين الشركاء قبل أن يعينه أونيل على شراء أول قطعة من الأرض ، وهو يملك اليوم ١٧٠ فداناً ، وقد باع فى الأشهر الثلاثة الأولى من هذه السنة خنازير بمبلغ ٩٣٠ ريالا .

وثمة اثنتا عشرة مقاطعة فى ولاية جورجيا قد سارت على غرار أونيل ، فهى تنظم معارض زراعية لأسر الزنوج كل سنة . وقد اقتبست سبع ولايات جنوبية طريقة فورت ڤالى فى تنظيم معارض اللحم والحبوب . وقد وفد على أونيل ومقاطعته عشرات من مفتشى الزراعة من بيض وسود ، ليدرسوا الأساليب الموفقة التى جرى عليها هـذا الرجل الداعية إلى توفير الحياة الرغيـدة عن طريق الإقدام والعمل الرشيد .

وقد سألت أونيل عن سر هذه العلاقات الطيبـة بين البيض والزنوج فقال : « لم أطلب أبداً لقومى شيئاً لا يستحقونه ، فلذلك ترى أصدقاءنا من البيض يوافقوننا . والقول بأن كل البيض فى جنوب الولايات المتحدة يريدون أن يديموا على الزنوج جهلهم وفاقتهم ، ليس قولا صادقاً . وقد كشف رجال التجارة والزراعة من البيض أن رفع مستوى العيش بين أسر الزنوج يوسـع آفاق السوق لجميع البضائع ويزيد رخاء الجميع . وقد دعوت إلى هذا الرأى جهدى . والناس الذين يتعاونون على القيام بمهمة عظيمة ، لن يجدوا فسحة من الوقت ليكون بعضهم حرباً على بعض » .

قال الأصمعى لأعرابى معـه شـاء :

لمن هذه الشاء ؟ فقال : هى لله عندى .

رجلٌ يصنعُ الرِّجال

روبرت ترسترام كوفن

أبى رجلا أتمنىّ لكل فتى أباً مثله .

كان محيطاً بكل شيء ، فى وسعه أن ينحت للغلام الصغير قارباً يلعب به ، وأن يبنى قارباً للفتى الكبير يجدّف فيه ، وكان فى وسعه أن يتولى نصب شراع السفينة ، وأن يصطاد الإوزّ البرىّ ، وأن يضمّر جواداً أو يستبدل به خيراً منه . وكان يحسن حكاية القصص ، ورسم الصور ، والغناء ، بل كان يحسن أيضاً عمل الدريس وزراعة البطاطس . وكان يجيد بناء البيوت وتعهد الأرض ، وتنشئة أطفال أشداء القوى . كان سيد نفسه فى عمله ، وكان يجمع بين كثير من أعماله فى ساعة واحدة . وكان كأصغر أبنائه شباباً وفتوّة .

كان أبى جميل المحيا مربوعاً مُدْمَج الخلق وثيق التركيب ، وكان طوله ست أقدام إلا قليلا ، وكان يؤثر من كل شيء أضخمه . وكان وسيماً حسن الملامح لأنه قضى أيامه وهو يستقبل بوجهه وهج الشمس وواكف الأمطار ، فصار أسمر اللون ملوّح البشرة . وله عينان زرقاوان بعيدتا الغور ، ولكنهما برّاقتان متلألئتان من ركوب البحر والتعرض لهوائه ، ومن تحديد بصره إلى البعيد من شعابه وشواطئه الملفوفة فى الضباب . وكان له شاربان يفتل طرفيهما فتلاً يخيّل إليك أنه مبتسم دائماً . وكذلك كان ، فقلما تراه إلا مبتسماً .

إن أول ذكراه أنى رأيته يبنى لنا بيتنا ، وقد جلّلت نشارة الخشب شعره وهو واقف ينشر بعض الألواح ، ويغنى بصوت جهورى غلب صوت النشر .

كان رجلا عصاميًّا ، وقد بدأ يعمل منذ درج على الأرض ، وشغله العمل شغلاً قطعه عن دخول المدرسة ، فكان يقرأ ليلا بعد أن يفرغ من عمل يومه الطويل فى محلج القطن ، فكان يحصّل ما ينفعه من العلم وهو راقد على بطنه أمام الموقد فى المطبخ . ولم ينقطع عن القراءة قط بعد أن بلغ مبالغ الرجال .

وكان واسع المعرفة حريصاً عليها ، فكان يشترى أربع صحف أو خمساً ، وصارت عنده مكتبة كبيرة تعجب أن يكون مثلها

لرجل سماك — فيها ٢٠٠٠ مجلد ، وكان حسن العلم بالجغرافيـة والفلك والملاحـة والسياسة والزراعة . أما التاريخ فكان أحبها إليه ، وكان شديد الكلف بسير عظماء الرجال . وكان يقرأ لى شكسبير منذ كنت فى السادسة ، فإذا بلغ فى القراءة دور ملك ، انطلق على سَنَنه كأنه هو الملك.

بيد أنه تعلم أكثر ما تعلمه من مزاولة الأعمال المختلفة خارج البيت، كصيد السمك وحرث الأرض والنجارة وبنـاء السفن — لا يبالى أيّ ذلك كان ، ما دام يرى أنه مستطيع أن يقضى حاجته ويفعل ما يبتغيه بيديه الغليظتين الجاسيتين . كان رائداً يحرث البرارى ويستعمرها ، وينبت نباتها ، ويملؤها بنسله . فإذا زحف عليه جيرانه فدنوا من أرضـه لم يعدمْ أرضاً جـديدة يستعمرها ، فيجتث شجرها ويعيد بناء داره ثانية . وكان كلفه ببناء دار جميلة يستنفد منه جهداً جاهداً .

وقد كانت جزيرة سبروس فى خليج كاسكو مثلا لما كان يصنع . فقد رحل إليها هو ووالدتى ليعيشا هناك يوم لم يكن فى أولادهما إلا من يحبو أو يدرُج ، ولم يكن لهما جيران فى أكثر الأيام إلا القطط أو البوم . وقد ساق والدى ثيرانه ومشى بها أربعة أميال على خليج غطاه الثلج ، فأنشأ دكانين فى المدينة ، وبنى بيديه زوارقه ومخازن غلته ، واستصلح قطعة من الأرض لزراعة الذرة والفول ، وتولى بنفسه صيد السمك ، وصنع مئات من الشباك لصيد الإرْبيان (الجمبرى) . كانت المعيشة ضنكا ، ولـكنه أطاقها وحمل عبئها . وكانت أمى تقضى الليالى والأيام والأسابيع ذوات العدد وحيدة لا أليف لهـا إلا أطفال يأخـذهم السعال ، ولا أنيس إلا ضوءٌ من مصباح منارة بينها وبينه أميالٌ من بَحر موحش .

فلما حان ميعاد هجرة أبى إلى بقعة جديدة، يمم شطر السور الذى بناه بالحجر حول المرعى وأخرج منه كنزه المخبوء ، وكانت جَرّة فيهـا ٢٠٠٠ ريال من الفضة ، كانت ذخيرة من أرباح خمس سنوات قضاها فى جزيرة سبروس ، جمعها من كدّ يديه ومن حديدة محراثه ومن شباك صيده .

ثم هاجرنا إلى الجزيرة الثانيـة حيث سقطت أولى أسنان طفولتى . فأنشأ والدى هناك بيتاً بناه من الأخشاب التى حملها اليمّ إلى الشاطىء . وكانت الجزيرة عرضة للرياح الهوج ، فاضطر إلى أن يثبت سقف البيت المعقود بسلاسل مضروبة فى الأرض ، فإذا اشتد عصف الريح خرج فى عباءته ليصلح هذه السلاسل . ويومئذ تعلمت كيف أتسلق على صخور جزيرة بُنْد .

فلما اشتد زمهرير البرد وعصف الرياح ، وتعسر العيش على وجه تلك الجزيرة ، دفع أبي بيت الخشب ونحن فيه حتى استقر على ظهر سفينته ، وأرسى بنا فى جزيرة قريبة من الأرض اليابسة . كانت جريرة موحشة ، فكنا نسمع عواء الوَشَق المفترس ونحن عائدون فى القارب ليلا من المدرسة . فإذا نزل الشتاء ، كان علينا أن نعود إلى بيتنا سيراً على أقدامنا قاطعين الخليج المتجمد ، وكان كل منا يحمل قضيباً طويلا من خشب الصنوبر لنتوكأ عليه فى مسيرنا خلال الثلوج ، وأمامنا دليل منا يشق لنا الثلوج بفأسه .

إن أروعَ شيء فى الحياة هو أن تحادث رجلا من بُناة التاريخ وتماشيه وتصحبه فى الركوب وتشاركه فى العمل . وقد اشترك أبى فى الحرب الأهلية الأمريكية ، وحمل صديقاً له من المعركة قد بترت ساقه وبدا بياض عظمها من سراويله . وكان يطارح أبراهام لنكولن النوادر وهو فى فراش المستشفى ، وحمل إلى مسقط رأسه ووزنه لا يزيد على ٩٠ رطلا ، ولكنه خدع أطباءه ، واختار لنفسه زوجة وأنشأ أسرة .

وكان يحب أن ينشأ أولاده رجالا لهم هيئة ومكانة فى الناس ، وكنا يومئذ عشرة أولاد ، فتلقينا دروسنا فى إحدى المدارس ولكنه علّم كل واحد منا حرفة يستطيع أن يزاولها ، فكان منا من يتولى بناء الزوارق ، وآخر يتولى النجارة ، وكنت أنا البنّاء أتولى المداخن وبناء الجدران .

وكان أبى يكدح كدحاً لا يدانيه فيه أحد من رجاله المستأجرين ، وكان يراقبهم ومِذْراه مغروسة فى التبن ، وفأسه على سطح مخزن الغلال . وكان كثيراً ما يتمثل بقول ابن فرنكلين الفيلسوف الأثير عنده : «إذا سرّك أن تتم عملا فاذهب إليه بنفسك ، وإلا فأرسل رسولا » . وكان أقذع ما يهجو به رجلا أن يقول عنه إنه « خادمُ عينٍ » ، وهو الذى لا يعمل إلا ما دمتَ عليه قائماً وعينك عليه .

وكان له كلفٌ شديد بالطعام الطيب ، وكان هو نفسه طباخاً ماهراً ، وكان مايطبخه أشهى طعام عندنا لا نكاد نبقى منه شيئاً . وكان يؤثر أن يأكل دائماً فى الهواء الطلق .

وكان أحب شيء إلى أبى أن يستكثر من الأصدقاء ، فكان يتعلم منهم أكثر مما يتعلم من كتبه . كان من أصدقائه محافظ الناحية ونوابها وطائفة من رجالات القانون والطب ، بل كان من أصدقائه أيضاً سماكون وفلاحون لا عهد لهم بشيء إلا بأسماكهم وغلالهم . وكان يقف فى متجره فلا يعدم المشترى أن يحمل مع بضاعته نصيباً من حكمته وفلسفته . وكان فى وسعه أن يقضى

الليل ساهراً يتكلم ، ولا يخونه أن يجد من جيد الكلام مايقول ، وإن كان عن الصعاليك والأوغاد ، وكان حديثه ينبض نبضاً بالحياة .

عرف أبي منذ البدء أنى أشد أبنائه حباً للقراءة ، فأعطانى مفتـاح مكتبته ، ثم وهبها لى أخيراً . وكان يبيح لى أن أظل أياماً أقرأ ، ويتولى هو عنى نصيبى من العمل ، بيد أنى تعلمت مما يقص علينا أكثر مما تعلمت من الكتب ، فعرفت منـه أشياء كثيرة من تاريخ الدنيا والرجال ، وقد علمنى كيف أشيم حالة الجـو من رؤوس إبر الصنوبر ومن ساريات الغمام ، وأن أقدر السنين من مقاطع شجر البلوط ، وعلمنى ناموس المد والجزر ، وقيافة آثار الطير على الثلوج .

وتخصص والدى فى أخريات أيامه فى زراعة اللفت وتجارته ، فكان يجنى من أرضه ٣٠ طناً من اللفت مستعيناً بسماد لايعرف سره إلا هو ، وأخفى أمره حتى حال بين جيرانه وبين أن يعرفوا هذا السر ، وهو طين يألفه محار البحر ، كان يحمله من الخليج عند الجزر فى الشتاء ، ويبسطه على أرض حقله الذى تغطيه الثلوج . وكنت أنا أعالج بيدى كل رأس من اللفت خمس مرات أو ستاً : أنقله من مكانه للزرع ، وأحرث أرضه ، وأسـقيه ، وأنتزعه من الأرض ، وأقطع رؤوسه ، وأعين فى التجديف بأوساق اللفت إلى حيث السوق . وكان أبى يصر على غسلها قبـل ذلك ، فكان هذا ضرباً من إتقانه لعمله ، وهو سر نجاحه فى الزراعة .

كان ذلك سر أبى ، فقد جعل حسن التدبير والمغامرة والكـدح مسلاة تخفّ على القلب ، فتراه غارقاً فى العمل ليلا ونهاراً . وجعل أكبر همه أن ننشـأ نحن الصغـار محبين لذلك أيضاً ، وقد عشنا إلى هذا اليوم ونحن لا نكاد نعرف متى انتهى وقت اللعب ومتى بدأت ساعات العمل .

وقد علم أبناءه الحياة ، بأن جعلنا نحياها بأنفسنا ، وبأن نحياها معه ، فكان يتيح لنا أن نناوله المسامير وهو يعقد سقف البيت ، ويجعلنا نعاونه فى جذب شباك الصيد ، وفى جعل التبن أكواماً ، وفى مطاردة الطيور التى يصطادها ، وكان يستبقينا أيقاظاً زُلَفاً من الليل ، ويوقظنا فى بكور الفجر .

ولما بلغ منه السن وأحس دنوّ الكبر ، صار ينفض يديه من العمل مدة تتيح له أن يجوب أمريكا إلى أقطارها الأربعة ، فطاف بأرجائها كلها ورآها وهى تنمو وتزدهر . لقد كان هو أحد بناة أمريكا هذه ، فقد كان فلاحاً وبحاراً وصانع سـفن ، وسماكا ، وقارئاً ، ومن سَراة الريف ، وصياداً ، ومفكراً ، ومؤمناً بالحياة ، ومحبًّا للحياة ــ رجلاً يستصلح الأرض ويصنع الرجال .

مَن المدين ؟

كاترين فوربز

قصة مختصرة من صحيفة "تورنتو ستار" الأسبوعية

هايد هذا الإعلان : « غرفة للايجار » معلقاً فى النافذة فدخل ، فمضيت به أنا ووالدتى إلى الغرفة ليراها . وكأن والدتى أهملت أن تسأله أن يدفع الأجر مقدماً ، أو أن يذكر رجلا معروفاً يمكن الرجوع إليه ، لأنها لم تعهد من قبل تأجير الغرف .

فقال المستر هايد بلهجة المثقف الرقيق : « أرى الغرفة ترضينى ، سأبعث بحقائبى فى المساء ، وبكتبى أيضاً » .

وصار المستر هايد كأنه أحدنا . نعم ، كان يغدو ويروح كأن عمله غير منتظم المواعيد ، ولكنه كان رقيق الحديث مع الصغار ، وكان إذا مرَّ بوالدتى فى البهو ينحنى لها انحناء السيد الكريم .

وأحبه والدى أيضاً ، فقد أتيح لهايد أن يذهب مرة إلى النرويج موطن أبى ، فكان فى وسعه أن يتحدث معهُ عن مباهج صيد السمك هناك .

بيد أن العمة جنى لم تمِلْ بقلبها إليه . وكانت تملك منزلاً تؤجر غرفاً فيه ، فصارت تسأل : « متى ينوى أن يوفى أجر غرفته ؟ »

فكانت أمى تجيبها : « يشقُّ علىَّ أن أسأل ، ولكنه سيفعل قريباً » .

ولكن عمتى كانت تسخر مما تقوله أمى ، وتقول إنها رأت أناساً على شاكلته من قبل ، وخير لوالدتى أن تنسى المعطف الذى تنوى أن تشتريه من إيجار الغرفة .

فوقع ذلك وقعاً أليماً فى نفوسنا نحن الصغار . ألم تؤجر والدتى الغرفة لكى تنال قليلا من المال يعينها على شراء معطف للشتاء ؟ أما والدتى فكانت تبتسم حين ترى أمارات الهمّ على وجوهنا ، ثم تعنّفنا بقولها : « ما هذا الكلام ؟ » ثم تمضى تعدُّ القهوة لعمتى حتى تكفَّها عن الثرثرة .

فلما أقبل فصل الشتاء ، ركب الهمُّ أمى لأن حجرة هايد باردة فى الليل ، فحملت أبى على أن يدعوه ليشاركنا الجلوس فى المطبخ الدافىء ، فكنت أجلس مع إخوتى تحت مصباح كبير نعدُّ دروسنا ، وكان أبى وهايد يدخنان الغليون قرب الموقد ، وكانت والدتى تعدُّ الجبن للفطور .

وكان هايد يرشد أخى نلز فى أمور درسه ، ويعينه فى الحين بعد الحين فى

اللاتينية. فزاد اهتمام نانز بدروسه، وعلت درجاته، وتوقف عن التوسل إلى أبى حتى يعفيه من الذهاب إلى المدرسة ليعمل عملاً يجدى عليه قليلا من المال.

وكنا إذا فرغنا من دروسنا، وجلست أمى فى كرسيّها الهزاز تخيط، تلتفت إلى هايد فيحدثنا عن أسفاره ومغامراته. ما أوسع علمه! فكأنك ترى التاريخ والجغرافية قد نفخت فيهما حياة فجاءا يدبّان فى الغرفة دبيباً. وكان هايد قد درس فى أكسفورد وشدّ رحالهُ مطوّفاً فى أرجاء الأرض.

ثم بدأ يقرأ ديكنز فى إحدى الليالى. فلم نلبث حتى ألفيناه يقرأ علينا كل ليلة بعد أن ننجز دروسنا. فكان يأتى حاملا أحد كتبه ويقرأ بصوت عال، فتفتحت أمامنا آفاق عوالم عجيبة.

وبعد أن قرأ كتابين من مؤلفات ديكنز، قرأ لنا شيكسبير، وكان صوته يبدو لنا كصوت ممثل عظيم.

فلما دار الفلك دورتهُ وعادت شهور الدفء، صرنا نحن الصغار نمتنع عن التوسل إلى والدينا ليأذنا لنا فى الخروج للعب مع أترابنا، وأظن أن أمى فرحت بذلك، فقد كانت تكره أن ترانا هائمين نذرع الشوارع والطرقات.

وخير من هذا كله أن أخى نانز هجر ناصية الشارع حيث يلتقى بلداته، فلما هجم لداته على مخزن ديلون واعتقلتهم الشرطة، كان نانز فى البيت معنا لأنه كان متلهفاً أن يسمع الفصل الأخير فى رواية ديكنز: داڤيد كوبرفيلد.

وكان هايد قد قطع شوطاً بعيداً فى تلاوة رواية أيفنهو، يوم تلقى رسالة، فقال لأمى: «ينبغى أن أرحل. سأترك كتبى لنانز والصغار. وهذا شيكٌ بكل ما علىّ، وأرجو أن تتقبلى يا سيدتى شكرى الصادق على حسن ضيافتك».

وقد أحزننا أن نراه يرحل، ولكن ذكر كتبه استخفنا فرحاً، فحملناها إلى المطبخ. ما كان أكثرها! فقرأنا بعض عنواناتها: قصة المدينتين، أليفر تويست، حلم ليلة فى منتصف الصيف، هامليت...

فترفقت أمى فى نفض الغبار عنها ثم قالت: «ما أكثر ما نستطيع أن نتعلمه منها! وفى وسع نانز أن يقرأ علينا كلّ مساء، كما كان هايد يفعل».

فزُهِىَ نانز بما سمع.

وعرضت أمى الشيك على العمّة جنى، وقالت: «أرأيت، سأظفر بالمعطف أيضاً».

ومما يؤسف لهُ أن العمّة جنى كانت لا تزال فى بيتنا ساعة جاء المستر كروبر،

صاحب المطعم والمخبز فى شارعنا ، وكان يتميز غيظاً .

فصاح : « هـذا الرجل هايد لصٌّ . انظرى إلى الشيك الذى أعطانيه . لاقيمة لهُ . وقد قال لى رجال المصرف إنه صرف مثل هذه الشيكات فى جميع أرجاء جيرتنا »

فهزّت العمّة جنى رأسها كالمنتصر فكأنها تقول : « ألم أنبئك بحقيقته ؟ » . وقال المستر كروبر : « ولا ريب فى أن هـذا الرجل مدين لكم بمبلغ غير يسير من المال » .

وأجالت أمى نظرها فينا حتى استقرّ على نلز ، وقالت : « امض يا نلز فى قراءة أيفنهو » .

ثم سارت إلى الموقد ، وألقت بالشيك فى النار وأجابت المستر كروبر : « لا ، لم يكن مديناً لنا بشىء » .

واحدة بواحدة

كان بين صيادى ساحل مين رجل يكسب مالاً لا بأس به كلّ صيف مما يصيدهُ من حيوان البحر بزورقه الصغير ، وكانت له شهرة ذائعة لما يلفقه من نوادر عجيبة . فجاءته فى أحد الأيام أرملة بدينة من أهل المدينة وجعلت تتبختر أمامه فى ثياب أهل الحضر وفى دلال نسائه ، ثم رفعت صوتها حتى غلب صفير الريح وقالت : « يقولون لى يا كبتن إنك أعظم كذاب على ساحل مين » .

فرفع الرجل قبعته الرثّـة التى طحنتها الرياح ، وانحنى فى زورقه وبالغ ما استطاع وقال : « أنت يا سيدتى أجمل امرأة وقعت عليها عينى » . [زولما ستيل]

كان من الكتاب المسرحيين المزهوّين ، فلما دنا موعد افتتاح مسرحيته الجديدة أرسل إلى محافظ المدينة تذكرتين لحضور الحفلة ، ومعهما رسالة قال فيها : إن للمحافظ أن يصحب معه صديقاً « إن كان له صديق » .

فأعاد المحافظ التذكرتين مع رسالة توخّى فيها غاية الأدب وقال : إن ارتباطه السابق بموعد آخر يحول دون حضوره حفلة الافتتاح ، ولكنه يرضى أن يشترى تذكرتين للحفلة الثانية « إن كانت ثمة حفلة ثانية ! » [جونى ما كنتاير]



حيوان رقيق الحاشية رزين العقـل ، يتولى أشق عمل فى مقاطع الأخشاب فى الهنـد .

طبائع الفيلة العاملة

الماچور أ . و . سميث ● مختصرة من مجلة "أتلانتيك الشهرية"

ظللت سـنوات أعمل فى شركة لقطع أخشـاب السّاج فى غابات برما وسيام ، فكان نقلها من المقطع إلى الأنهار الجارية يقتضينا أن نستخدم أكثر من ٢٫٥٠٠ فيل يبلغ ثمنها نحو ٣٫٧٥٠٫٠٠٠ ريال ، فليس عجيباً ، أن تصبح معرفتنا بها ضرباً من العـلم الشائق .

ولا تظنن أن هذه الفيلة تعيش فى أسر ومذلة بل هى عزيزة مكرمة ، وقد جعلتها العناية التى تحاط بها ، أصح أبداناً وأجمل منظراً من أخواتها ساكنات الغاب .

والفيل فى الغابة يقضى مابين ١٨ ساعة إلى ٢٠ ساعة فى اليوم وهو يأكل ، لـكى يستطيع أن يزود هـذه الضخامة المفرطة بالطعام الأخضر . ومن عادته أن يمشى وهو يأكل متقمماً من أوراق الشجر ، وهو ينام غراراً ، ساعة أوساعتين فى كل غفوة .

وفيل الأخشاب لايعمل سـوى ثلاث ساعات أوأربع فى اليوم ، وذلك عند مطلع الفجر ، وعمله لا يتجاوز أربعـــة أيام فى الأسبوع ، ويعفى من العمل فى زمن القيظ . بيد أن هذا القدر الضئيل من الجهد يضنى قواه فيُغاث كل يوم بما يردّ عليه قوته من الملح والتمر الهندى الذى يحبه حباً جماً ، وهو يقـاد كل يوم إلى حيث يستحم ، ثم يدلك جسمه بالغليظ من لحاء الأشجار وقشر جوز الهند ، ويباح له فى وقت راحته واستجمامه أن يجوب الغابات حيث يشاء ، وفى عنقـه سلسلة ضخمة بجرّها تترك على الأرض أثراً يسهل اقتفاؤه ، ويعلق فى عنقه جرس يكون عادة من الخشب ، ولـكن إذا كان الفيـل مخشى الخطر استبدلوا به آخر من المعـدن لتـكون صلصلته المتميزة نذيراً عند الخطر .

ومراحل حياة الفـيل شبيهة بمراحل حياة البشر . فالصغير يكاف بالعمل الخفيف وهو فى السادسة عشرة من عمره ، فإذا بلغ

الخامسة والعشرين بلغ تمام قوته على العمل . والأنثى تحمل جنينها وهى فى الثامنة عشرة ، وهى عندئذ صغيرة . والفيلة تعفى من العمل إذا بلغت الخامسة والستين ، وقلما تعيش بعد الخامسة والسبعين .

والفيل الهندى يبلغ ارتفاع بدنه ما بين ثمانى أقدام إلى تسع ، ويبلغ وزنه نحو خمسة أطنان. وللذكر في الغالب أنياب ، بيد أن ذلك ليس عاماً ، والذكور التى لا أنياب لها هى أجملها أبداناً حين تبلغ تمامها ، وتسمى «الآلفة». ويقول الفيالون من أهل الهند وبرما أن الفيل الآلف يستطيع أن يقهر الفيل ذا الناب بأن يولج خرطومه تحت أحد نابى خصمه وفوق الناب الآخر ، ثم يستجمع قوته ، فإما أن يصرعه وإما أن يقصف أحد النابين . وسواء أصح ذلك أم لم يصح ، فالمشاهد هو أن الفيل الذى لاناب له هو غالباً قائد قطعان الفيلة .

والفيلة عادة مفطورة على رقة الطباع ، وإن كنت تجد بينها أحياناً فيلا عارماً مشاكساً ، والذى يجعله كذلك فى الغالب جرح قديم يهيج به ، أو وجع فى الناب ، وهو أشبه الأشياء بوجع الأضراس إذا اشتد.

وذكور الفيلة تصاب أحياناً بحالة تسمى « هياجاً » ، وهذا الهياج لا علاقة له بالغُلمة الجنسية ، بل مردّه إلى إفراز غزير فى بعض غدد الرأس. فإذا اعترى الفيل «هياج» صار لزاماً أن يربط ويطعم باليد حتى تنجلى غاشية الهياج . ولو ترك طليقاً لكان خطراً مخوفاً . وكان عندنا فيل من خير فيلتنا العاملة فاعتراه الهياج وانفلت على وجهه زائغاً حتى أعجزتنا الحيل فى ردّه . فحاولنا أن نطعمه الأفيون والحشيش فخلطنا الأرز غير المقشور بقطع منهما فكان ينفى هذه المخدرات وينبذها ويأكل الأرز خالصاً . فحاولنا أن نرميه بالأنشوطة فأعجزنا وأخيراً ثار ثائره فانقض على قرية ودمرها وقتل رجلين من أهلها .

فانبرى له أحد رجالنا ، وظل أسبوعين يقتفى أثره . ودنا ذات ليلة من أجمة لفّاء ، فخرج عليه هذا الفيل يَبْرُق ناباه ، فوقف هنيهة ساكناً لا يحدث صوتاً ، ثم إذا به يرفع رأسه ويشيل بخرطومه ويلويه حتى صار كالكرة ، ثم هجم على الرجل بسرعة لا يصدقها من لا عهد له بالفيلة ، فبادر الرجل وأسرع إلى بندقيته ، وكانت محشوة برصاصتين من الرصاص النفاذ .

فلو تعجل في الإطلاق كان أقرب إلى إخطاء مرماه ، فإن دُماغ الفيل أصغر من أن يكون هدفاً سهلا ، وإصابة الدماغ هى وحدها الكفيلة بصرعه وصدّه . والفيل إذا كان رافعاً رأسه ولاوياً خرطومه عليه كان ذلك أمنع له وأحصن ، وأصبح تسديد

الضربة أحوج إلى الدقة وحسن التقدير .

ثم هجم الفيل عليه ثقيل الوطأة تهتز الأرض تحت مواطئه ، فلما صار على بعد ٥٠ ياردة أطلق الرجل بندقيته ، فذهبت الطلقة سدى ، ثم أطلق الأخرى وهو على بعد ٢٠ ياردة ، فهوى الفيل وانكب وزحف على يديه وهو يحفر الأرض بنابيه ، فأثار سرادقاً من الغبار ، ولم يكد يكف عن الحركة حتى كان على بعد قدم أو قدمين من مكان عدوه .

والفيلة أقل حيوان الغاب حدة فى البصر والسمع والشم ، فما من شىء يحمل الفيل على شدة الحذر ، إذ كان لا يخشى شيئاً إلا ما قد يكون من هجوم النمر على صغيره وافتراسه .

وقد كان عندنا فيل فأضل صغيره ، وقدرنا أنه انضم إلى بعض قطعان الفيلة الوحشية . وبعد أيام أخبرنى أحد قائفى الأثر من أهل برما أنه قد رأى هذا القطيع يرعى على بعد ميل منا ، واقترح على أن نخرج للبحث عن ضالتنا بين فيلة هذا القطيع ، فاعتصمت بصخرة ظليلة فى بطن وادٍ عميق ، فكنت أسمع وطء الفيلة قريباً منى ، وأراها أحياناً وهى على مسافة ١٠٠ ياردة ، ورأيت قائف الأثر يدخل بين الفيلة ، ويتوسمها واحداً واحداً ، وكانت عدتها ٢٦ فيلا ، وكان لا بد له من أن ينظر في أدبارها باحثاً عن وَسْم الشركة عليه . ولم يقنع بذلك ، فانقلب إلى مهب الريح وساق القطيع كله إلى حيث كنت ، فمرت بى حتى كان بعضها على مسافة عشر أقدام من مكانى ، ووقف بعضها قليلا ليبترد بالمـاء ، ولكنها جميعاً مضت ولم تساورها ريبة فى وجودى .

وغريزة تعاطف القطيع قوية في الفيلة ، حتى أنها كانت سبباً في تدمير أكبر جانب من محطة على سكة حديد برما . وذلك أن شركة ألمانية تتجر في الحيوان اشترت منا فيلا صغيراً ، فوضعوه فى عربة ، فلما جنّ الليل خزنت العربة فى بعض التحاويل . ولما كان هذا الصغير لا عهد له بمثل هذه المعاملة ، فقد بدأ يصرخ صراخاً كاد يشق قلبه ، فجمع صراخُه كل الفيلة في هذه الناحية ، فبدأت تكسّر العربة ، فلما أطلقت سراح الصغير ، انقلبت إلى المحطة تدمرها تدميراً

وأكثر فيلة الأخشاب قد ولدت فى مقاطع الخشب ، وربما كان بعضها نسل أبوين رفيقين في المقطع ، ولكن الأغلب أن تجد للأنثى رفيقاً يطرقها من الفيلة الوحشية . ولعله من الصعب أحياناً أن تعرف متى يقترن فيل وفيلة ويتسافدان ، فإن سِفادها لا يسبقه هياج ، وليس للفيلة زمن معروف للتسافد . وقد ترى فيلا وفيلة قد تصادقا ثم تنقلب صداقتهما إلى مخادنة ، فيأبى أحدهما أن يعمل إلا ومعه خِدْنه ورفيقه ، فربما مضت

الأسابيع أو الأشهر حتى يتم بينهما التسافد .

ومدة حمل الفيلة تتراوح بين ١٨ شهراً و ٢٢ شهراً ، بيد أنه من الصعب أن تتبين الأنثى أحامل هي أم غير حامل ، فإن الفيلة رحيبة ما بين الضلوع ، حتى يعجز المتأمل عن معرفة حملها وهي في أواخر أيامه ، وقد نرى أنثى فيل قد جاءت تمشي بيننا ومن ورائها وليد لم يمض على ولادته إلا قليل ، ولم يكن أحد منا قد شك في أنها حامل .

ووليد الفيلة ينزل من بطن أمه ساعياً لساعته ، ويكون خرطومه ضئيلا قصيراً ، فيرضع أمه بفمه لاويا خرطومه إلى خلف . والفيل على نقيض ما يتوهم الناس لا يشرب بخرطومه ، بل يحمل الماء بخرطومه ثم يلويه ويرسل الماء منه إلى فمه .

ولأهل الهند في صيد الفيلة أساليب : منها (الـكِدّة) وهي حظيرة ذات أسوار واسعة المدخل ثم تضيق وتضيق حتى تصير كعنق الزجاجة ، فيساق القطيع إليها ، أو ربما جاءها من نفسه ووقع في شراكها . وبعض الفيلة يصاد بطريقة أخرى قوامها الشجاعة والمهارة والصبر ، فيفتلون من أعواد الخيزران حبلا يبلغ طوله نحو ٤٠٠ قدم وله أنشوطة في طرفه ، فيضع الصائد عينه على قطيع من الفيلة ، ويصطفي من بينها فيلاً صغيراً ، ولا يزال به حتى يفصله عن القطيع ولا بد لذلك من طول الصبر حتى يتفق له أن يجد هذا الفيل وحيداً يرعى ويأكل .

وعندئذ يبدأ عمل الصائد ، فيميت الصوت حتى لا يشعر به الفيل ، ثم يجهد جهده حتى يضع الأنشوطة حول إحدى رجليه حين يرفعها عن الأرض . ولا تحسبن أن الفيل بذلك قد صار صيداً في يد الصياد ، وأن أنشوطة تطوق ساقه قد قهرته ، بل يأتي بعدئذ أن يحدثوا خلفه ضجة هائلة فينفلت على وجهه يجرّ وراءه حبلا من الخيزران طوله ٤٠٠ قدم ، ولا يزال هذا الصوت يفزعه والحبل من ورائه يتعلق بالأشجار حتى يضنيه ويعييه ، فربما قضى على هذه الحالة نحو ٢٠ ساعة وهو يعدو بسرعة ١٠ أميال في الساعة ، ويكون لزاماً على الصائد أن يتبعه حيثما مضى ، ثمّ يأخذه ويقيده ساعة يتحلل به الإعياء والتعب .

والفيل مهما اختلفت أساليب صيده يظل عاماً كاملا غير صالح للعمل ، وربما أدركه الموت من جراء ضعف القلب الذي أورثه إياه ما لقي من جهد حين اصطيد . فإذا جاء الوقت الذي يصبح فيه صالحاً للعمل ، أمكن تدريبه في ثلاثة أسابيع ، ويبدأ تدريبه بسياسته وإطعامه حتى يألف سائسه ومطعمه من البشر . وتبدأ سياسته عادة بأن يلمس بدنه بأعواد طويلة من الخيزران . وأخيراً

يتيسر لهم أن يضعوه فى قفص من الخشب المتين معقود عليه قبة من قضبان الحديد يبلغ ارتفاعها فوق ظهره نحو أربع أقدام ، ثم يشرع رجل من الفيّالين يتدلىّ من السقف على ظهره ، ثم يأخذ يتحرك حتى يألف الفيل هذه الحركة أيضاً وفى خلال ذلك يخرجون به محملا ببعض الأحمال الخفيفة وحول عنقه حبل غليظ مقروناً به إلى فيل أو فيلين من الفيلة المدربة المعروفة باسم « كونكى » ، أى الأساتذة . فإذا كان لا بد من عقاب ، فيتولى عقابه فيل من الكونكى وذلك إما بأن يضربه بخرطومه أو بأن ينطحه فى جنبه . والكونكى هى فى العادة إناث ضخام الجثث هادئة الطباع ، تزاول العمل راضية عما تعمل .

واتخاذ فيلة صغار تدلل وترفّه محرّم كل التحريم ، إذ تصير عارمة شديدة الخطر . ويباح لها فى زمن صباها أن تلاعب الناس ، ولكن لعبها لا يلبث أن يخرج عن حد المزاح والعبث ، فإنها لا تكاد تحس بقوة أبدانها وقدرتها على البطش بالإنسان ، حتى تصير خطراً داهماً على سوّاسها .

وعمل الفيلة في العادة هو جر كتل أخشاب الساج من مقاطع الخشب إلى الأنهار أو إلى طرق عربات النقل ، وقد يتفق أحياناً أن لا يكون ثمة طريق ممهد ينحدر إلى النهر ، فعندئذ يصنعون من الخشب منحدَراً تدحرج عليه . ومن العجيب أن الفيلة سريعة التعلم لفن دحرجة الأخشاب ، وقد يسرك أن ترى فيلاً عند رأس المنحدر حُلّت سلاسله المربوطة فى كتل الخشب ، فإذا هو يرفعها ويناولها للفيّال الراكب على ظهره ، ثم لا يزال يسوى الخشبة حتى تستوى على مجرى المنحدر . ثم يستجمع قوته ويدفعها بنابيه وخرطومه ، وربما ركلها أيضاً بإحدى يديه ، ثم تراه واقفاً يرقبها وهى تنحدر ، فإذا رضى واطمأن أسرع عائداً إلى أخرى ينقلها .

وكتل الخشب تنقل أحياناً إلى النهر على عربات تجرها الثيران ، فتتولى تحميل العربات فيلة مدربة على هذا العمل . والفيل المدرب يستطيع أن يرفع كتلة من الخشب على نابيه ، ويضعها على العربة بغير معين ، ولا يزال يزحزحها قليلا قليلا حتى تستوى فى مكانها .

وإذا تراكم الخشب فى بطن النهر ، أرسلوا الفيلة لتخليص بعضها من بعض ، فإذا هى تنزل إلى الماء وتغوص فيه إلى المنكبين ، وتدفع الأخشاب المتراكمة بأنيابها وجباهها أو تجرها بخراطيمها حتى تخلص بعضها من بعض ويحملها تيار الماء .

والفيلة هى عند أصحابها كالخيل عند أصحابها فقد جربوها فعرفوا أنها حيوانات مفطورة على رقة الحاشية ورزانة العقل .

أنــا عميــاء

أليس برتس
مختصرة من "بداست تايمة"

يوماً مشرقاً من أيام الربيع ، وكنت عائدة من الغابات أحمل ملء ذراعى أزهاراً ناضرة ، وفوق مروج القمح سماء صافية زرقاء ، فكانت أشجار البرقوق فى حديقتى كأنها قطع من سُحب بيضاء كثيفة معلقة على عيدان ، وكان حوض السوسن أشد صفرة من قرص الشمس ، وكان الجمال الذى ينبض بالحياة حيثما نظرت، ينعش نفسى .

جثوت على ركبتى لأنتزع الحشائش من حوض الزنبق ، ومضى الزمن دون أن أشعر ، ولما هممت بالوقوف لم تقوَ ساقاى على حملى . لم أشعر بألم ، ولكن ركبتى لم تتحركا كما ينبغى .

شاور زوجى الدكتور آرثر برتس بعض الأطباء ، فأشاروا بعد الفحص بإجراء جراحة « بسيطة » . وبعد أربعة أشهر تطور المرض تطوراً لم يكن متوقعاً كاد يودى بحياتى . فلما ثاب إلىّ رشدى، كان أول ماخطر ببالى أننى فى غرفة مظلمة، ثم صارحنى الطبيب بالحقيقة : لقد أصبحت عمياء .

رقدت كأنى جثة هامدة ، إنه لكابوس جاثم . ولكن لا ، لقد كانت حقيقة لايشوبها ريب ، وسأظل كذلك ما عشت .

فتشددت وقد استبدّ بى الذعر ، ثم تحرك فى نفسى شىء ، فجعلت أدعو الله دعوة خالصة أسأله شيئاً واحداً ، وأخذت أكرر هذا الدعاء : « اللهم ألهمنى الشجاعة » .

فلما غادرت المستشفى نقلت إلى بيت قضيت فيه الأشهر القليلة الباقية طريحة الفراش ، وكان زوجى يحرص على أن يأتى ساعة الغداء لكى يخفف عنى ملل حياتى الرتيبة . فكان يقرأ لى قبل أن يغادرنى بصوت مرتفع قصة من مجلة . فإذا كان بعد العشاء قرأ أخباراً من الصحف أو نبذة من كتاب . أما فى سائر الأوقات الأخرى فلم يكن لى عمل سوى أن أرقد وأفكر . وقد دفعتنى هذه العزلة وهذا النأى عن العالم إلى دراسة طريقة برايل لقراءة العميان، فكانت القراءة فى الأشهر الأولى تستغرق ساعات طوالاً من زمنى . وقد وجدت لكتب العمى مزية نافعة : إذ يكون فى وسع المرء أن يقرأها وهو تحت الغطاء فى الليالى،

الباردة . وبعد زمن كنت أستمتع أيضاً « بالكتاب الناطق » ، وهو أسطوانات مسجلة للكتب والقصص القديمة والحديثة .

كان على أن أتعلم دروساً كثيرة فى حياتى الجديدة ، فلما تماثلت قليلا انتقلت من ضجعة السرير إلى الاستواء على كرسى . فكان يخيل إلى أن الفضاء فسيح بحيث كنت أخشى أن أهوى فيه ، ولم أتمكن من التغلب على ذلك الخوف إلا بعد عامين . وتعلمت كيف أخطو خطوات قصيرة ، وأن أدفع قدمى بحيث تحتك بالأرض حتى لا أصطدم بالأثاث فى مسيرى ، وكان يسرنى أن ينزل بنا الضيوف للعشاء عندنا ، غير أن تناول الحساء الذى كنت فى أول الأمر أريقه خارج القدح ، واستعمال الشوك والأكواب، كان أمراً عسيراً . ثم مضت الأيام حتى تيسر لى أن أشترك فى الحديث وأن أستعمل يدى فى وقت معاً .

وكان زوجى يحمل هماً بالغاً من جراء محنتى ، فكنت أذكر له طرفاً مما أقاسيه دون أن أشير إلى المشقات التى أصادفها ، لأقنعه بأنى حين استعدت قوتى استعدت معها أيضاً مقدرتى على العمل .

وتصرمت سنتان قضيتهما بين القراءة ، والحديث إلى الأصدقاء ، والتفكير فى إعداد وجبات الطعام . ثم أحضر آرثر ذات يوم مجموعة من أزهار البرقوق والسوسن ونسقها فى الزهريات، ثم قادنى إليها لأمسها بيدى . وإنى لأعتز بهذه الذكرى .

ومر صباح ثم آخر ، فأيقظتنى الوصيفة قائلة لى إن زوجى راقد على أريكة غرفة الجلوس ، وإنها تظن أنه متوعك ، ثم ساقتنى إليه ، فجلست دون أن أفوه بكلمة خوفاً من أن أزعجه من نومه ، فاستدعت الوصيفة عامل المصعد فدخل على وقال لى بصوت هادىء : « لاتخافى يامسز برتس »

فالتفت إليه وسألته : « هل مات ؟ »

فأجابتنى الوصيفة قائلة : « أجل يا مسز برتس » .

انتقلت إلى بيت أصغر حتى يكفينى الدخل القليل الذى تدره على أملاك زوجى ، وآثرت أن أعيش وحيدة ، وأن أتولى خدمة نفسى ، على أن أعيش فى نزل بين غرباء . كانت حياتى خالية من بواعث السرور ، ولكن كان على أن أملأ قلبى شجاعة حتى أعيش ، فجمعت خيوط حياتى السابقة لأنسج منها حياتى الجديدة .

لقيت فى أول الأمر بعض المتاعب . وبعد جهد استغرق زمناً ، انتهيت إلى طريقة سهلة تيسر لى قضاء حاجاتى ، فكنت حين أستيقظ أضع القدر اللازم من البن والماء فى إناء على موقد كهربائى ، وهو لمثلى أسلم

عاقبة من الغاز . ثم أشعل لفافة وأفكر فى تدبير شئون سائر يومى إلى أن تفوح رائحة القهوة فأرفعها ، ثم أشرع أسخن الخبز على الموقد ، فما أكاد أفرغ من وضع الزبد على قطعة الخبز الأولى وأقضم شيئاً منها ، حتى تكون القطعة الثانية قد أخذت قسطها واحتاجت إلى أن تقلب على الوجه الآخر . فما أفرغ من أكل القطعة الأولى حتى تكون الثانية قد نضجت كلها . وبعد أن أنتهى من فطورى ، أدخل فأستحم ثم أرتدى ثيابى ثم أغسل الأطباق. فإذا شرعت أنفض الغبار عن الأثاث جعلت أحرك يسراى برفق أمام الخرقة حتى أعرف مكان الأشياء الصغيرة وأتجنب طرحها على الأرض . وقد نبذت الأشياء القابلة للكسر واستبدلتها بأخرى من المعدن والخشب .

كان أكثر طعامى من المأكولات المحفوظة فى العلب ، فكان الصبى الذى يوزعها يتفضل علىّ بأن يذكر ما فى كل علبة منها حين يناولنيها ، فأضعها على الرف بترتيب حروف الهجاء . وبعد أن أتغدى أرتدى ثيابى بعد الظهر ، ثم أعد الشاى لمن عسى أن ينزل علىّ من الأصدقاء ، وكنت أعرف الوقت بساعة العميان . وقد يسرتُ على نفسى اختيار الثياب بالاقتصار على بضعة ألوان مختلفة النسيج ، حتى يسهل علىّ أن أميز كل واحد منها باللمس . وكانت طريقتى فى حفظ الملابس هى أن أعرف مثلا أن الوشاح الرمادى من الصوف ، والوشاح الأسود من المخمل وكل ما أملكه ينبغى أن يكون دائماً فى موضعه الخاص. ولم أنل ما نلته من سهولة العثور على الأشياء التى أبغيها إلا بعد ساعات من التفكير والتدبر ، فنحن العميان ، خلافاً للاعتقاد الشائع ، لا نأتى بالمعجزات وليست لنا « حاسة سادسة » .

وسرعان ما تعودت الخروج مع بعض الأصدقاء إلى الحوانيت والمآدب . غير أنى أدركت أننى سأكون عرضة للإثقال عليهم ، لذلك اتفقت مع سائق سيارة رقيق الإحساس يقف على مقربة من بيتى ، فخرجت معه ذات يوم أطوف بالسوق بمفردى لأول مرة ، فقادنى إلى الدكان وهدانى إلى مدخله ، ثم سرت مع أحد رجال الدكان ، وهكذا بدأت أعظم مغامرة لى فى سنوات عماى . وبعد فترة قصيرة صرتُ أخرج بمفردى إلى المطاعم ومنتديات الموسيقى والأوبرا ، وكانت كل محاولة جديدة تزيدنى شجاعة وشعوراً بالحرية . ولعل الناس حين رأونى أول مرة أتعشى وحدى فى المطعم رأونى سيدة وقوراً يكلل الشيب هامتها ، ولكننى كنت فى قرارة نفسى فتاة فى السادسة من عمرها فى يدها علبة حلوى !

كان ما لقيته وما قاسيته سبباً في صرف اهتمامي إلى من أدركهم العمى وهم في ميعة الشباب ، فقد علمت ماذا فقدوا من متاع الحياة ، وأي حياة يستقبلون . فعزمت على أن أعين المبتلى على بلواه ، فبدأت أحادث ممرضات معاهد أمراض العيون عن مشاكل من أصابهم العمى ، وذكرت لهن بعض الآراء في طريقة بعث الرجاء في نفس الأعمى الوحيد المفرد، وذكرت لهن بعض الملاحظات النافعة في هداية العمى وقيادتهم . فينبغي مثلا أن تحادث الأعمى قبل أن تلمسه حتى لا يأخذه من الذعر ما يأخذ البصير إذا لمسته يد مفاجئة في جوف الظلام . وبينت لهن أن من أجدى الأشياء وأعظمها أن يعلموا الذي فقد بصره أن ينفي عن نفسه الخجل من كلمة « أعمى » ، فإن تردادها واستعمالها تذهب عنه شعور الخزي وترفع الحرج عمن يدانيه أو يعاشره .

وقد أدركت أن ادعاء الغنى عن معونة الناس هو العقبة في سبيل التفاهم بين العمى وسائر إخوانهم ، والعمى هم الملومون حين يتحرجون من ذكر ما يحتاجون إليه من معونة .

وليس للأعمى محيص من عدم الرؤية ، بيد أن ذلك خليق أن يعلمه كيف يواجه الحقائق سافرة ، وأن يتندر على نفسه ، وأن يقدر الناس حق قدرهم . وأنا حين تعلمت كيف أصبر على بلوى العمى ومضايقه، اكتشفت لذة السعادة في الأشياء القليلة الشأن ، فلم تعد الأزهار عندي أزهاراً وحسب ، بل ذكرى بساتين كان في وسعي يوماً ما أن أتملى برؤيتها .

وسر النجاح في هذه المغامرة هو حسن التقرب إلى الناس بقلب سليم : فإذا ما قلت : « أنا عمياء فهل لك أن تساعدني ؟ » فإن ما أجده في أصوات الناس من الرقة يجعل حياتي تتوهج بالود والمحبة . ومن نظر إلى الدنيا نظرة الأعمى لم ير فيها أثراً للخبث أو الجشع أو الخسة .

الحكمة من أفواه الصغار

أخذت أم تعظ ابنها الصغير مبينة له أننا إنما وجدنا في هذه الدنيا لكي نعين غيرنا من الناس ، ففكر الولد قليلا ثم سألها في لهجة الجاد المهموم : « وما الغرض من وجود غيرنا من الناس ؟ »

دلت تجربة أهل السويد على أن المصانع التى تشيد فى جوف الأرض قد تكون أروح للعمال ، وأوفر فى النفقات ، وأعون على الإنتاج من مثيلاتها فوق سطح الأرض .

أهل الكهف فى العصر الحديث

رالف ولاس

مختصرة من صحيفة "ذى وشنطن پوست"

يطلب فى جوف الأرض فى السويد على مصانع فيها آلاف من العمال ، قد حفرت فى بطون الجبال لتكون مأوى وملاذاً ، وذلك حين لاح لهم خطر الغزو الألمانى ، فإذا بأصحاب هذه المصانع يتبينون لشدة دهشتهم أنها خطة صالحة مجدية أيضاً . وقد أكد لى أخيراً نفر من رجال الصناعة فى السويد أنهم إذا أسسوا مصنعاً جديداً فسينشئونه تحت الأرض ، لا بدافع الخوف ، بل لأن هذه الخطة تعين على الاقتصاد فى النفقات وعلى إتقان العمل .

فمصاريف الصيانة قليلة، إذ ليس للمصنع جدران تدهن من الخارج ، ولا سقف يتعهد بالترميم ، ولا نوافذ تتطلب التنظيف والإصلاح ، وتتوفر الراحة للعمال إذ لا يحتاج المصنع إلى تدفئة ، اللهم إلا إذا اشتد البرد شدة غير مألوفة ، لأن حرارة باطن الأرض ثابتة لا تتغير ، وإذا شب حريق سهل إطفاؤه قبل أن يستفحل ضرره ، وذلك بمجرد إغلاق منافذ الهواء . وقال لى أحد أصحاب المصانع :

«إن نفقات الحفر تجعل تكاليف إنشاء مصنع تحت الأرض أكبر بنسبة ١٥ فى المئة من تكاليف مصنع مماثل له فى الحجم يقام فوق سطح الأرض، ولكن القصد فى نفقات التدفئة والصيانة فى ٣٠ عاماً يجعله أرخص بنسبة ١٠ فى المئة» ، وقد زرت فى قلب السويد مصنع شركة (بولندر مونكتيل) المنشأ تحت الأرض ، وفى هذه الشركة ٣ آلاف عامل، وهى تصنع محركات زراعية من طراز ديزل ومما يدار بالبنزين ، هذا إلى ما تنتجه من أدوات صناعية أخرى . وقد نزلنا من السيارة أمام دار ريفية قائم على سفح تل ، فخيل إلينا أننا فى منطقة

زراعية ، ولكن أسوار الدار انشقت كباب كبير فتح على مصراعيــه ، فتبينت أعيننا من ورائه نفقاً عريضاً مرتفعاً بحيث تمر منه أكبر سيارات النقل ، ولا يسير هذا النفق فى اتجاه مستقيم بل ينثنى وينعرج حتى يصد الهواء عن الاندفاع فيه إذا ما سقطت قنبلة بالقرب من مدخله. وقد أقيم على هذا المدخل، زيادة فى الحيطة ، باب مزدوج من الصلب الصفيق يسهل إغلاقه فى غمضة عين ، حماية للمصنع من الغازات الخانقة .

وفركت عينى دهشة حينما دخلت المصنع . فمن فوقنا طبقة من الصخر سمكها ما بين ٤٠ أو ٨٠ قدماً ، ومع ذلك رأيت أمامى حجرات واسعة تمتد فى باطن التل ، وبعضها يزيد طوله عن صف من المنازل فى شارع بأكمله ، ورأيت جموع العمال عاكفة على المخارط، تتحرك فوق رؤوسهم رافعات مدلاة من السقف ، ثم هناك محرك طائرة يختبر ، ومع ذلك لم أسمع ضجة بل شيئاً كالهمس ، لأن جدران المصنع قد بطنت بمواد تميت الصوت .

وقد حفر موضع المصــنع كله بنسف الجلاميــد بالألغام ، ثم تم إعداده للعمل فى أقل من سنتين. والمصنع بمنأى عن تسرب الماء إليه ، وتضبط أجهزة تكييف الهواء درجة الحرارة والرطوبة فيه، وهناك أجهزة أخرى صغيرة يسهل نقلها من مكان إلى مكان تنبعث منها تيارات من هواء ساخن تدور فى المصنع فى الأيام القليلة التى تحتاج فيها إلى زيادة التدفئة، أما السقف فقد نحت نسفاً على هيئة قبو من طراز غوطي ، وهو متين قوى، بحيث لا يحتاج إلى أعمدة تدعمه ، وفى أعلاه نافذتان يدخل منهما الهــواء ويسهل إغلاقهما فى غمضة عين بمجرد الضغط على زر صغير . ويعتقد مهندسو المصنع أنه لو وضــع على هاتين النافذتين ألواح من الرصاص الواقى لحجبت عنه الإشــعاع إذا ما انفجرت بالقرب منه قنبلة ذرية .

وقد قال أحد موظفى الشركة :

« إن أجهزة تنقية الهــواء فى داخل المصنع تتيــح للعمال أن يبقوا فيه ٢٤ ساعة مع إغلاق جميع النوافذ ، إذا وقع هجوم بالغازات السامة أو القنابل الذرية ، وقد ثبت بالتجربة أيضاً أننا نستطيع إجلاء العمال جميعاً عن المصنع فى بحر دقيقتين إذا ما شب فيه حريق ، وإذا أغلقت النوافذ استنفدت النار ما فى جو المصــنع من الأوكسيجين بحيث تخمد حتما من تلقاء نفسها فيما بين ٥ دقائق و ٨ دقائق ، أي قبل أن يستفحل خطر الحريق ويصيب المصنع منه ضرر بليغ » .

ولما حادثت العمال وجدتهم مجمعين على تفضيل العمل فى الكهوف وقالوا لى: « إن

الهواء فيها صافٍ دائماً، ودرجة الحرارة ثابتة، ولا تؤذينا تيارات الهواء» . وأضاف أحدهم قائلا : «كنت أصاب بنزلات البرد فى كل شتاء ، أما الآن فلم تصبنى قط» . وقال لى أحد رؤساء العمال إن التجارب العلمية أثبتت أن عيون العمال ترتاح فى مصانع الكهوف لأنها لا تتأذى بوهج الشمس .

وقد وجدت مثل هذا الارتياح إلى العمل فى مصانع الكهوف بين عمال مصنع شركة «أجا» فى استكهلم ، وهو مقام أيضاً تحت الأرض ، وقد نسف مكانه وتم إعداده فى سنة واحدة ، وتتوفر فيه كافة وسائل الراحة للعمال : من المصابيح ذات الأشعة فوق البنفسجية إلى المرافق الصحية التى صنعت من صلب لا يصدأ . وتصنع شركة «أجا» أجهزة قياس البعد ومناظر الغواصات وغير ذلك من أجهزة الإبصار .

وليس كبر حجم المصنع مهما بلغ بعائق عن إنشائه تحت الأرض. وقد تحدثت أخيراً إلى مهندسى شركة «برنز ورو» فى نيويورك وهم يضعون تصميماً لإنشاء سبعة مصانع تحت الأرض للحكومة الصينية ، وسيعهد ببنائها إلى شركة وستنجهاوس ، وسيكون محرك بعض هذه المصانع من قوة ٨ آلاف وات ، أى ما يكفى لإنارة مدينة تضم ٢٥ ألفاً من السكان . واتقاءً للقنابل ، جعلت مداخن المصنع تصعد داخل الصخر متعرجة ، كما جعلت فتحتها فوق سطح الأرض على هيئة المعابد الصينية ، ومثل هذه المحركات العظيمة تجعل المصنع يكفى نفسه بنفسه ، ولا يحتاج إلى شىء يأتيه من الخارج .

وكانت ألمانيا قبل نهاية الحرب ، قد أنشأت عدة مصانع فى جوف الأرض ، فلو أن ألمانيا كانت قد وضعت قبل ذلك خطة محكمة لنقل مصانعها إلى جوف الأرض ، فلربما قويت على الاستمرار فى القتال إلى يومنا هذا .

وقد ألف الجيش والأسطول فى الولايات المتحدة لجنة مشتركة لفحص الكهوف الطبيعية فى بلادها ، وذلك من أجل الانتفاع بها فى تخزين الذخيرة والعتاد الحربى . واجتمعت اللجنة ورجال الصناعة للمباحثة فى إمكان نقل المصانع الحربية إلى جوف الأرض ، ولكنها لا تنظر إلى هذا الأمر إلا باعتباره ضرباً من الحيطة ، لا يلجأ إليه إلا فى وقت اليأس والشدة ، ولكننا لا نجد مثل هذه النظرة المتزمتة فى التجارب السويدية التى تسعى إلى إثبات أن إقامة المصانع فى جوف الأرض يعين على الاقتصاد فى النفقات ، وعلى إتقان العمل فى وقت الحرب والسلم على السواء .



نظرة إلى السماء

آرثر ولاس بيتش

مختصرة من مجلة "ذى نيويورك تيمس"

سنوات خلت ، وقفت على ربوة من الأرض أجاذب الحديث صديقاً لى من المزارعين ، فيومئذ عرفت أول ما عرفت أن السماء خلقت لشىء سوى معرفة الأنواء والأجواء، وكان صديقى هذا أشبه بالفلاسفة، فقال لى يومئذ : « سوف تظل قسوة الغاب ووحشيته مسيطرة على أفكار البشر وأعمالهم حتى يتيسر لهم أن يجعلوا للسماء نصيباً من السيطرة على تفكيرهم » .

إن أكثرنا إذا خرج إلى عمله فقلما يلقى بنظرة إلى السماء . وقد راقبت جموع أهل المدن وهى تسعى إلى أرزاقها ، وطوائف أهل القرى سائرة فى الشوارع ، فما وقع بصرى إلا نادراً على عين شاخصة إلى السماء. ومع ذلك فنظرة واحدة كفيلة بأن تدخل فى حوزتنا كل رحاب السماء ، وينبغى لكل امرىء منا أن يتعلم كيف ينظر إلى السموات العُلى ، لا ليكون كل همه أن يعرف حال الجو وينتهى إلى رأى فيه هو فى الأغلب رأى باطل ، بل ليستمتع به ، ويفوز براحة العقل وسكينة القلب ، وهما نعمتان من نعم النظرة إلى هذه السموات .

فأين ينبغى للمرء أن ينظر إلى السماء ؟ وكيف ؟ أما « أين » ، فهو أمرٌ سهلٌ ، فللسموات التى تمتد على السهول المترامية الأطراف أهلٌ من عُبّادها ، وساكن الجبل لا يزال لسانه يردد تمجيد تلك الأعماق التى تذهب متسامية فوق قمم الجبال التى يقطنها ، والأعرابى الذى يجوب المنطقة الاستوائية لا يزال يذكر بزوغ الفجر كأنه بارقة لها قصف ورعود ، وسقوطَ الليل وهو يتوقد روعة وجمالا ، وأحب شىء إلىّ أنا حين أكون فى مسقط رأسى فى شمال أمريكا أن أرى السماء عند مغيب الشمس وأنا أنظر إليها من خلال أفنان الصنوبر النامى على رأس الجبل . ومثله فى الفتنة أن أراها عند إسفار الفجر وأنا أنظر إليها من حديقة التفاح فى زمن التنوير . ولا يعدم امرؤ من

الناس ما يفتنه فى السهول الناضرة المتراحبة التى يطبق عليها الأفق فيما بين السحر إلى أن يسدل الليل ستوره — حتى أولئك الذين يهزأون بالتبكير فى اليقظة ، والذين لم يروا قط إسفارَ الفجر .

أما « كيف » ننظر ، فعسى أن تكون أعظم شأناً ،فإنه لابد لها من دقة فى البصيرة، ومن فطرة فى حسن الإدراك والتأويل . فالسماء المغبرة مثلاً فى يوم مطير أو يوم ذى ضباب لا تورث المرء الذى يحسن النظر إلى السموات كآبة ولا غماً ، فهذا اليوم يقتضيك شيئاً من الشعور بالراحة والرضى ، فإذا أخطأتهما كنت خليقاً أن تجد الكآبة تشملك أنت والأرض التى حولك .

والسماء المبرقة المرعدة العاصفة هى أيضاً إحدى روائع الدنيا ، وليس من شأنها أن تملأ القلب رعباً بل جلالا وإعظاماً ، فإذا انجلت تركت الأرض غسيلة صافية نابضة بالحياة ، ومن أجمل ما تتملّى به العين رؤية السماء الساجية الساكنة الشهباء اللون ، التى تنذر بإقبال عاصفة الثلج . وهناك ضروب أخرى من روائع السماء تكشف للعين الحساسة عن معانيها ، وإذا تفاوت إدراكنا لهذه المعانى أو اختلف ، فذلك شىء لا خطر له : وخيرها أعجبها إليك .

ومن ذلك تعلم أن « كيف تنظر » تختلف باختلاف الناظرين . والثقب الذى ننظر منه إلى هذا العالم هو تلك النافذة الصغيرة التى تتطلع منها عقولنا نحن — وهى على صغرها واسعة وكافية للنظر . والتأمل فى خلق السموات على اختلاف الفصول يزيد عقولنا سعة ، ويملأ أيامنا حلاوة . وفى وسع كل امرىء منا أن يحمل معه إلى مكتبه أو محل عمله ابتسامة سمائه فى أيام الربيع ، وأن يستعيد فى ساعات حيرته ذكرى الجمال الساجى في ساعة المغيب ، وأن يرى فى ساعة يأسه من الناس ومن جشعهم وأحقادهم شعاعاً مبشراً بالأمل والرجاء تهديه إليه ذكرى الروعة التى استشعرها عند تبلج الفجر ، وأن يتلفت إلى الماضى فيسمع سجع طائر عابر فى ساعة الغسق من يوم كئيب النواحى، وأن يحس فى ساعات الخيبة والهزيمة نبض العزة المظفرة يدب في نفسه ممثلا فى سماء أيام الخريف . وعسى أن يكون أعظم من ذلك كله ، ما تفيضه السماء من جمال وحبور على ساعات أيامنا التى تتابع مملة متشابهة .

إن الأرض التى تكتنفنا تتغير معالمها على الأيام ، أما السماء فلا يلحقها التغير . وليس من العسير على أى امرىء أن يجد فيها أنيساً ينفى الوحشة عن قلبه : ففوق أقرب بستان ، وفوق أقرب شارع ، ووراء أقرب نافذة يجد المرء قبة السماء المرفوعة .

هجوم عنيف على الديدان الثعبانية التى تتلف المحاصيل ، قد يقضى إلى زيادة مقادير الطعام فى أرجاء الأرض .

العلم يشن حرب الكيمياء على آفات الزراعة

بليك كلارك

مختصرة من مجلة "سينس نيوز لتر"

الدكتور روبرت م . سولتر : « إن أنواع المواد الجديدة لتدخين التربة تبشر بأن تصير نعمة من أعظم النعم على الزراعة منذ صنعت الأسمدة » . والدكتور سولتر رئيس قسم حفظ النبات فى وزارة الزراعة الأمريكية ، وهو قسم يزن رجاله القول ولا يلقونه على عواهنه .

فإذا أحسن الانتفاع بهذه المواد الكيميائية الجديدة ، صار فى الوسع زرع مليونى فدان من الأرض فى جنوب الولايات المتحدة ، كانت حتى اليوم أرضاً لا ينتفع بها الزراع . فبعض المحاصيل الربيحة التى لا تزرع فى نفس الأرض إلا مرة فى السنتين أو الثلاث سنوات ، يمكن أن تزرع اليوم فى نفس الأرض سنة بعد سنة . ولصغار الزراع أن يتوقعوا زيادة فى محاصيلهم تتفاوت من ٢٠ فى المئة إلى ٢٠٠ فى المئة ، أما الألوف من أصحاب الحدائق الذين يعجزهم أن ينبتوا عيها شيئاً من الخضر ، فسيجدون أن الأرض والخضرة والماء ستواتيهم على ما يشتهون .

وقد تعلم الفلاحون الآخذون بأسباب العلم ، منذ زمن بعيد ، أن يحموا دواليهم وأشجار الفاكهة فى بساتينهم من أذى الحشرات والآفات التى تهجم عليها فوق سطح الأرض ، ولكنهم ما فتئوا الفريق الخاسر فى الحرب التى شنوها على ملايين الملايين من الآفات التى تترصد زروعهم تحت الأرض . وأشد هذه الآفات فتكا هى الديدان الثعبانية — نماتودا ، وهى ديدان كالخيوط لا يزيد طولها على جزء من ١٦ جزءاً من البوصة ، تنسرب فى الأرض . وتعرف عند الفلاحين بأسماء شتى . ومهما تختلف أنواعاً وأسماء فإن الفلاحين لم يعرفوا قبل اليوم أن يكافحوها كفاحاً له أثر .

وإحدى هذه الديدان تحدث مرضاً فى الجذور يقال له ورَم الجذور ، فتتكون فى الجذور أورام تضمرها حتى تصير عاجزة عن امتصاص الغذاء من التربة ، وهو مرض

يصيب ١٥٠٠ نوع من النبات ، منها فصيلتا الطماطم والكرنب . وثمة نوع آخر يدعى ديدان الموالح يحدث ضعفاً وانحطاطاً متدرجاً في محصول البرتقال والليمون الهندي ، ويقتضي أن تقتلع الأشجار من البساتين مرة كل ١٤ سنة أو ١٥ ، ثم تغرس أشجار جديدة . أما ديدان المروج فتغتذى على الذرة والفول السوداني والطباق . وهي تهتدي إلى أحسن ما في النبات من غذاء وفيتامين ، فتنسرب تحت قشرة البطاطس فتفسد قلبها . أما باعة الأزهار والذين يربون فسائلها ، فيصبّون عليها جام نقمتهم لأنها تهجم على النباتات التي تتخذ للزينة فتهلكها .

وهذه الديدان ، هي المصيبة التي تنزل بمزارع الأرز في آسية ، وبمزارع بنجر السكر في أوربة ، وبأصحاب مزارع المطاط في جاوة ، وبمزارع الشاي في الهند ، وبمزارع البطاطس في إنجلترا وإرلندة والدنمرك . وقد وجدت في أغوار المحيط ، وعلى قنن الجبال ، وداخل منطقة الدائرة القطبية الشمالية .

وقد بلغت آفة الديدان الثعبانية في جزائر هوائي سنة ١٩٤٠ مبلغاً من الخطر هدّد بالقضاء على صناعة الأناناس التي تجنى منها الجزائر ثلث دخلها . فدعا زرّاع الأناناس رجلا ليعينهم في محنتهم ، وكان هذا الرجل عالماً من علماء الحشرات يدعى ولتر كارتر ، فقد سبق له أن أنقذ صناعة الأناناس من الهلاك بغير معين ، يوم اكتشف سبب ما يجتاحُ النبات من دُوِيّ وذبول ، ثم اكتشف له علاجاً .

قال كارتر : « أما اليوم فإننا نعرف المجرم ونستطيع أن نراه » ، فجعل يبحث عن مادة لتدخين الأرض ، في وسعها أن تقتل هذه الأحياء المؤذية . فوجد أن غاز الدمع يقتلها ، ولكنه غالي الثمن ، والانتفاع به ليس من الأمور الميسرة ، فطلب من الشركات الكيميائية أن ترسل إليه نماذج من النفايات التي تنبذها حين تحضّر ما تحضره من المواد ، وجرّب عشرات منها فلم يجد فيها ما يبشر بالنجاح سوى مادة واحدة جاءته من شركة شل الكيميائية في كاليفورنيا ، وكانت هذه المادة من المواد التي تتكون عند تحضير مادة « أليل كلوريد » من أجل استعمالها في صناعة اللدائن (العجائن الكيميائية) . فحفر كارتر في الأرض حفراً صغيرة تبعد إحداها عن الأخرى ١٥ بوصة ، وصب في كل منها ملء ملعقة من هذا السائل الأدكن ، فتسرب وانتشر في خلال التراب ، كما تنتشر القهوة في قطعة من السكر ، فقتل كل دودة هناك .

فاغتبط كارتر بما تم له ، وأطلق على المادة اسم « د . د » ، وهما الحرفان الأولان من اسمى المركبين اللذين تتألف منهما — دايكلوروبروباين ودايكلوروپروبين .

فى السنتين التاليتين امتحن كارتر مادة « د . د » فى ٨٤٠ رقعة فى ١٤ مزرعة من مزارع الأناناس ، موزعة فى طول الجزائر وعرضها . وكانت الرقعة التى عولجت تربتها بهذه المادة تحاذى الرقعة التى لم تعالج تربتها بها ، وكان الناظر إلى الرقعتين فى أشهر بعينها يراها متماثلتين تماماً ، فإذا جاء زمن الحصاد رأيت فى الرقعة التى لم تعالج تربتها نباتاً ضامراً سقما ، ورأيت فى الرقعة التى عولجت تربتها ، نباتاً زاخر النموّ ، له أوراق خضر عريضة ، وثمار ضخمة ذهبية اللون من ثمار الأناناس . ثم وجد كارتر أيضاً أن رقعة الأرض التى عولجت تربتها يمكن أن تزرع ثانية فى الموسم ذاته .

فأمرت شركة الأناناس بشراء كل ماتستطيع أن تظفر به من مادة « د . د » ، فبلغ ١٢٥ طناً ، ثم « حقنت » به أرضاً مساحتها ١٢٥٠ فداناً . وقد كانت غلة الحقول فى هذه الأرض تتفاوت بين ١٢ طناً من ثمار الأناناس و ٣٠ طناً ، فصار متوسط غلتها اليوم ٤٠ طناً ، وزاد المال الذى يجنيه الفلاح من كل فدان ستين جنيهاً أو أكثر . فإذا قدرت أن مساحة الأرض التى تزرع أناناساً فى هوائى تبلغ ٥٠ ألف فدان ، علمت أن دخل أهلها سيزداد زيادة كبيرة .

فلما سمع أصحاب بساتين الخضر فى كاليفورنيا بهذا الخبر هللوا له ، فالديدان الثعبانية كانت تنزل أذى بليغاً بالنبات فى ٦٥ فى المئة من الأرض الصالحة للزراعة . وامتحنت هذه المادة الجديدة فى حقول تشتد فيها الآفات بمنطقة مرسيد . فزرع فى رقع لم تعالج تربتها نبات الفاصوليا ، فمات النبات ولم يغل شيئاً . أما الرقع التى عولجت بمادة د.د فقد كانت غلتها كبيرة . وأما دوالى الطماطم فى الرقع التى لم تعالج ، فكانت تثمر خمس ثمار أو ستاً صغيرة ضامرة ، ثم تموت . ولكن الرقع التى عولجت بمادة د . د بلغت غلتها مقدار بوشل من الطماطم فى كل فدان .

وكان فى ڤنتورا مزارع يجنى من الفدان ٨١٦ رطلاً من البطاطا الصالحة للبيع ، فعالج أرضه بهذه المادة فزاد محصول الفدان حتى صار ١٣٨٦٠ رطلاً . ووجدوا فى مقاطعة أخرى ٨٥٠٠٠ فدان تعجّ تربتها بالديدان فعولجت بمادة د . د فزاد محصولها من الخس ثمانية أضعاف . وقد زادت محاصيل الفاصوليا والقرع والجزر والبطاطس

والبنجر فى كل الولاية زيادة كبيرة، وصارت أجود مما كانت .

وكانت حقول البنجر مصابة بهذه الديدان، فاضطر المزارعون أن يقسموا أراضيهم ثلاثة أقسام ، وأن يزرعوا قسما واحداً منها وحسب كل سنة ، تاركين القسمين الآخرين بلا زراعة ، وفى هذا تعطيل كبير لرأس المال — وهو الأرض . فعنيت بالأمر شركة سكر فى بلدة ميدفيل بولاية يوتاه ، فأخذت قطعة من الأرض كانت فى العادة تتركها غير مزروعة ، ثم عالجتها بمادة د . د وزرعتها ، فسرها أن تجد أن محصول البنجر فى هذه الأرض « المريضة » قد زاد من ٧١ر٣ من الطن إلى ٧ر١٧ من الطن للفدان الواحد .

وبعض هذه الديدان يستطيب نبات الطباق ، والطباق الذي يزرع فى الظل ، هو أغلى أصناف الطباق فى العالم — وبعض السبب فى ذلك أن هذه الديدان الصغيرة تضطر أصحاب المزارع أن يبسطوا قماشاً رقيقاً فوق حقول برمتها لم تزرع فى السنة السابقة ، وذلك لكى يوقوه شر الديدان . وقد عنى زراع الطباق فى فلوريدا فى الربيع الماضى بمعالجة الأرض بمادة د . د ثم أعادوا زرعها فبلغت منهم الدهشة ساعة رأوا المحصول الذى جنوه منها يفوق محصول الأرض البكر .

أما أشجار الخوخ (الدرّاقن) فلا تنمو فى ألوف من الأفدنة فى جنوب الولايات المتحدة ، لأنها تعج بالديدان الثعبانية ، فعنى بالأمر الدكتور جوتهولد ستاينر كبير علماء الديدان فى قسم حفظ النبات ، واتخذ بستان خوخ فى ولاية جورجيا للتجربة ، فوجد أن ثمار الشجر الذى عولجت أرضه بمادة د . د ، صارت عشرة أضعاف ثمار الأشجار التى لم تدخن أرضه بها .

وما زال فلاحو أوربة يعانون أذى دودة شديدة البأس تعرف باسم الدودة الثعبانية الذهبية ، وكان الفلاحون فى بعض المناطق لا يستطيعون أن يجنوا من أرضهم سوى محصول واحد نافع من البطاطس كل خمس سنوات أو ست . وعمدت الحكومة فى السويد وشمال إرلندة إلى حظر الزراعة فى الأرض المصابة حتى تمنع انتشار الآفة . أما فى ألمانيا فقد سنت الحكومة قانوناً يوجب تقسيم الأرض وزرع بعضها سنة بعد سنة ، وأعطت زمام تنفيذه لرجال الشرطة . ومنع استيراد البطاطس من المناطق المصابة .

وفى سنة ١٩٤١ شكا شارلز جلوايلر ، أحد سكان ضاحية لونج أيلند فى نيويورك ، قلة محصول البطاطس فى أرضه إلى مفتش الزراعة فى منطقته . فأجرى المفتش الاختبار ، فثبت أن الدودة الثعبانية الذهبية المخوفة قد وصلت إلى أمريكا . فأخذ القلق من وزارة

الزراعة كل مأخذ ، ودرست حالة الولايات الشمالية التسع عشرة ، حيث تزرع البطاطس ، فثبت أن هذه الآفة لا تزال محصورة في أرض مساحتها ١٥٠٠ فدان في لونج أيلند ، ضرب عليها نطاق من الحجر الصحى حتى تتم إبادة الدود . وما تمّ حتى اليوم من نتائج في كفاح هذه الديدان ، حافل بالبشرى لزرّاع البطاطس في أوربة . فقد ثبت أن مادة د . د محدية في ٩٩٫٩ في المئة ، وزادت محاصيل البطاطس في الأرض التي عولجت بها ، أكثر من ٧٥ في المئة .

وصاحب الحديقة الصغيرة يستطيع أن يعالج أرضاً مساحتها ٢٠٠٠ قدم مربعة بمقدار من هذه المادة ، لا يزيد ثمنه على خمسة ريالات ، ولا يحتاج من المعدات إلى أكثر من عصاً وملعقة . فيحفر الحفرة ويصبّ فيها مادة د . د ، وعليه أن يحرص حتى لا تندلق على يديه وثيابه ، شأنها في ذلك شأن سائر المواد الكيميائية . ولما كانت هذه المادة سامة للنبات الحى ، فعليه أن ينتظر أسبوعين قبل أن يزرع أرضه ، حتى تتاح للأبخرة فرصة الخروج من التراب .

أما أصحاب المزارع الكبيرة ، فقد صنعوا آلات تجرّها جرّارات ، وهى مزودة بأجهزة تمكنها من أن تصبّ السائل قليلا قليلا في أنابيب دقيقة ممتدة إلى تحت وراء قضبان في المحراث تحدث الحفر . وفي كاليفورنيا اليوم متعهّدان يتوليان تبخير الأرض لمن يشاء ، لقاء أربعين ريالا للفدان الواحد ، وحسب الأرض أن تبخر مرة كل ثلاث سنوات أو أربع .

وصنع هذه المادة سهل ، وما يصنع منها الآن يبلغ ١٠٫٠٠٠ طن في السنة ، وقد بدأ الذين يصنعونها في إصدارها إلى بورتوريكو وجنوب إفريقية وزيلندة الجديدة وانجلترا . وثمة شركتان — شركة داو الكيميائية ، وشركة إنيس سبايدن — وقد صنعتا مواد صالحة لتبخير الأرض تنافس مادة د . د ، وإذا مازاد الإنتاج وهبطت الأسعار صار في وسع الفلاحين في كل مكان أن ينتفعوا بها انتفاعاً يجدى . وقد وعد أصحاب المصانع التي تصنعها بأن تكون هذه المواد معروضة للبيع في كل بلد يحتاج إليها في الربيع القادم .

أما والحاجة ماسة إلى إنتاج أكبر مقدار من مواد الطعام في السنوات المقبلة ، فقد صار حتماً على الناس أن ينتفعوا بكل أرض تصلح للزراعة أجدى انتفاع . والمواد الجديدة التي تصلح لتدخين التربة ، خليقة أن تضاعف ما يجنى الآن من معظم الخضر وبعض الفاكهة في الأرض التي نزلت بها آفة الديدان الثعبانية . وهذا من شأنه أن يعيد على أهل الأرض رغد العيش ووفرة الرخاء



أسرة لا أنساها

كاترين فوربس

رحيت وأنا في الثانيـة عشرة من عمري للاصطياف في مزرعه عمّ لي بكاليفورنيا ، وظللت ضجرة بهـذه الضيافة إلى أن لقيت سميثي .

وكان سميثي يتيم في مزرعة مجاورة ، ولم ألقَ قبله صبياً مثـله اجتمعت له صفات الرجولة والجدّ . ذلك لأنه ، كما قالت لي عمتي ، فقد أبويه قبل أن يبلغ الثامنة ، فتكفل عم له أعزب بتربيته ما استطاع إلى ذلك سبيلا . ومما قاله عمي إن صبيان المزارع تجعلهم مشقةُ العمل يبدون أكبر سناً مما هم ، حتى وهم في الثانية عشرة من عمرهم .

وقد وجـدت عنتاً في مصادقته ، إذ سرعان ما تبينت أنه ينحنى ظهره كلما انصرفت إلى شيء من لهو الصبيان وألعابهم . وكان من عادة سميثي — وهذا طبع يغيظ — أن يختفي فجأة إذا ما حرج صدره أو تملكه السأم . وسمعت من عمتي أنه سمى حين ولد « لويد » ، ولكنه يأبى أن يعترف بهذا الاسم ويصرّ على أن ينادى باسم سميثي وإلا انصرف ولم يجب .

ثم بيعت بالمراسـلة مزرعة مجاورة لنا لرجل يسمى فراندسن يقيم في الولايات الشرقية ، فتوقعت ألواناً من البهجة في حياتنا حين علمت أن هذا الرجل وزوجه من ممثلي المسارح . أما سميثي فلم يأبه لهذا النبأ ، ولكنه سار معي حينما خرجت ذات يوم كأنني أعشى وذهبت أستكشف الطريق المؤدي إلى مزرعة فراندسن . ولم نكد نبلغ منتصف الطريق حتى طلع علينا فجأة فراندسن وزوجته واستقبلنا الاثنان بتحية ملؤها الفرح والترحيب منا ، وغلبت الدهشة صديقي سميثي ، حتى إنه لم يقوَ على الهرب .

وقدّرت أن الرجل وزوجه كلهما في الخمسين تقريباً . أما الزوجة فامرأة بهية الطلعة ، ناعمة البشرة ذات شعر أشقر جميل قد لمعت فيه فلتات من الشيب . وأما الرجل فأقصر من زوجته وإن كان يشدّ قامته ليجعلها مستقيمة كل الاستقامة ، وله عينان رماديتان ضيقتان تلمعان بالرقة والحنان .

وقالا لنا إننا اول من زارهم ، وسألانا أن نتحول من حرارة الشمس إلى ظل بيتهما الرطيب . ولم يسبق لنا ، أنا وسميثى ، أن زرنا أحداً فى مثل سنهما ، فلم نعتد الجلوس فى حجر استقبال مزينة بالرماح والأقنعة ، وعلى جدرانها صور فوتغرافية ممهورة بتوقيع أصحابها من رجال وسيدات فى ملابس المسرح ، ولا أن يقدم لنا الشاى من وعاء سمعنا أنه يسمى « الساموفار » .

وأكثر من هذا كله ، أننا لم نعتد أن يعاملنا من هم فى مثل سنهم كأننا أتراب لهم يجدون في مجالستهم بهجة وسروراً . وقص علينا الزوجان نوادر عن نيويورك ، وتجاربهما حينما كانا يمثلان فى مسرح متنقل ، بل فتحا لنا قلبهما وحدثانا عن مشاريعهما فى المستقبل ، وعن أحلامهما التى يؤمنان بأنها ستتحقق بعد أن قد قعدا عن العمل واستقر بهما المقام .

أما جورج فسيصبح مزارعا (فقد أذن لنا بأن نقتصر على أن نناديهما باسم جورج وليزا . ألسنا أول أصدقائهم ؟) وقد أعدّ جورج عدته لحرفته الجديدة ، وجمع كل منشورات وزارة الزراعة . ثم قالا لنا ، وكان هذا أكبر ما أثار اهتمامنا ، إنهما يبحثان عن طفل ليتبنياه . وقالت ليزا : « أريد بنتاً ذات عينين زرقاوين » .

وتهلل وجه جورج بشراً وقال : « لقد قدمنا الطلب منذ شهور ، وحينما مررنا بسان فرنسسكو أتممنا آخر الإجراءات » .

وقالت ليزا : « وسنقول لها دائماً إننا اخترناها هى نفسها على التخصيص » ، ثم جاءا لنا بما لديهم من كتب عن تربية الأطفال ، وقالا إنهما الآن ينتظران مجيء الطفلة ساعة تحضر الموظفة المكلفة بدراسة حالهم .

وطالت جلستنا ساعات ، فإنى لم أشعر قط بأنى ضيف جليلة القدر تلقى كل هذا الترحيب بها . وقد أخذت أثرثر كما أريد ، لا ينهنى أحد إلى أن وقت عودتى إلى الدار قد حان ، أو أن أمى تفتقدنى . ولما حاولت ليزا أن تحمل سميثى أيضاً على الكلام وسألته عن اسمه ، تملكنى الزهو لنجاحى فى الحياة الاجتماعية ، وقلت لها متعجلة إن اسمه « لويد سميث » . وقالت ليزا إن لويد اسم جميل ، وتوقعتُ أن يقع حادث ، ولكن لم يزد سميثى

على أن أدار عينيه كما يفعل مُهرنا الصغير .
ولما وقفنا نريد الانصراف سألنا جورج وليزا أن نعود لزيارتهما مراراً ، نعم مراراً ، وقبلت ليزا خدّى .

وأصبحت بعد ذلك لا أطيق الصبر عن أسرة فراندسن ، فقد سحرتنى ، إذ كانت تطلق على ما عندها من متاع وحيوان أسماء أبطال المسرحيات ، وتزعم أنها تفعل ذلك لما بينهما من شبه . وكنت إذا جلست إليهما على عتبةدارهما أخذا يرويان لى وقائع مسرحيات بأكملها ، بل كانا يمثلانها لى ، وكنت فى بعض الأحيان ألمح شبح سميثى وهو واقف فى الحديقة ينصت هو أيضاً .

ولما مات كلبنا العجوز ولم يحزن عليه أحد غيرى حملت جثته إلى أسرة فراندسن ، فإذا بسميثى يقابلنى فجأة فى منتصف الطريق ويحمله عنى ، ثم يساعد جورج فى حفر قبر كريم عند جذع شجرة فى حديقة فراندسن ، وأصاخ سميثى بسمعه إلى جورج وهو يؤبن الكلب بأبلغ خطبة سمعتها فى حياتى إذ قال :

« لا تخش منذ اليوم وَقْدة الشمس ولا لذعة أعاصير الشتاء » .

ومرت الأيام وأنا يائسة من حمل ليزا على أن تدرك أن سميثى ليس بالطفل الصغير ، إذ كانت حين تصنع الخبز ترسل إليه أرغفة صغيرة مزوقة ، وإذا صنعت كعكا جعلت من بينها كعكة صغيرة لسميثى ، وكنت أطيعها وأحمل هداياها إليه فيضعها فى جيبه وهو صامت .

فلما جاءت الموظفة يوم السبت لتفحص حالة أسرة فراندسن خرجت إلى حديقتهم حتى أتركهم وشأنهم ، فوجدت سميثى هناك أيضاً ، واختار كل منا شجرة وأسند ظهره إليها ولبثنا ننتظر . ولم أقلق لأن أسرة فراندسن أسرة سرّية بيِّنة السَّراء ، وقلت لزميلى : « ومن خصالها أيضاً أنهما لا يقومان بعمل ما إلا باحتفال وفخامة .. فما أكرمهما . أليس كذلك ياسميثى ؟ »

فهمهم سميثى ولم يزد ، ولكنى لاحظت حينما مرت بنا سيارة الموظفة أنه اندفع مثلى إلى البيت ، فلم نكد ندخله حتى أدركنا أن حادثا أليماً قد حلّ بأهله .

كانت ليزا جالسة ساكنة فى مقعد كأنما فارقها الشباب والمرح ، وأخذ جورج يربت على كتفها وهو يقول لنا :

« لقد بلغ منا الكبر ، وكل من زاد عمره على خمس وأربعين لا يباح له أن يتبنى أطفالا صغاراً » .

فثار غضبى وقلت : « كان ينبغى لهم أن يعلموا ذلك من قبل ، فقد قدمنا طلباً فيه كل البيانات » .

فأحنى جورج رأسه وقال : « إن حياة أهل المسرح تمضى سراعاً ، سنة هنا وسنة هناك .والحق أننى أنا وليزا نسينا كم بلغنا من العمر . وقد أنبئنا اليوم بحقيقة عمرنا ، إن الموظفة التى جاءتنا سليمة القلب ، ولكن هذا الشرط شرط مستحدث جديد » .

وقالت ليزا وهى تتجلد : « إننى أدرك أن هذا الشرط قد وضع لمصلحة الطفل حتى ... حتى لا ينشأ بين أبوين عجوزين » ثم اندفعت تبكى .

وشعرت فجأة بأننى لست إلا صبية لاخبرة لها ولا معرفة ، وحرت ماذا أقول لأصدقائى وكيف أسرّى عنهم . ولم يسعفنى سميثى ، بل تسلل من الدار دون أن ينبث بكلمة .

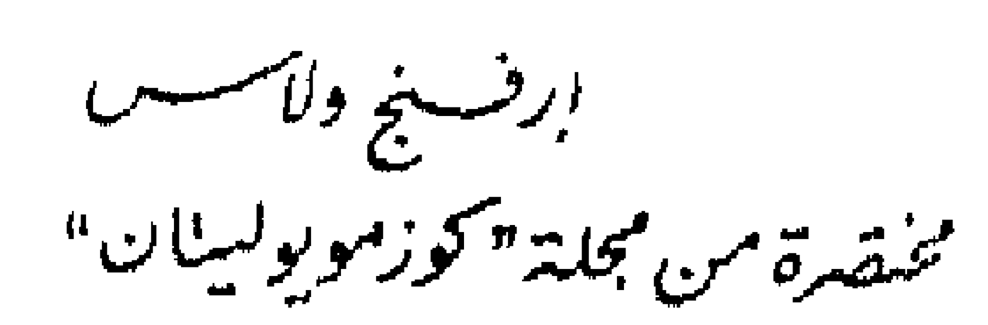
فلما سمعنا بعد قليل دقًّا على الباب طارت بى الأمانى وحسبت أن الموظفة عادت أدراجها ، ولكن القادم لم يكن إلا سميثى ، وقد ارتدى أبهى حلة عنده ، وإن قصرت سراويله وبدا شكله مضحكا ، ثم التفت إلىّ بوجه مقطب غضوب ووضع على الأرض ثلاث حُزم ملفوفة فى ورق الجرائد وصنارتين ، وقال بلهجة الواثق المطمئن وهو واقف بالباب : « لقد ألف الناس أن يتبنوا أطفالا ، فلماذا لا يحدث العكس ولو مرة واحدة ؟» ثم بدأ صوته يرتفع قليلا وقال : « إننى أنا الذى أختاركم. لقد استأذنت عمى فقبل ، لأنه يريد أن يهاجر إلى المدينة. وعلى هذا ، فإذا قبلتما ، فإنى . . . »

فاجتازت ليزا الحجرة جريا ومس وجهها المبتل بالدموع وجه سميثى وتمتمت : « لويد ! لويد ! » وكانت أكبر خشيتى أن تهم بتقبيله. وودت لو أن إنسانا أغلق الباب علينا وأظن أن جورج قد فهم ما جال بخاطرى إذ رأيته قد أخذ يصافح سميثى مصافحة الرجل للرجل ويقول له : « بل مرحباً بك مرحباً » وبدا على سميثى أنه يبذل جهداً عظيما ، ثم إذا به يسأل جورج : « أليس فى جعبتكم شىء من رسوم الاحتفال بهذه المناسبة . ألا يحسن بك مثلا أن تحملنى لتدخل بى الدار ؟ » ففتحت فمى أقول : « ولكن هذا احتفال لا يقام إلا للأ ... » ، ولكنى لم أتم كلامى .

ولا أظن أن فتاة فى الثانية عشرة يبلغ من إدراكها أن تتأثر بمثل هذه المشاهد ، ولكنى أعلم أن قلبي قد خفق فى ذلك اليوم ولم تسعفنى الدموع ، وأخذت أغالب غصة غلبتنى وأنا أراقب جورج فراندسن وهو منحن يرفع فوق ظهره ذلك الصبى الطويل وقد تدلت قدماه على جنبيه كيفما اتفق. وحمل جورج سميثى برفق وحذر ، واجتاز به عتبة الباب ودخل المنزل ، وسمعت جورج يقول : « ثم ماذا يا بنىّ ... ؟ »



سان مارينو
ديمقراطية مصغرة عريقة



على نحو ١٢٠ ميلاً إلى الشمال من رومة ، وجد بعض جنود الحلفاء ، يوم كانوا يشقون طريقهم فى الحرب من أواسط إيطاليا إلى شمالها ، سلسلة من اللافتات كتب عليها : « قف ، هذا بلد محايد ! » وكانت هذه اللافتات تحدق بقاعدة جبل ذى قُنن ثلاث .

وكان على مقربة من إحدى هذه اللافتات حارس مسلح ببندقية عتيقة ، وكان يرتدى ثوباً غريباً يصلح للمسارح الغنائية الهزلية ويتكلم رطانة عجيبة ، ولكن بدا للجنود مما نبينوه فى رطانته من جُمل إيطالية ركيكة كأنه يقول : « لا تتعدوا هذه الحـــدود ! فسنقاتل دفاعاً عن حريتنا »

وقد أوضح جنـــدى مثقف سرّ ذلك فقال : « لقد بلغنا سان مارينو »

ولكن الجنود الآخرين لم يفهموا معنى ما قال ، فأفاض فى القول :

« أنا من هواة طوابع البريد . وكلنا نعرف سان مارينو ، فهى أقدم جمهوريات العالم وأصغرها ، ولا تزيد مساحتها على ٣٨ ميلا مربعاً ، وهى واقعة على جبل تيتانو على جانب البحر الأدرياتيكي من سلسلة جبال الأبنين . ومهمتها الأولى أن تصنع طوابع بريد تبيعها للمولعين بجمعها » .

فالجنود الحلفاء الذين عـــثروا على سان مارينو ، شاهدوا غريبة من ألطف غرائب الأرض . والمرء لا يجد فى سان مارينو شيئاً يزعج كمثل ورق النقد ، أو ضرائب الدخل أو الدين القومى . أما الضريبة المفروضة على العقار فلا تزيد على ثلث ريال فى السنة تجبى من كلّ بيت ذى ست غرف ، وليس فيها أضواء لضبط حركة المرور ولا تذاكر يعطيها رجال الشرطة لمن يخالف قواعد الحركة . لأن سيارات الدولة كلها لا تزيد على سيارة واحدة . ولا يرى فيها ساعات كبيرة أو صغيرة جعل الوقت على مينائها اثنتى عشرة ساعة ، بل يرى جميع الساعات مقسمة إلى أربعة أرباع . وفيها أجهزة راديو لالتقاط الإذاعات .

ولكن ليس فيهـا محطات إذاعة ، وفيها طوابع للبريد الجوى ولكن ليس فيها طائرات . وفيها أيضاً تمثال لبطل من أهلها لم يُقم له لكى يخلد فتوحاته ، بل لأنه أبى ما عرضه عليه نابليون من زيادة فى مساحة أرض بلاده .

بيد أن سان مارينو ليست مجموعة من الغرائب وحسب ، بل هى معرض مصغر فى أوربة التى مزقتها أهواء السياسة ، تعرض فيه بضاعة ديمقراطية مضى عليها ستة عشر قرناً تقريباً .

ويطلقون على الهيئة التى تحكم الجمهورية اسم «المجلس الكبير» ، وهو شبيه بمجلس النواب ، وعدد أعضائه ستون رجلا . وحق النيابة قاصر على الذكور ، ومن انتخب منهم عضواً فى المجلس الكبير بقى فيه ستة أشهر ، وله أن يعاد انتخابه . وفرض واجب على جميع الذكور أن يقترعوا فى الانتخاب لكى يكون الانتخاب معبراً عن رأى الجماعة التى يبلغ عددها ١٤٫٥٤٥ نفس . ولما كان ٨٠ فى المئة من الرجال أميين ، ترى الدولة تعين الأميين منهم ، فتقف بنات المدارس بملابسهن البيض قرب صناديق الانتخاب ويسدين يداً إلى الناخبين ، فيدوّنّ لهم ما يطلبون تدوينه فى أوراق الانتخاب المطبوعة . وقد قال أحد أهل سان مارينو فى سذاجة فاتنة : « إن الفتاة الصغيرة أطهر شىء على وجه الأرض ، ولن تخدع رجلا يأتمنها » .

ويعين المجلس الكبير اثنى عشر رجلا من أعضائه ، فيؤلفون مجلس أعيان أو مجلس شيوخ . وعلى أن المجلس الكبير لا يشغل نفسه إلا بالموافقة على قانون فى الحين بعد الحين ، أو بإصدار العفو عن مجرم ، ترى مجلس الشيوخ يرشح اثنى عشر رجلا من كبار القوم لأسمى منصبين فى الجمهورية — منصب حاكمى الجمهورية أو الوصيَّين عليها .

ومنصب الحاكم أو الوصى يقلّ الزحام عليه . فمدته ســـتة أشهر ، ومرتبه خمسة ريالات فى الشهر ، فإذا أبى أحدهم أن يقبل الترشيح فرضت عليه غرامة كبيرة . ومتى رشح المرشحون لهذين المنصـبين خفض عددهم بالاقتراع إلى ستة . ثم تجعل الأسماء الستة ثلاثة أزواج ، ويتولى قسيس وضعها فى إناء من الفضـة ، ثم يجتمع حفل عام ويعهـد إلى صبى أعمى بسحب اسمين — فيصير صاحباها حاكمى سان مارينو الجديدين ، ويتوليان الحكم شركة بينهما .

أما سائر كبار الموظفين ، فإن أهل سان مارينو يطلبونهم من خارج حدود بلادهم ، لأن التصاهر بين الأسر يكثر التحيُّز والعصبية . فلذلك ترى جمهورية سان مارينو تستورد من الخارج قوة الشرطة المؤلفة من

١٢ رجلا وقاضيها المدنى الوحيد ، وفسيسها وأطباءها الثلاثة . وتدفع الدولة مرتبات الأطباء ، ويعالجون جميع السكان مجاناً .

أسس هـــذه الجمهورية رجل يدعى مارينوس ، كان من أهل دلماسيا ويشتغل بقطع الحجارة ، وقد جُعل قديساً بعد وفاته فى سنة ٣٦٠ ميلادية . وقد كانت كلماته الأخيرة : « إنى أفارقكم يا قومى أحراراً لا يستعبدكم إنسان » .

ويوم كان نابليون بونابرت يقسم شبه الجزيرة الإيطالية بين أقربائه عثر على سان مارينو ، فأتوه بجماعة من أهلها لتقص عليه تاريخ الجمهورية ، ففتن بما سمع ، فلم يكتف بأن أذن ببقائها كما هى ، بل عرض عليها أن يزيد مساحتها. وتذكر حاكمها يومئذ وصية مارينوس : «لا نريد شبراً واحداً من أرض غيرنا ، ولا ننزل عن شبر واحد من أرضنا » ، فرفض ماعرض عليه .

فلما نشبت الحرب العالمية الأولى ، ظلت سان مارينو على الحياد، ولكن أهلها اكتتبوا بسبعة آلاف ريال لجرحى الحرب ، وبعثوا إلى الميدان الغربى بوحدات طبية وفى أواسط الحرب تطوع خمسة عشر منهم فى الجيش الإيطـــالى . فأسر النمسويون ثلاثة منهم فسخطت سان مارينو ، فأعلنت الحرب .

وفى السنوات العشر السابقة للحرب العالمية الثانية ، ضاق موسولينى ذرعاً بهذه الرقعة الصغيرة من الأرض التى ترمز إلى الحرية فى عقر داره. ولو غزاها موسولينى لما أجدى عليه غزوها شيئاً يعوضه من سوء السمعة التى يثيرها هــذا الغزو ، فعمد إلى الوعيد والرشوة حتى حملها على أن تضيف حزباً فاشيًّا إلى أحزابها السياسية . ويوم قصدت حكومتها إلى رومة فى طلب شرطتها وقاضيها دبّر موسولينى الأمر حتى يكون هؤلاء الموظفون الكبار من الفاشيين . فأذعنت سان مارينو لهذا الضغط حرصاً على البقاء .

فلما احتفــل أهلها فى ســنة ١٩٣٧ بعيد الاســتقلال الأمريكى — ٤ يوليو — كما جرت عادتهم ، طلبوا من السفير الأمريكى فى رومة ، وليم فيلبس ، أن يشهد الاحتفال . وكان القرار أن يختم الاحتفال بإزاحة الستار عن تمثال بطل ، فتوقع الفاشيون أن يكون تمثال عظيم من عظماء رومة ، ولكنهم وجدوا تمثالا لأبراهام لنكولن .

واسم لنكولن هو أشهر اسم أجنبى بين أهل سان مارينو . ففى مستهل الحرب الأهلية الأمريكية ، خلع أهل سان مارينو على الرئيس لنكولن لقب «مواطن فخرى» فى جمهوريتهم ، وقد ردّ عليهم لنكولن تاريخ ٧ مايو ١٨٦١ فقال :

« إن أرضكم صغيرة ، ولكن دولتكم

من أجلّ الدول جلالا فى التاريخ ، فقد أقامت الدليل الحافل بآيات التشجيع لأصدقاء الإنسانية، على أن الحكومة القائمة على المبادىء الجمهورية ، يمكن أن تدبر شئونها تدبيراً يجعلها آمنة راسخة القواعد »

وفى سبتمبر ١٩٤٠ قام الحاكمان اللذان عينهما الحزب الفاشى ، فأرغما جمهورية سان مارينو على أن تعلن الحرب على بريطانيا. وبعد شهر وفد على السفارة الأمريكية فى رومة وافد غريب ومعه رسالة ، وتوسل أن ترسل هذه الرسالة إلى ونستون تشرشل، وقد كانت عريضة سرية وقعها ألوف من أهل سان مارينو ، وقد جاء فيها :

« لقد أرغمتنا يد موسولينى الحديدية أن نعلن الحرب على الحلفاء، والقول بأننا يد مع المحور قول باطل . فلتحى الحرية »

وقد عادت سان مارينو الآن ، قادرة أن تقف نشاطها الكامل على طوابع البريد. إن أهلها يربون المواشى، ويعتصرون النبيذ من العنب ويقطعون الأحجار ، ولكن الدخل الذى تجنيه من طوابع البريد هو الذى يوازن ميزانيتها القومية ، ويوفى نفقة بنك التعاون المتبادل الذى يساعد الفقراء ، والمخزن التعاونى حيث يباع النبيذ بتكاليفه وحسب ، وأيضاً نفقة المخبز العام حيث تخبز الحكومة الخبز وتبيعه بسعر الجملة ، ونفقة مخزن للحبوب يبيع الدقيق بأقساط طويلة الأجل ، ومرتب الطبيب العام ، والبيطرى الحكومة . وتنهض الحكومة أيضاً بنفقات مدرسة ثانوية ، وبنفقات جامعة سان مارينو الصغيرة .

ومع ذلك ترى سان مارينو برغم طوابعها بلداً فقيراً . ومنذ ثمان وسبعين سنة أراد فريق من كبار أهل القاهرة فى العالم أن ينشئوا فيها نادياً للميسر يكلف مليون ريال وينافس كازينو مونت كارلو . ورأى فئة من أهلها أن هذا المشروع قد يكفل للحكومة مالاً يعينها على رفع مستوى المعيشة. ولكن أحد الحاكمين قال : « إن الذكر الحسن فى الدول الحرة لا يصونه الرخاء المادى ، وإنما يصونه جماع الفضائل العظيمة التى يتخلق بها جمهوريون أعزة أشراف يعرفون كيف يصرفون وجوههم عن الثراء»

وعُرض الأمر للاقتراع عليه ، فرفض مشروع نادى الميسر بأغلبية ساحقة .

ولا تزال سان مارينو اليوم كما نت من قديم الزمن تؤثر أن تظل على فقرها عزيزة الجانب شريفة النفس .



عبرة الجورب القديم

فكى باوم

يوم كنت فى الخامسة من عمرى جربت أن أتعلم السباحة ، فانقطع الحبل الذى أمسكت به حتى أظل عائمة فى الماء ، فشلّ الخوف أوصالى ، فغرقت إلى قعر البركة ، فانتشلونى ولكننى ظللت سنين كثيرة أحس كلما حاولت أن أسبح ، أن قلبى يخفق وأوصالى تتقلص ونفسى ينقطع .

وكان الناس يصيحون بى : « استرخى قليلا ، دعى بدنك يطفو فى الماء » ، ولكن أحداً من هؤلاء الناس لم يبين لى كيف أسترخى ، فلم أتعلم السباحة .

ويوم كنت فى التاسعة صرت أعزف على القيثار ، وكنت أحسن العزف حتى وقفت على المسرح فى حفلة موسيقية ، فإذا هيبة الناس قد أخذت علىّ مذاهبى ، فجمدت أصابعى ، وصارت القيثارة بين يدى قاسية النغم بليدة الرنين ، وظلّ معلمى من وراء الستار ، يومىء إلىّ بيديه ، ويهمس : « دعى أصابعك مسترخية . استرخى » ولكننى كنت أجهل كيف أسترخى .

وفى نحو ذلك الزمن كان هناك رجل شيخ ضئيل الجسم يلبس ثياباً قديمة رثة مضحكة التفصيل ، وكان يذهب إلى الحديقة العامة حيث يلعب الصغار ، فيطعم العصافير وكان من دأبه أن يجلس ساعات متوالية على المقعد يراقبنا ونحن نلعب ، ويتندر معنا ويروى لنا النكات التى نحبها ، ويقذف إلينا كرتنا برشاقة عجيبة حين تبعد عنا ، وقد طلب إلينا أن نسميه « عم بيتر » . فلما عرفنا أنه كان فى زمانه مهرجاً مشهوراً ، زادت روعته فى عيوننا وصرنا نحتشد من حوله متلهفين على مرضاته .

وعثرت يوماً فسقطت ، فلما ضمنى عم بيتر بين ذراعيه ورفعنى عن الأرض كان الدم يسيل من ركبتى وانصدع رسغ يدى .

فقال : « لقد أصبت بأذى لأنك

فكى باوم نسوية الأصل أمريكية الجنسية من أشهر كاتبات القصة ، وقد ذاع صيت رواياتها « جراند أوتيل » التى عرضت فى السينما « وأوتيل برلين ١٩٤٣ » و « الغابة الباكية » وهى قصة المطاط منذ عرف إلى أن صنع صنعاً وتعددت وجوه الانتفاع به . والإشارة فى العنوان إلى الشجر الذى يسيل منه لبن المطاط الطبيعى .

لا تعرفين كيف تسقطين . وهـذا أول ماينبغي أن تتعاميه فى الحياة — أن تسقطى دون أن يلحقك أذى . سواء سقطت عن كرسى ، أو عن جـواد ، أو عن ذروة النجاح . ويوم كنت فى مثل سنك ، كنت قد سـقطت عشرات المرات ، حتى لكأن كل عظمة من عظامى قد صدعت أو كسرت ، ثم تعلمت أن أسقط دون أن تنكسر عظمة من عظامى . فدعينى أعلمك يابنيتى »

وفى ذلك الصيف علمنى الحيل الأولى التى يتعلمها الأولاد الذين يلعبون فى « السرك » ألعاب البهلوان ، كالقعود على الأرض منفرج الساقين وكالانقلاب على الرأس .

وفى وسعك أنت أن تلعب هذه الألعاب إذا عرفت كيف تسترخى . ولـكن عم بيتر لم يصح بى : « استرخى » كما كان الناس يفعلون ، بل علمنى كيف أسترخى .

قال: « تصورى أنك لست سوى جورب قديم هالك متهافت بعضه على بعض ، أفهمت ما أقول ؟ ومتى كنت جورباً قديماً ، صار فى وسعك أن تسقطى دون أن تحسى ألم السقوط ، والجوارب القديمة لاتؤذَى ولا تكسر ، وهذا هو السر كل السر . فلنلعب الآن لعبة الجورب القديم ، لاتقاومى . هذا بدنك رخوٌ كله متهافت ، لا تدَعى عضلة من عضلاتك مشدودة » . ثم رفعنى عن الأرض ثم أفلتنى لأقع عليها ، فلم أصب بألم أو أذى . فتعلمت درسى الأول .

وقد كان ذلك الدرس من أبلغ الدروس التى تعلمتها فى حياتى . وقد أخـذتُ عقلى وشعورى فيما تلا من حياتى بنفس النظـام الذى دربنى عليه عم بيتر .

ومعظم الناس يحاول أن يسترخى فى فترة الراحة ، ولـكننى عرفت بالتجربة أن خير ماتعمل يتم لك عمله وأنت مسترخ ، فإذا استعصى علىَّ أمر وأنا أكتب قصة ، أو إذا نسيت شيئاً ، أحيل نفسى بالتفكير إلى جورب قديم ، فيستقيم لى كل ما أريد . وإذا ما واجهت مشقة أو اشتدت على محنة ما ، كالقيام برحلة مرهقـة أو فقد عزيز ، أو الشعور بخطر أو ألم — رأيتنى أطبق نظام « الجورب القديم » على نفسى فأجدنى قادرة على احتمال ما تأتينى به صروف الأيام .

ويوم كنت فى الخامسة عشرة حمـلوا أمى إلى مستشفى لـكى تعالج بجراحة ، وكان أمل الأطباء فى نجاح العلاج ضعيفاً ، فلبثت أنتظر انتهاء الجراحة منقبضة متلهفـة ، وكان بدنى يرتعش ، وكانت يداى باردتين خدرتين ، وكان كل عصب فى بدنى كالوتر المشـدود يؤلمنى . ثم تذكرت عم بيتر ، وكدت أسمع صوته يغرينى بأن أحيل جسمى إلى جورب قديم . فبدأت أسترخى ،

وأفرغت من نفسى كل ما فيها من مخافة . وساعة بدأت أسترخى أخذ الدفء يدب فى يدىّ ، وزال عنى شلل الخوف ، وانثالت على عقلى الخواطر الجديدة ، كأنها أقبلت لتملأ فراغه . فطلبت من الممرضة أن تأتينى بورق وقلم ، وأنشأت أكتب أقصوصة .

وظللت أكتب ، غير شاعرة بالزمان والمكان ، حتى عادوا بأمى من حجرة الجراحة . لقد جزت المحنة ، فجلست قرب سريرها وهى لا تزال فاقدة الوعى ، ومضيت فى الكتابة ، وعلى كثرة ما كتبت لا أذكر أن الكتابة انقادت إلى طيّعة ميسرة كما انقادت إلىّ فى تلك الساعات الفظيعة .

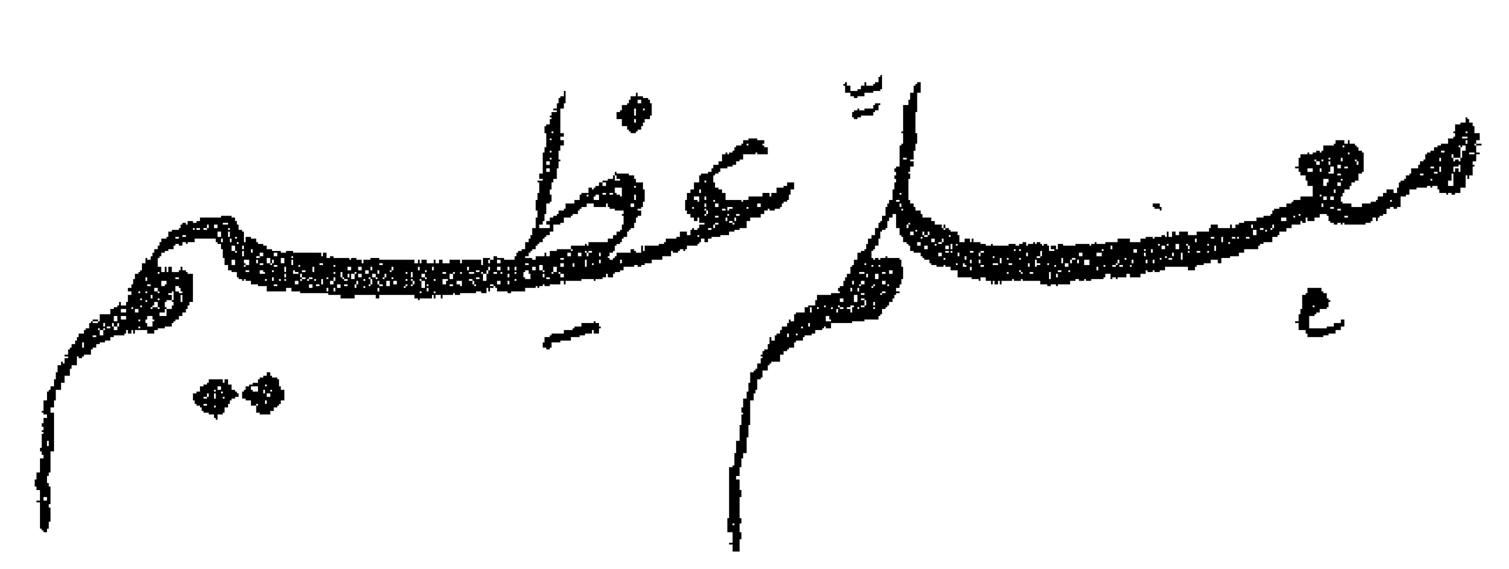
وقد ظفرت قصتى فيما بعد بالجائزة الأولى فى مباراة ذات شأن ، فكانت الخطوة الأولى فى حياتى الأدبية .

والاسترخاء التام ليس ملاذ الخلاص فى أزمات الحياة وحسب ، بل نحن نحتاج إليه كل يوم . فإذا كان يسرّك أن تجد موقعاً حسناً فى قلب أحد من الناس ، فاسترخ . وكل أهل الأثرة والأنانية ، لا يعرفون ما الاسترخاء ، وبذلك يثقلون على قلوب الناس . وإذا وضعت نفسك موضع الجورب القديم سهل عليك أن تستجيب لأفراح الناس وأتراحهم ، فيحبونك من أجل ذلك . وإذا ما ذهبت تطلب عملا ، أو إذا استقبلت ضيوفاً فى دارك ، أو إذا قعدت مقعد السائق فى سيارتك ، أو إذا هممت بتعليم ابنك فأرجوك أن تسترخى — كن جورباً قديما واسترخ . ونحن نعجز عن أن نحسن شيئاً إذا كان العضل منقبضاً والعصب كالوتر المشدود — سَلْ أهل الرقص والغناء والفن والرياضة والملاكمة والطيران والإبداع فى أى ناحية من نواحى الحياة ، ينبئوك بما للاسترخاء من قيمة عظيمة .

وفى وسعك أن تدرّب نفسك على أن تسترخى . والخطوة الأولى هى أن تبسط سلطانك على نفسك وأن تتبين كل انقباض فى بدنك ، وأن تكون قادراً على أن تحل العضل المنقبض من عقاله على الفور . البس مَنَامتك وأستلق ، وأرخ كل عضو من أعضائك . ثم ابحث عن العضلات الصغيرة التى لا تزال متوترة . فإذا ما أرخيتها رأيت نَفَسك قد صار بطيئاً ، وأن بدنك قد صار فراغاً ، فتحس أن أعصابك قد سكنت . فإذا ما رضت نفسك على ذلك ، صار فى وسعك أن تسترخى فى كل وقت وفى كل مكان .

وأنا أرى أن أسلوب الجورب القديم يهوّن على كل امرىء كل مهمة شاقة يواجهها . وأستطيع أن أتصور نفسى فى النزع الأخير، مسترخية ساكنة النفس ، فأقول : « لست سوى جورب قديم يا ربّاه ، فاقبضنى إليك » .

منذ ستين عاماً ، زهد برنارد فى الثروة والراحة ليعلم الريفيين ، وهو الآن فى الثالثة والثمانين ولا يزال يعمل ويحب العمل .



معلّم عظيم



رالف والاس

مختصرة من مجلة "ذى روتيريان"

كان التوفيق الدائم يعد ثروة ، إذا فإن هوارد برنارد ، من أبناء لاكروس بولاية كنساس، يعد عظيم الثراء . وقد كان منذ أكثر من ستين عاماً مضت راعى بقر مفلساً فى سهول كنساس التى تعبث بها الرياح ، وهو اليوم فى الثالثة والثمانين ولايزال غير ذى مال ، ولكنه يعد من أعاظم رجال التربية فى تاريخ مدارس أمريكا الريفية .

وقد جعلته ابتكاراته في التعليم أشبه بإديسون ، فوضع مناهج للزراعة العلمية حين كان معظم الزراع يسخرون من هذه الفكرة ، وأصر على التربية البدنية للبنات حين كانت النساء لاتفكر فى رياضة أشق من شغل الإبرة ، وشجع التدريب العسكرى قبل أن يوجد نظامه فى المدارس بنحو ربع قرن ، وأسس مكتبة من أولى المكتبات للمدرسة الريفية ، ثم توج أعماله فى ١٩٠٦ حين أنفق كل قرش من ميراث جاءه على غير انتظار لبناء ما يعد تمهيداً للمدرسة الحديثة الموحدة ، فازدهر يومئذ لأول مرة ، مركز تعليمى للجماعة فى سهوب الغرب الأمريكى الموحشة .

وقد وصف الثقات ابتكارات برنارد بأنها من أهم أعمال التربية الريفية ، ولكنى أشعر أن هذا الوصف لما منح تلاميذه ، يقصر كل القصور عن إيفائه حقه — فقد منحهم نفسه . وكان هوارد برنارد رجلاً رقيق القلب عظيم الغيرة ولكن فى سبيل غيره ، فأولى الغنى والراحة ظهره عامداً ، ليعلم رعاة البقر الأميين وأطفال الرواد فى مقابل مرتب لم يجاوز قط ٦٧ ريالا ونصف ريال فى الشهر . مرتب ؟ إنما كان ذلك صندوق ادخار للأطفال الذين يعلمهم، فما من مدرسة ريفية تولاها برنارد وفاتها أن يكون لها أرغن اشتراه لها من مدخره اليسير ، أو مبنى جديد يضم إلى القديم يقيمه هو بيديه،

أوأحدث الكتب وصحف المدن الكبيرة فى حافظات أنيقة ، وعلى رفوف جميلة .

ولد هوارد بمدينة نيويورك فى عام ١٨٦٣ وكان أبوه سمساراً غنياً يجنى المال ، وكانت أسرته كلها مفتونة بالتربية ، فأحد أعمامه ، ظل زمناً طويلا رئيساً لجامعة كولومبيا ، وإليه يرجع الفضل الأكبر فى تأسيس كلية برنارد للبنات ، وله عم آخر ، كان أول مدير للتربية في الولايات المتحدة وقد أعان على تقرير المنهج للمدارس الأمريكية جميعاً .

وكان هوارد فتى خجولا كثير القراءة ، تولى المؤدبون أمره أولا ، ثم أرسل إلى المدارس الخاصة الفخمة ، وزار فى أوليات العقد الثانى من عمره معرض فيلادلفيا المئوى حيث شاهد وهو مبتهج معروضات تصور الحيـــاة فى أقاليم الغرب ، فآلى فى التو والساعة ليذهبن إلى كنساس .

وفى عام ١٨٨٤ تسلل خارجا من البيت ببضعة ريالات ادخرها من مصروفه ، وانضم فى إلينوى إلى جماعة فى مركبة رواد ولكنه ضل عنهم قرب سنت لويس إذ ذهب يتمشى منحرفاً عن الطريق ، وغلبه النوم ، فخلفوه فواصل السير وحده ، وتمزق حذاؤه ، ولكنه احتفظ بالكتب سليمة فى جعبته .

وأخيراً حصل على عمل فى رعى البقر قرب لاكروس على الحقول المترامية فى الجانب الغربى من ولاية كنساس ، وكان أجره ثمانية ريالات فى الشهر ، وألفى الفتيان الرعاة الذين كان يلقاهم ظماء إلى المعرفة والتعليم ، فأنشأ أولى مدارسه .

وكانت السماء سقف المدرسة ، ومقاعدها ومكاتبها الحشائش التى ترعاها الأبقار ، فكان الرعاة المكدودون والأطفال المدهشون يجتمعون ظهراً ليتعلموا القراءة والكتابة من أول رجل متعلم صادفوه . وكان هوارد صغير الجسم — طوله خمس أقدام وثلاث بوصات ، ووزنه ١١٠ أرطال — ولكنه كان يسيطر على زملائه الجفاة بفضل شغفه هو بالتعلم . وكانت الكتب المدرسية هى المؤلفات المشهورة التى حملها معه فى جعبته ، وكان الطلبة يكتبون دروسهم على ورق اللف الذى يستعمله البقالون .

واستمرت هذه المدرسة العجيبة عامين ، ثم جاء الإعصار الثلجى الكبير فى ١٨٨٦ فلم يبق لمن كان يعمل له هوارد سوى ١٢ من ١٢٨ رأس من الماشية ، وذهب مال الكثيرين وحاق بهم الخراب ، فرحلوا عن كنساس إلى غير رجعة ، واستطاع هوارد أن يدبر من المال مايكفى لتذكرة إياب .

ولما عاد إلى أهله أصر على رأيه ، وعجز أبواه عن إغرائه بالمال والرفاهية فى نيويورك ليبقى ، فإن هؤلاء الأطفال أبناء الرواد يجب أن

يتعلموا ، وبعـد أشهر عاد إلى لاكروس واجتاز امتحان المقاطعة بأسمى درجة نالها طالب ، ونال إجازة التدريس .

وكانت أولى مدارسه كوخاً حقيراً كان الماء يقطر من سقفه إذا أمطرت السماء ، وكان التلاميذ ، حتى الكبار منهم ، لايكادون يقرأون أو يكتبون. وعرض مفتش مدارس بزهو ، على هوارد مسألة فى الحساب عجز مدرسو المنطقة عن حلها ، فألقى هوارد عليها نظرة دهش — فلا المفتشون ولا المعلمون أصابوا من التعلم ما يعرفهم أن هذه المسألة « الحسابية » من الجبر !

وفى السنوات القليلة التالية صار هوارد أعجب مدرس شهدته كنساس ، فقد كان فى بعض الأحيان لايأكل إلا ثلاث مرات في الأسبوع ليدخر ما يكفى للاشتراك لتلاميذه فى جريدة نيويورك سن ، ومجلتى بوبيولار سينس ، وناشونال جيوجرافيك وغيرها . وكثيراً ما كان فى وقت الإجازات يرحل على قدميه ، وينام فى أكوام الدريس ويستجدى الطعام ، مسافة ٣٠٠ ميل إلى توبيكا ليحصل على كتب فى أساليب التعلم الحديثة .

وكان فى الصيف فى أوقات الفراغ من عمله فى الحقول ، يصلح المكاتب المحطمة ، ويوسع فصول مدرسته لكثرة التلاميذ . وفى حينما يعلم يظهر أرغن جديد ، وتعلم تلاميذه أن يغنوا ألحان الأطفال وأناشيد باخ وأغانى جوقات الأوبرا . ولم تكن إجازة تمضى بغير أن يقيم حفلة مدرسية يوزع فيها مرطبات يأتى بها من القليل الذى يدخره .

ولم يلاحظ أحد ، على مايبدو ، أن برنارد فى فصول الشتاء كان يمشى على الثلج فى حذاءين رقيقين ملفوفين فى هلاهيل . فما كان له مال حتى يشترى به حذاء ثقيلا .

وكانت مجالس إدارة المدارس الإقليمية المختلفة تضحك وهى خجلة فى سرها من برنارد الشاب ، وكيف أنه يقبل أن يتولى مدرسة بمرتب ضئيل سخيف ، ولكن برنارد كان يريد أن يبين لكل إقليم كيف ينبغى أن تكون المدرسة . وكان فى آخر كل فترة مدرسية يلقى دروساً فى مدارس المعلمين بالولاية ، فكان يعلمهم الأساليب الحديثة ، ويبث فى نفوس الطلبة الرغبة فى بذل جهود جديدة . حدثنى مفتش مقاطعة قال : « الواقع أنى أخذت عن برنارد من الرياضيات فى مدرسة المعلمين أكثر مما تلقيت فى الجامعة » .

وكان برنارد يقصد كل شهر إلى بنك لاكروس ويطلب دائماً طلباً واحداً لايتغير : « سلفة » مقدارها ١٦ ريالاً ترد عندما يقبض مرتب الشهر التالى . فظل عشرين عاماً مديناً للبنك بستة عشر ريالا . ولكنه

هذا الاعتماد الدائر كان دائماً ينفق — دون أن يعلم أحد — فى مساعدة غيره : كأن يؤدى أجر الغرفة وثمن الطعام لمدرس مكروب فى معهد المعلمين ، أو لبهدى دائرة معارف أطفال جديدة لمدرسته الإقليمية .

وكان برنارد لايتحدث أبداً عن متاعبه، ولا أخبر أحداً بالسبب الذى جعله يلبس حذاء من اللبد صيفاً وشتاء ، وكان طبيب القرية هو وحده الذي يعرف أن الجمد أصاب قدمى برنارد وأنه آذاهما بالمشى إلى توبيكا ليجىء بكتاب فى الفلك رأى أن أطفاله يحتاجون إليه .

وبعد أن قضى عشرين عاماً وهو يعلم صارت له فلسفة فى مساوىء التعليم الريفى فى أمريكا . فالمعلمون يظلون غير صالحين لأنهم يأخذون أجوراً دون الكفاية ، والمدرسة ذات الغرفة الواحدة لاتستطيع أن تزود منطقة زراعية موحشة بالتسهيلات الثقافية والرياضية . ولما لم تكن هناك مدارس ثانوية فإن البنين والبنات من أبناء الزراع إما أن لايتلقوا تعليما ثانويا ، وإما أن يذهبوا إلى أقرب بلدة أو مدينة ، وهناك يحدث كثيراً أن يقطع مابينهم وبين الحقول إلى الأبد . والعلاج كما رآه برنارد ، هو أن يجمع عدد من المراكز معاً فى مدرسة كبيرة واحدة .

وبدا الأمر لهذا المعلم المتحمس الضاوى الذى قارب الكهولة ، كأنه حلم مستحيل ، فإن التفكير الحديث فى أمور التربية لم يتقدم كثيراً ، ولا مال هناك لمثل هذا المشروع ، وإذا برسالة تجىء من نيويورك تقول له إنه ورث نحو ١٨٠٠٠ ريال !

فخيل إلى برنارد أن دعاءه قد استجيب ، فاشترى على مسافة ١٨ ميلا إلى الشمال الغربى من لا كروس عشرة فدادين من الأرض ، وكلف مهندساً أن يضع رسماً لمدرسة لم تر هذه المنطقة الموحشة من الغرب نظيرها من قبل — بناء ضخم أبيض ذا طبقتين ، تكون فى أدناها حجرات القسمين الأولى والمتوسط ، وفى أعلاها حجرات المدرسة الثانوية وردهة الاجتماع والمحاضرات. وأعد برنارد ست مركبات نقل تجرها الخيل لتقل التلاميذ من المدرسة إلى البيت ، ومنه إلى المدرسة . وجهز المكان بتلفون — أعجوبة الريف — للاتصال بلا كروس عند الطوارئ ، ومهد فضاء للألعاب الرياضية ، وأقيم فيه مدرج لثلاثمئة شخص . وزود البناء بنظام للتدفئة ، وبيانو ضخم ، ومسرح وغرف لثياب التمثيل ، وإضاءة كافية — وتلك كانت معجزة يومئذ — من مصابيح بنزين جديدة براقة استوردها برنارد .

ولكن برنامج التعليم الذى وضعه برنارد

لمدرسته الجديدة التي سماها «أنترنو» — أي «فيما بيننا» — هو الذى أحدث الضجة فى تلك النواحى ، وراح الآباء يحدقون فى البرنامج الذى يشتمل على التربية الوطنية ، وإمساك الدفاتر ، وعلم وظائف الأعضاء ، والعلوم المنزليـة ، والموسيقى . واستـخدم برنارد ضابطاً سابقاً فى الجيش للإشراف على الألعاب الرياضية والتدريب العسكري ، وألف فرقة من البنات للعبة كرة السلة .

وكان على برنارد وهو يدرس الزراعة العلمية أن يحسن التدبير والحيلة، لأن اعتراض الآباء كان عاماً على مثل هذه « البدع » ، فأفرد فداناً للزراعة بعد الفراغ من المدرسة، و«أذن» للبنين والبنات أن يجربوا زرع خضر ومحاصيل جديدة ، وهناك تعلموا أحدث التطورات فى الزراعة .

وجعل مرتبات المعلمين أعلى مافى الولاية كلها — وكان بعضهم يتقاضى ضعفى المرتب المقرر عامة . وكانت هيئة التدريس مؤلفة من سبعة، يضاف إليهم حارس وستة سائقون. وفى العام الأول لم يدخل القسم الثانوى سوى تلميذ واحد — فتاة ، ولكن عشرة التحقوا بالقسم فى العام التالى ، فضلا عن ستين تلميذاً آخرين ، واضطرت المدرسة المجاورة ذات الحجرة الواحدة أن تغلق بابهـا ، وتقبل برنارد تلاميذها وهو مغتبط .

وجعل برنارد مدرسته مركزاً اجتماعياً وثقافياً لما حولها ، وكان الوعاظ يفدون كل أحد وجمعية الأخلاق تعقد كل أسبوع. وفى الصيف تقام حفلات اجتماعية تعزف فيها الموسيقى وتقدم المثلوجات ، وفى الشتاء عشاء المحار . حدثتنى سيدة متزوجة فى القرية قالت: «كان هذا قبل عهد الراديو والسيارات التى تحملك إلى المدن ، فصارت « أنترنو » أضوأ نقطة فى حياتنا ، وعلمتنا أن حياة الريف يمكن أن تكون مسلاة » .

وأقبل رجال التربيـة من كل فج فى أمريكا ليزوروا مدرسة برنارد ويدرسوا أساليبه، فكان من آثار عمله التعجيل بإقامة المدارس الموحدة، فبعد إنشاء مدرسة أنترنو بأربع سنوات ، سنّت ولاية كنساس أول قانون لإنشاء هذه المدارس . وبعد سنة — فى ١٩١٢ — نفد دخل برنارد ، وأغلقت المدرسة ولكنها حققت الغاية منها : إنشاء هذا الطراز من المدارس . وكان برنارد فى التاسعة والأربعين من عمره ، وقد نهكه التعليم نحو ثلاثين عاماً ، فصار أمين مكتبة فى مدرسة لاكروس الثانوية .

وبعـــد ربع قرن كامل نال برنارد الاعتراف العام بفضله ، فأغلقت مدارس البلاد احتفالا بيومه ، وعزفت الموسيقى ، وكان استـعراض وكانت خطب ، ووقف

برنارد أمام دار كتب جديدة جميلة بُنيت في المدينة ينحني في حياء، حين هتف أصدقاؤه — ومئات منهم تلاميذ سابقون له — وقد وضعت لوحة من الحجر على الباب حفرت عليها هذه العبارة البسيطة : « مكتبة برنارد ١٩٣٧ » .

وقد زرت برنارد منذ عهد قريب ، فألفيته في الثالثة والثمانين يعمل أميناً لكل من مكتبة المدينة ومكتبة المدرسة ، ولا يزال كما كان نشاطاً وخفة ، ويبدو للناظر بضآلة جسمه وحذائه ، وهو من اللبد ، وباعتدال قامته وبياض لحيته ، وبأنفه الذي يشبه أنف الصقر وبجبينه العالي، فكأنه مزيج من والت ويتمان الشاعر الأمريكي ذي اللحية العريضة وبرنارد شو . وقد أثبت أنه خبير بالمكتبات كخبرته بالتعليم . وفي عصر كل خميس يحتشد الصبيان والبنات إلى سن العاشرة متلهفين حول خزانة كتب مغلقة فيها من ١٥ إلى ٢٠ كتاباً جديداً — وكلما استعار طفل في أثناء الأسبوع كتاباً ، فإن بطاقة باسمه توضع في وعاء ، وفي يوم الخميس يجرى السحب ، فيختار الفائز الكتاب الذي يؤثره من خزانة الجوائز . فهو نوع من يانصيب للصغار — في مكتبة ! وثمن هذه الكتب كالعادة من جيب برنارد .

ومكتبة لاكروس ، وآلاف المدارس الموحدة الحديثة المنتشرة في أرجاء البلاد كلها مفاخر لرجل لن تجد أتم منه استعداداً للتضحية الشخصية ليفوز أطفال البلاد التي استوطنها بتعليم أصح، وليكونوا رجالاً ونساء أعقل وأصح تقديراً . ولا شك أن أمريكا مدينة لبرنارد بدين هو درس عميق في الإيثار والشجاعة في الابتكار وفي إتقان العمل .

التدخين والإبصار في الليل

«حسبك أن تدخن سيجارتين لكي تضعف قدرتك على الإبصار في الليل» . هذا هو رأي الدكتور تشارلز شيرد أحد أطباء معهد مايو الطبي . فنيكوتين الطباق يقبض جدران أوعية الدم فيقلّ ورود الدم إلى شبكية العين ، فتعجز العين عن المطابقة اللازمة للرؤية في الضوء الضعيف إلا بعد زمن يزيد عن الزمن العادي ربع ساعة إلى نصف ساعة . ومن أجل ذلك ينصحون الطيارين في كتب التدريب ، بالامتناع عن التدخين قبل الطيران في الليل .

[مجلة « سينس دايجست »]



« يقضي الرجل ربع قرن حتى يتعلم كيف يكون زوجاً صالحاً . فمن العجب العجاب أن تطيق المرأة صبراً حتى يتم ذلك » .

[كلارنس بدنجتون كلاند ، روائى]

« إذا تقصيت حياة الأمريكى الموفق من رجال الأعمال ، وجدته قد ولد فى الريف فجعل يجهد حتى يتمكن من العيش فى المدينة ، فلما صار فيها ظل يجهد حتى يستطيع أن يعود إلى سكنى الريف » .

[دون ماركوس ، مؤلف]

« لم ألق فى حياتى رجلاً معافىً يساوره همٌّ أو قلق على صحته فى الدنيا ، ولا رجلا صالحاً يستبد به قلق على حسن ثوابه فى الآخرة » .

[ج . ب . س . هولدين ، عالم]

« حين نعطى خريج الجامعة شهادة ، فإنما نقدم له دِثاراً يغطى به عُريه العقلى » .

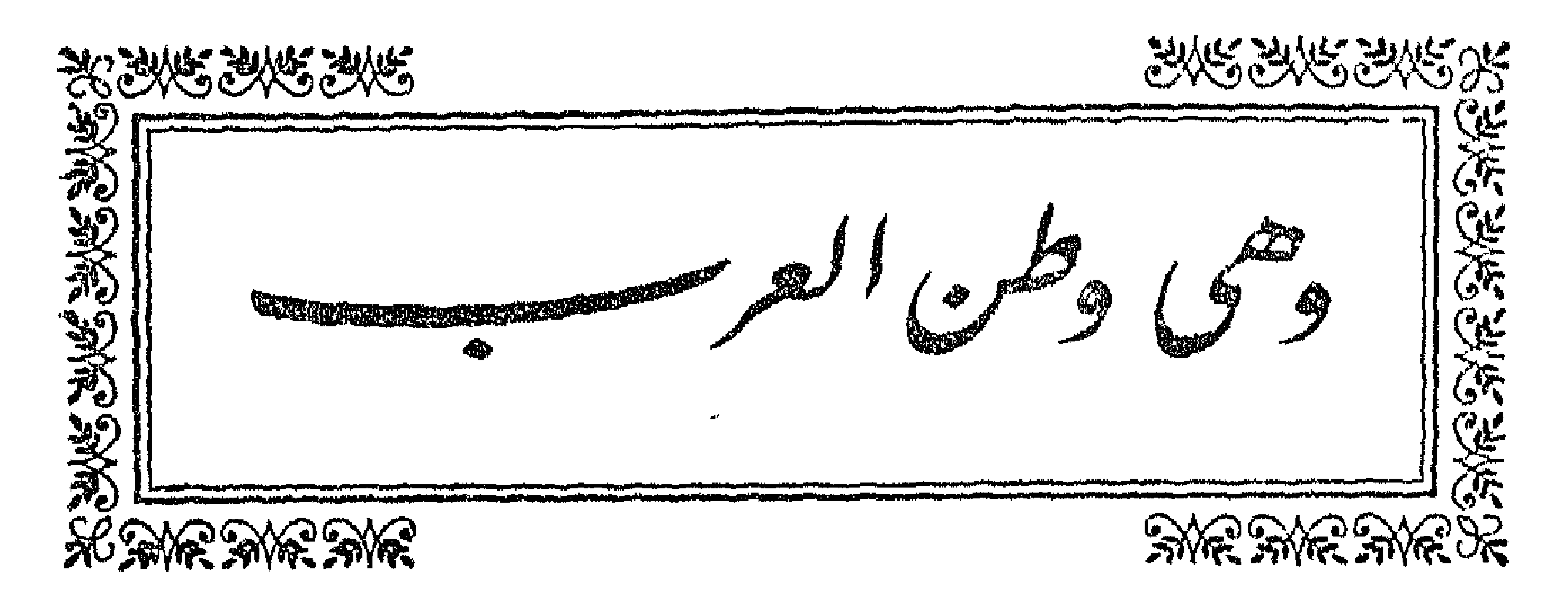
[روبرت هتشنز ، رئيس جامعة شيكاغو]

« يخلق بالناس فى الحين بعد الحين ، أن يضعوا علامة الاستفهام أمام ما دأبوا على التسليم به من آراء فى شئون الحياة — فى الحب والدين والسياسة والتجارة » .

[برتراندرسل ، فيلسوف]

« الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يضحك ويبكى ، لأنه الحيوان الوحيد الذى يروعه ما يراه من فرقٍ بين الأشياء كما هى ، وبينها كما ينبغى أن تكون » .

[وليم هازلت ، ناقد]



كرميت روزفلت • مختصرة من مجلة "هاربرز"

ينبغى للأمة الأمريكية أن تواجه حقيقتين كالحتين فى علاجها مشكلة فلسطين التى تنذر بشر مستطير. أما الأولى فهى أن المذهب الصهيونى هو فى نظر كثير من اليهود المبدأ الأصيل فى حياتهم، يقاتلون فى سبيله ويموتون، وهو فى نظر كثيرين منهم لم يزالوا فى أوربة معقد رجائهم الوحيد. أما الثانية، وهى أقل ذيوعاً من الأولى، فهى أن للعرب حقوقاً فى فلسطين، وأن برنامج الصهيونيين يهدد هذه الحقوق، وأن العرب أيضاً سوف يقاتلون ويموتون فى سبيل حقوقهم.

وقد يعود أحدهم فى الحين بعد الحين من زيارة قصيرة للقدس، فيروى أن عداء العرب للصهيونية قاصر على الأغنياء من ملاك الأرض، وأما الشعب فلا يحفل بالأمر، ويقول إن إنشاء دولة يهودية أمر مستطاع دون معارضة تذكر. أما أنا فإن تجربتى فى فلسطين قد أفضت بى إلى رأى مناقض لهذا الرأى كل المناقضة.

ولأضرب لك مثلا. فى يوم من أيام سنة ١٩٤٤ نزلت أنا وصديق أمريكى يتكلم العربية، بقرية عربية صغيرة على بحر الجليل، فدعانا شيخ القرية لنشرب القهوة فى داره الصغيرة المؤلفة من حجرة واحدة تنصب عليها أشعة الشمس. فلما تبادلنا التحية وشربنا القهوة، جعل مضيفنا يسألنا عن سياسة أمريكا، قال: أصحيح أن أمريكا

* كرميت روزفلت حفيد تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة ١٩٠١ — ١٩٠٩، وقد بدأ يعنى بمسألة فلسطين يوم كان فى القاهرة فى سنة ١٩٤٣ فى عمل لوزارة الخارجية. وقد طوف فى أثناء الحرب فى المملكة العربية السعودية، ومملكة شرق الأردن الهاشمية وسورية ولبنان وفلسطين، وكان قبل ذلك يدرس التاريخ فى جامعة هارفرد ومعهد العلوم فى كاليفورنيا.

تبذل المعونة لليهود حتى ينتزعوا فلسطين من العرب ؟ وبأى حق يقول شعب فى بلد ما لشعب فى بلد آخر ، إنه ينبغى له أن ينزل عن أرضه لجماعة من الأغراب ؟ ولم يكن الشيخ رجلاً مثقفاً ، ولكنه كان قوى الحجة ، ثابت العقيدة ساعة قال لنا إنه وإخوانه من سكان القرية يؤثرون أن يقاتلوا حتى يفنوا على بكرة أبيهم ، ولا يبيحون لأكثرية أجنبية أن تغلبهم على وطنهم .

وكانت قريته مجاورة لقرية قامت فيها مزارع يهودية اشتراكية جميلة ، فقلنا إن جيرانه قد وقعوا من نفوسنا موقعاً حسناً ، من حيث هم مزارعون محسنون ، ومن حيث هم قوم مخلصون . فكان صريحاً فى اعترافه بأن اليهود قد علموا أهل قريته كيف يحسنون الرى ، وأعاروهم الأدوات للزراعة ، وأسدوا إليهم أيادى كثيرة ، فهو معجب بهم من حيث هم ناس من الناس. ولكنه قال إن فى فلسطين يهوداً يحتقرون العرب ويسيئون إليهم . ولم تسكن نفسه ولا اطمأن إلى ما يقطعه الصهيونيون من عهود على أنفسهم بأن يضمنوا للعرب المساواة فى الحقوق، فالمسألة فى نظره بسيطة لا تحتمل الشك : إذا تم لليهود ما يريدون ، صارت فلسطين أرضاً يهودية ، لا أرضاً عربية .

وفى مساء ذلك اليوم تحدثنا فى القدس مع رجل كان « ضابط اتصال » فى مزرعة يهودية اشتراكية فى أيام الشدة والعنف التى سبقت نشوب الحرب الأخيرة ، فسألناه عن نجاح اليهود فى تعزيز صلات الصداقة بينهم وبين جيرانهم من العرب ، فقال إنهم نجحوا بعض النجاح . ففى أيام الثورة قبل الحرب لم يعتد أحد من العرب على أحد من أهل تلك المزرعة ، فقد كان شكرهم صادقاً لما نالوه منهم من معونة ومشورة ، بل كانوا أحياناً يحذرون اليهود من هجوم يدبره العرب عليهم فى منطقة أخرى .

ولكن ذلك كان أمراً خاصاً بين جماعتين ولا شأن له فى رد العرب عن غرضهم العام — أن يحتفظوا بفلسطين بلداً عربياً . ولكى يوفقوا بين شعورهم الرقيق ، وواجبهم الوطنى ، كما يرون ذلك الواجب ، تراهم يغيرون على جماعة أخرى من اليهود ، حيث لا يجدون بينهم وبين اليهود صلات خاصة تمنعهم من ذلك . وقد قال لنا صاحبنا هذا إنه لا يشك فى أنهم سوف يفعلون ذلك مرة أخرى .

وقد كان الإرهاب فى فلسطين منذ سنة ١٩٣٩ من صنع المتطرفين اليهود ، ولكنه لم يكن كذلك فى الماضى ، ولا يحق لنا أن نفرض بقاءه على ذلك فى المستقبل . وعلى أن الكفاح اليوم قائم بين البريطانى واليهودى ، فليس

فى وسع أحد أن يتكهن باليوم الذى يحسُّ العربى بأن عليه أن يهبّ إلى انتضاء الُحسام.

وليس فى فلسطين اليوم سوى موضوع واحد للحديث: النزاع بين العرب واليهود. وليس بين الذين يراقبون الحالة عن كثب سوى نفر قليل من المتفائلين . ولابد للمرء من أن يكون بعيداً عن مشهد هذا النزاع حتى يسعه أن يتصور أن العرب يقبلون أن يخضعوا لفرض دولة يهودية على فلسطين . وتقرير لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية يقول صراحة ، إن زعماء العرب يمثلون رأى أتباعهم . واللهجة الغالبة على التقرير تتبدّى فيها نذر الإرهاب وسفك الدماء .

فما يورث الحسرة فى هذه الأحوال أن ترى نسبة كبيرة من اليهود المعذبين فى أوربة يؤثرون الرحلة إلى فلسطين ، فإذا لم يتم الاتفاق مع العرب فلن يجدوا فى فلسطين حلاً لتفريج مشكلتهم المريرة . وإن أمل المهاجرين فى الظفر بالسلام والأمن فى بلد تمزقه حرب أهلية مردُّها إلى وجودهم فيه ، لهو أمل ضعيف حقاً .

ومع ذلك أرى أن هناك طريقة تمكنهم من الظفر بهذا الملاذ مقابل تضحية ، وهذه التضحية هى النزول نزولا باتاً عن فكرة إقامة دولة يهودية فى فلسطين، والاتفاق على خفض عدد المهاجرين فى المستقبل إلى عدد معقول (بعد إدخال عدد معين منهم مثل مئة ألف). ولن تجد لهم حلا لا يقتضى منهم تضحية أعظم من هذه التضحية .

إن مشكلة فلسطين المفجعة ، محجبة فى غلائل من الوعود المتناقضة ، حتى لترى أى حل تقترحه فيه إجحاف بكثيرين ممن قبلوا تلك الدعوة قبول المطمئن إليها . ومما يؤسف له أن الذين بذلوا هذه الوعود لم يكن لهم حق أدبى ، أوحق مستمد من الواقع ، فى أن يبذلوها .

ولكى تفهم هذه المسألة على وجهها فاجعل مثل البريطانيين والعرب ، مثل الأمريكيين وأهل الفلبين ، وافرض أن الولايات المتحدة قد تعهدت بأن تساعد أهل الفلبين على بلوغ الاستقلال الذاتى ، ثم انقلبت إلى شعب واقع تحت ظلم اليابان ، كان منذ قرون كثيرة يسكن جزائر الفلبين وهو اليوم غريب عنها ، ووعدته بأن تتيح له أن ينشىء دولة فى هذه الجزائر . فأهل الفلبين لن يسلموا بحق الولايات المتحدة أن تقطع لذلك الشعب عهداً كهذا العهد ، ويقاومون سعيها إلى تحقيقه أشد مقاومة . ولاريب عندى فى أن الرأى العام الأمريكى سوف يؤيدهم فيما يفعلون .

ومن أشق الأمور أن تجد رداً على قوله

العربي حين يقول: « إنكم أيها الأمريكيون تتحدثون عن حماية حقوق الأقليات. أفيعنى هذا أن الأكثرية ينبغى أن تداس ، وأن تجعل أقلية برغمهـــا وفى عقر دارها ؟ وتتحدثون عن حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وعن الانتخابات الحرة ، وعن الديمقراطية ، فلمَ لا تدعون فلسطين تجرى انتخاباً حراً لتقرير مستقبلها على الطريقة الديمقراطية ؟ ثم أليس من المستغرب ، برغم استبشاعكم لاضطهاد النازى لليهود ورغبتكم المعلنة فى مساعدتهم ، أليس من المستغرب أن تمتنعوا أنتم وكندا وأستراليا ودول أمريكا الجنوبية، برغم سعة أراضيكم ، عن قبول نصيبكم الحق من هؤلاء المهاجرين ، بدلا من أن تطالبوا بلداً واحداً صغيراً بأن يحمل العبء كله ؟ »

وقد روت لجنة التحقيق : « إن فلسطين وجدها لا تستطيع أن تتسع لهجرة جميع الضحايا اليهود » وأن « ما اطلعنا عليه من الحقائق عن بلاد أخرى سوى فلسطين لا يدع لليهود أملا فى معونتهم معونة تذكر لى الظفر بمأوى يأوون إليه » . وهذا الأخير داع إلى ســوء الظنّ بعدل الأمم الغربية ورحمتها .

إن تبعة اضطهاد اليهود الذى أفضى إلى هذه الهجرة لا تقع على العرب . وهم يقيمون الحجة على أنهُ لا ينبغى لهم أن يحملوا وزر غيرهم بأن يفتحوا بلادهم لمئات الألوف من اليهود المضطهدين فى أوربة ، ويقولون إنهم سوف يضطلعون بنصيبهم إذا فعلت البلاد الأخرى التى تفوق بلادهم سعة كما يفعلون . أما أن تسألهم أن يحملوا العبء كله ، فامتهان لمعنى العدل ، والعطف على شعب مظلوم لا يسوّغ ظلم شعب آخر . نعم إنه من العار أن تحنث بوعد قطعته ، ولـكن أقبح منه أن تمضى مطبق العينين فى تنفيذ وعد جائر . وليس من العدل أن ترغم أكثر السكان فى بلد ما على أن تقبل هجرة واسعة النطاق إلى بلدها تترك الأكثرية فيها أقلية .

وقد أشرت إشارة موجزة إلى حقوق العرب ، لأن هذه الحقوق لم تنل ما يخلق بها من ذيوع فى هذه البلاد (أمريكا) . بيد أن قضية اليهود قوية ، وحقوق اليهود فى أن يجدوا ملاذاً ، وبيوتاً يسكنونها فى سلام وكرامة ، أمر لا يختلف فيه . فينبغى تحقيقها بعمل دولى ، ونحن جميعاً نحمل نصيبنا من اللوم فيما أصابهم من عذاب ، ومن التبعة فى تدبير حل لمشكلتهم . فالمسألة هى : ما هو نصيب فلسطين فى هذا الحل ؟

تجد فى وعد بلفور ، وصك الانتداب

الصادر من عصبة الأمم ، وعوداً واسعة في موضوع مقام اليهود في فلسطين . ومع أن الوثيقتين لاتقيّدان العرب بشيء ، فليس الذنب في هذه الوعود ذنب اليهود . فالصهيونيون ليس لهم حقوق شرعية في فلسطين ، بل آمال مشروعة إذا صح هذا التعبير .

ولكنك تجدهم اليوم يشتدون في طلب شيء أكثر مما وعدوا به . وقد جاء في تقرير لجنة التحقيق : « إن المطالبة بقيام دولة يهودية يتعدّى حدود وعد بلفور وانتداب عصبة الأمم ، وقد تنصّل منهُ صراحة رئيس الوكالة اليهودية في ١٩٣٢ » . وطلب إقامة دولة يهودية هو الذي يثير أشد الخوف والبغضاء في قلوب الشعوب العربية . فالنزول عن ذلك المطمح — وهو التضحية التي أراها لازمة من أجل خير اليهود في فلسطين وأوربة — لا ينتقص مما كان يحق لليهود أن يؤملوه ، بل هو عودة إلى الخطة الأصلية .

أما الخطوة التالية — قبول تحديد الهجرة في المستقبل تحديداً شديداً بعد أن تتمّ هجرة الحالة الطارئة — فتكون رجوعاً حقيقيًّا عما يحق لهم أن يؤمّلوه . ولكن المسألة ليست بذات شأن من ناحية الحقيقة والواقع ، للأسباب التالية :

عند المفاوضة لتقرير عدد المهاجرين الذين يقبلون لمواجهة حالة الطوارىء ، لابد للولايات المتحدة ولبلاد الدومنيون البريطانية من أن توافق على دخول نسبة معقولة من المهاجرين إلى بلادها ، والإنسانية تقضي بذلك أيضاً . فإذا تم الاتفاق على أن العدد الذي يصلح لفلسطين هو ١٠٠ ألف — وهي بلد لا تزيد مساحته على ولاية ڤرمونت — كان من المعقول أن يكون نصيب الولايات المتحدة وبلاد الدومنيون ضعفي ذلك العدد أو ثلاثة أضعافه إذا اقتضى الأمر . ومهما يكن فالاتفاق الأخير ينبغي أن يكفل مساكن لليهود الذين يرغبون الآن أن يهجروا أوربة .

وبعد أن يدبّر الأمر للذين يريدون المهاجرة الآن ، يغلب على الرأي أن لا يبلغ طلب الهجرة على فلسطين مبلغاً كبيراً ، بل هناك عدد يذكر من اليهود في فلسطين يريدون أن يهجروها إلى أمريكا الجنوبية ومواطنهم في أوربة ، أو إلى الولايات المتحدة . ولجنة التحقيق تشير إلى طلب قدمه يهود يقيمون في فلسطين الآن إلى حكومة النمسا ، يطلبون الإذن في العودة إليها . وقد تقدم مطالب أخرى من هذا القبيل في السنوات المقبلة .

وينبغي أن نتدبر أيضاً قدرة فلسطين على استيعاب السكان ، فالزيادة الطبيعية بين

العرب كانت كبيرة وسوف تستمر» ، ولكن المشروعات التى من قبيل مشروع « وادى الأردن» تستطيع أن تتيح زيادة مذكورة فى عدد السكان اليهود .

وإذا صرفنا النظر عن اليهود ، أفيقبل العرب هذه المقترحات؟ إنى أظن أن موافقتهم محتملة، على أن تكون جزءاً من الخطة التالية:

حين تتم موافقتهم ، يمهد السبيل على الفور لفلسطين حتى تصير دولة مستقلة عضواً فى الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة . وتكون دولة أكثريتها عربية ، لكن حقوق الأقلية اليهودية فيها تكون مضمونة ضماناً وافياً من قبل الأمم المتحدة ، وتكون لهم حكومة محلية مستقلة، ومشاركة صحيحة كاملة فى حكومة الدولة .

وينبغى أن يحوّل زمام الإدارة فى البلاد إلى العرب واليهود على أسرع وجه مستطاع ، على أن تمنح الاستقلال التام متى قررت لجنة من هيئة الأمم المتحدة ، يكون بين أعضائها ممثل واحد على الأقل لدولة عربية ، أن الحكومة قادرة على صون الأمن العام .

وأعتقد أن العرب يرضون عندئذ بعدد وافر لمواجهة حالة الهجرة الطارئة إذا حدد تحديداً ثابتاً لارجعة فيه ، لأن هذا يتيح لهم أن يحققوا مأربين : الاستقلال وضمان بقائهم أكثرية فى بلادهم .

أما اليهود فيظفرون بمعظم ما وعدوا به فى تصريح بلفور وانتداب عصبة الأمم ، وبأكثر مما عرض عليهم فى كتابين أبيضين أصدرتهما الحكومة البريطانية : وأظن أن معظم اليهود يرضون بأن ينزلوا عن فكرة الدولة اليهودية ويقبلوا قيود الهجرة فى مقابل بيوت تتاح للمشردين فى أوربة — على شرط أن يؤيد الرأى العام فى بريطانيا والولايات هذه المقترحات، ويأبى أن ينظر بعد فى أى توسع فى الوعود السابقة. وكثيرون من اليهود، ولاسيما يهود فلسطين، مافتئوا يدعون إلى عمل على هذه الأسس منذ زمن بعيد .

وهذا المشروع لا يرضى أحد الفريقين رضىً كاملا ، ولكن لا بدّ من أن يصنع شىء ، فالجمود يفضى إلى الفوضى فى مخيمات المهاجرين فى أوربة ، وفى فلسطين ، ثم فى معظم الشرق الأوسط . وتأييد برنامج الصهيونيين فى حاله القائمة مفض ولا بدّ إلى مأساة كمأساة يهود أوربة فى العهد الأخير ، ولن نصل إلى حل مجدٍ مطابق لروح العدل والديمقراطية عندنا ، إلا إذا تدبرنا حقوق العرب كما تدبرنا حقوق اليهود .

لمحات من حياة العظماء

كان الموسيقار توسكانيني مديراً لدار الأوبرا «لاسكالا» في ميلان، عرض مؤلف موسيقي غير موهوب مخطوط أوبرا ألفها لمباراة كان توسكانيني أحد المحكمين فيها، وطلب أن يعرض مخطوطه على توسكانيني ليرى رأيه فيها. فتم ما طلب ورفضها المحكمون. وانقضت عشر سنوات، والتقى الرجلان في نيويورك، فقال المؤلف: «ما مضى مضى يا أستاذ، ولكنني أود أن أعرف لِمَ رفضت الأوبرا التي ألفتها؟» فقال توسكانيني: «لم تعجبني». فقال: «ولكنني واثق أنك لم تطلع عليها، ولو كنت اطلعت عليها لأعجبتك». فقال توسكانيني: «دعك من السخف، أذكرها، ولا خير فيها. اسمع» وجلس توسكانيني إلى البيان وعزف عدة ألحان من أوبرا رفضها منذ عشر سنوات، وظل يقول وهو يعزف: «لا، لا تصلح، لا خير فيها، إنها أحقر من أن تنقد».

لما وصل فولتير إلى إنجلترا سنة ١٧٢٧ وجد السخط على الفرنسيين عامًّا، فتوجّس شرًّا من السير في شوارع لندن. وذات يوم احتشد حولهُ جمهور غاضب يصيح: «اقتلوه. اشنقوا الفرنسي» فتمهل فولتير ثم واجه الجمهور وقال: «أيها الإنجليز! إنكم تريدون أن تقتلوني لأني فرنسي! أما يكفيني عقاباً أنني لست إنجليزياً؟»، فهتفوا لهُ وسار بسلام حتى بلغ إلى داره.

تلقى الشاعر الإيطالي دانتزيو رسالة يوم كان يقطن باريس، وكان العنوان عليها هذه الكلمات: «إلى شاعر إيطاليا الأعظم»، فأبى أن يتسلَّمها وقال: إنهُ ليس شاعر إيطاليا الأعظم، بل أعظم شعراء العالم!

كان برنارد شو يستمتع بالسباحة في بركة في جنوب إفريقية، وكان على مقربة منه فتيان لا يعرفون الكاتب الكبير، فتحدوا أحدهم أن «يغطِّس الشيخ» فيعطوه خمسة قروش إن فعل. فقبل، فلما دنا منه خانته عزيمته، فالتفت شو فرآه فسألهُ عما بهِ، فذكر له متلعثماً أمر تلك الدسيسة، فقال شو وهو متجهّم: اصبر قليلاً حتى آخذ نفساً عميقاً ثم افعل ما بدا لك يا بنيّ. ففعل ثم رجع أدراجه مظفّراً وأخذ المال من أصحابهِ.

الخوف والهم وضعف الأعصاب الموروث ، هى الأصل فى نصف مايقاسيه الناس من «وجع المعدة»

الأعصاب وسوء الهضم

ولتر س. ألفاريز

مختصرة من مجلة "هايجيا"

إذا ما بدأ الرجل ، أو المرأة ، يعانى سوء الهضم ، فما هو السبب الأغلب يا ترى؟ أينجلى الفحص عن وجود مرض ، أم يردّ الطبيب الأمر إلى الأعصاب أو الهموم أو العجلة فى التهام الطعام ؟ والواقع أن أكثر ذلك تبعٌ لعمر المصاب ، وهل هو ذكر أو أنثى . فالشباب ، والإناث منهم خاصة ، أدنى إلى الإصابة بسوء الهضم العصبي من الكبار ، أما الكهول الذين بدأوا يحسون وجعاً فى البطن منذ عهد قريب ، فيغلب أن يكون مردُّ شكاتهم إلى علة عضوية .

وأخشى ماينبغى أن يُخشى هو سوء الهضم الذى يباغت كبار السن المتباهين دائماً بأن لهم « معداً من حديد » ، فمن الجلى فى هذه الحال أن شيئاً قد اختلّ ، ولعله ورم أخذ ينمو ، أو حصاة فى المرارة ، أو وهن آخذ يدب فى القلب . وكل امرىء جاوز الكهولة ممتعاً بالصحة والعافية ، ثم بدأ يكابد سوء الهضم أو وجع البطن ، ينبغى له أن يبادر إلى فحص نفسه فحصاً دقيقاً ، وأن يشمل الفحص تصوير المعدة والأمعاء بالأشعة .

إن جهاز الهضم مزوّد بشبكة من الأعصاب تربط أجزاءه بعضها ببعض ، وتربطها كلها بالدماغ . وقد كان لهذا الارتباط بالدماغ نفع فى عهد سابق ، أما اليوم فقد أصبح من أكبر أسباب التعب . فيوم كانت حياة الإنسان وهو يسكن الغابات تقتضيه أن يكون أسرع من الوحوش فى تسلق الأشجار ليتقى غوائلها ، كانت أعصابه تعينه على الفرار بأن تقف كل نشاط غير لازم فى جهاز الهضم ، وبأن تصبّ فى دمه عقاقير قوية (كالأدرنالين) تعينه على صراع الوحش أو الفرار منه . أما اليوم وقد صار الإنسان يكافح من أجل الحياة فى أدغال النظام الاقتصادى ، لا الأدغال الحافلة بوحوش

والترس . ألفاريز دكتور فى الطب وأحد أطباء معهد مايو ، ومؤلف كتاب فى « سوء الهضم » ويعد فى طليعة الذين تخصصوا بأمريكا فى أمراض المعدة ، وقد كتب هذا المقال إجابة لطلب خاص من مجلة هايجيا .

الطبيعة ، فترى الأفعال العصبية القديمة لا تزال تقف فعل الهضم ، كما كانت تفعل ، والعقاقير القوية لا تزال تسيل إلى دمه من غددها . ولما كان المرء لا يستنفدها فى نشاط عضله للعدو أو القتال ، تراها تبقى فى دمه تهيج أمعاءه الغلاظ وتشعره بالغثيان .

وتدخُّل الأعصاب ، على هذا النحو ، فى أفعال الهضم الطبيعية ، هو الذى يجعل عدداً لا يُحصى من الناس يشكون «تعب المعدة» . ويرى الطبيب ، حتى فى حالات المصابين بعلة عضوية ، أنْ لا مفرَّ لهُ من أن يذود عن المصاب اضطراب النفس حتى يستطيع أن يأخذ بيده فى طريق البرء .

فهذا رجلٌ يشعر بألم فى فم المعدة قبيل الظهر أو فى الأصيل ، فيخلص منهُ بأكل مضغة من الطعام ، أو أخذ قرص قلوىّ . فهو مصاب على الأرجح بقرحة فى الاثنى عشرى (الجزء الأول من الأمعاء الدقاق الذى يلى المعدة) ، وهى علة عضوية . ولكن يغلب أن يكون كلُّ اهتياج حادّ فى القرحة ناشئاً عن هم أو كرب . ويصر الطبيب فى علاج هذه العلة على ثلاثة أشياء*: الراحة ، تجنب ثورة النفس ، أكل أطعمة لطيفة يسهل هضمها مرة كل ساعتين . وقد تندمل القرحة الوسط بهذا العلاج ، فإذا لم تتهيأ للمريض سكينة العقل والنفس ، فالغالب أن يصاب بقرحة جديدة .

ويصحب التهاب المرارة سوء هضم وانتفاخ ومغص متردّد ممضّ . ومع أن هذا المرض عضوى ، فإن أكثر أوجاعه تعقب هياج الأعصاب وبوادر الغضب ، ولعل هذه البوادر هى التى تحدث انقباضاً فى القنوات التى تحمل الصفراء إلى الأمعاء . وعلى أن أكثر المصابين بحصاة فى المرارة يستفيدون من تنظيم الغذاء ، فإن كثيراً منهم لا بدّ له من الجراحة عاجلا أو آجلا ، فما ثمة وسيلة سواها لتفتيت هذا الحصى ، وبقاؤهُ حيث هو نذير بالخطر على الدوام .

وثمة سبب عضوى آخر يورث سوء الهضم هو سرطان المعدة ، وأعراضه مختلفة ، ولكن الرجل الذى ظل سليماً معافىً خمسين سنة ، إذا بدأ يشكو سوء الهضم ، ونقص الوزن ، ووهن القوى ، فيجب أن يفحص للتوّ فحصاً دقيقاً ، لأن السرطان كثيراً ما يستجيب للعلاج فى بواكيره ، غير أن أوساط الناس يهملونه حتى يستعصى على العلاج .

وكثيراً ما تكون لسوء الهضم العضوى أسباب خارجة عن نطاق جهاز الهضم . ولأضرب لك مثلا ذلك الرجل فى العقد

* « أساليب جديدة فى علاج علل قديمة » المختار يونيو ١٩٤٦ ص ٢٧

السادس من عمره ، يأكل أكلة وافرة ، ثم لا يكاد يمشي قليلاً حتى يصيبه وخز مؤلم تحت ثديه الأيسر ، فيستشير متخصصاً في أمراض المعدة ، ، وقناً أن ما أصابه إنما نشأ من سوء الهضم ، وكان الأحرى به أن يستشير متخصصاً في القلب ، لأن هذا الألم ناشىء في الغالب عن انقباض في الشرايين التاجية * التي تمد عضلة القلب بالدم .

وفي ٥٠ في المئة من حالات سوء الهضم لا يجد الطبيب خللا في جهاز الهضم ، ويواجه في هذه الأحوال نوعاً من سوء الهضم يرجع إلى تقصير الأعضاء في القيام بوظائفها ، فترى اضطراب الأعضاء الشديد يحدث للمريض شقاء لا حد له . وأكثر أسباب سوء الهضم العصبي شيوعاً هي : التعب ، والهم ، ورقة الحس ، والأرق . وهذا النوع من سوء الهضم الناشىء عن غير علة عضوية يعزى إليها ، كثير الشيوع ولا خوف منه قط على الذين يصابون به . ولو أدرك مرضى الأعصاب هذه الحقائق الهامة لوفروا على أنفسهم كثيراً من الهموم والنفقات . وعليهم أن يروضوا أنفسهم على تصديق الطبيب البارع إذا أكد لهم بعد الفحص الدقيق أن الذي بهم ليس خللا مخوف الخطر .

* « عرضة للسكتة القلبية : المختار » يناير ١٩٤٧ ص ١٤ .

وإذا قيل لامرأة حليفة للهموم : إن مرارتها خالية من الحصى ، فكثيراً ما تأبى أن تصدق أن آلامها قد تنشأ عن غير مرض عضوي تعانيه ، بل تكره أن تفكر في الأشهر الطوال التي ينبغي أن تروض فيها نفسها على السكينة وتذود عن قلبها الهموم ، حتى تصبب نصيباً من الصحة والسلامة .

على أني لا أزعم أن المريضة بأعصابها تتوهم الكرب توهماً ، كلا ، فإن هذا الكرب حقيقة واقعة ، ولعله يكون أقسى من الكرب الناشىء عن قرحة في المعدة . وكثيراً ما تعود بي الذاكرة إلى امرأتين دخلتا عيادتي معاً — أم وابنتها — فأما الأم ، وكانت عجوزاً لطيفة مصابة بسرطان في المعدة ، فقد قالت إنها لا تشكو من شيء ، وأنها ليست في حاجة إلى علاج ، وأن كل ما يهمها هو أمر ابنتها التي تقيء كل شيء تأكله منذ ثلاثة أسابيع ، ولا تدري ما بها . وما كان بها شيء سوى الخوف ، فقد مرضت منذ سمعت بمرض أمها . وكذلك وجدت أمامي امرأتين : إحداهما مصابة بأخبث مرض عضوي فإذا هي لا تشكو منه ، وأخرى صحيحة الأعضاء ولكنها تشكو من علة موجعة تحتاج إلى الاستشفاء .

وقد يدرك كثير من الناس أن الخوف الشديد يفسد وظائف الهضم ، ولكنهم لا يدركون أن القلق المزمن كثيراً ما يكون

مصدراً للسقم. فالقلق على حياة طفل مريض، أو الكمد من طباع زوج معوجّ السيرة، أو الهم الدائم بمشاكل عمل مهدد بالإفلاس — كلها قد تؤثر تأثيراً سيئاً في الهضم. وفي ذلك يقول مودسلي الطبيب النفساني العظيم: « إن الحزن الذي لا يجد له متنفساً في العين ودموعها، قد يضطر أعضاء أخرى للبكاء ».

والحاجة إلى المال أحد الأسباب الجوهرية لسوء الهضم العصبي، وإني لأرى كل يوم مرضى لا دواء لهم إلا قليل من المال يفرّج عنهم الضيق. فمن العبث أن نصف لهؤلاء الأطعمة والمسكنات! إنهم إذا لم يحصلوا على حاجتهم من المال لحل مشاكلهم المالية المعقدة، فقد قضى عليهم أن يحيوا إلى آخر العمر فرائس لآلام الصداع المبرح، وسوء الهضم العصبي المضني.

وقد يكون وهن الأعصاب المؤدي إلى اضطراب المعدة، موروثاً أو مكتسباً. وكثيراً ما نجد الرجل المختل العقل، أو المدمن الخمر أو المضطرب المزاج، يورث ذريته اضطراباً في الجهاز العصبي، فيكون سبباً في إحداث العقبات التي تعوق ملايين من العاطلين والمرضى وخائري الأعصاب، عن طريق العافية وعن مناهج التقدم في الحياة.

وهذا الميراث البغيض هو السبب في كثير مما نسميه نحن الأطباء « ضعف البنيـة »، أو العجز عن احتمال متاعب الحياة. ومثل هذا الضعف إن كان بلاء على الغني ذي الثروة، فهو أشد بلاء على عاملة في متجر، أو مدرسة أو كاتبة على الآلة الكاتبة كتب عليها أن تعمل أو تموت جوعاً. وكثيراً ما يذهبن إلى الجرّاح يائسات، يؤودهن هذا الحمل الطويل الأمد من الألم والقنوط، يسألنه أن يجري لهن أية جراحة عسى أن يكون فيها الشفاء، فمن سوء حظهن أنهن ينشدن المحال — جراحة تخلق لهن شخصية جديدة!!

على أن مصاب هؤلاء الضعفاء مع ذلك لا يدعو إلى القنوط، فإن تشارلس داروين مثلا، كان من الضعف بحيث لا يستطيع أن يعمل في اليوم أكثر من ثلاث ساعات. وكان كل هياج تافه ولو من زيارة الأصدقاء، يلجئه إلى الفراش مصاباً بالرعدة والقيء العصبي، وكانت حياته مع ذلك آية على أن تسليم العاجز بعجزه، وعمله في حدود طاقته وقواه يهيئان له حياة سعيدة نافعة.

وكثير من المرضى بسوء الهضم الذي ينشأ من اختلال وظائف الأعضاء، يستطيعون أن يبرأوا منه إذا عرفوا أنهم لا يقدرون على ما يقدر عليه أندادهم الأقوياء، وإذا واجهوا هذه الحقيقة بشجاعة. وعليهم أن يكفوا قبل كل شيء عن السعي إلى الخلاص

السريع من آلامهم بطريق الجراحة ، وأن يروضوا أنفسهم على أخذها بنظام دقيق فى معالجة النفس . وإذا كانوا قد ظلوا سنوات يستنفدون شطراً من صحتهم وقواهم بالسهر، ويبعثرون قواهم هباء ، فعليهم أن يبدأوا حياة هادئة حتى يستطيعوا أن يردّوا إليها بعض ماأضاعوه واستنفدوه .

فالذين أضعفوا أعصابهم بالإرهاق لن ينالوا العافية إلا إذا استسلموا للراحة التامة شهراً ، ثم عادوا إلى أعمالهم يعملون نصف اليوم،ويستريحون نصفه،حتى يستردوا تمام قواهم . وأما النساء فلن يبرأن من سوء الهضم العصبي حتى يقضين أوائل النهار فى الفراش هادئات عدة أسابيع ، فمع الراحة والاسترخاء تعود الأعصاب إلى هدوئها ، ويقل اضطرابها . وما أكثر ما أقول ذلك لسيدة مريضة فتقول: « الراحة! إنى لم أفعل شيئاًسواها منذ عدةشهور،ومع ذلك لم أشعر بتحسّن». والغالب أن تكون مخطئة ، فقد تكون فعلا منصرفة عن العمل ، ولكنها لاتكاد تكون فى راحة ، فعقلها يمضى طوال يومها وهزيعاً من الليل يركض مذعوراً من خوف إلى خوف : الخوف من أن مرضها الحقّ لم يكتشف ، أو الخوف من السرطان أو الخوف من أن زوجها الذى تأخر عن موعد عشائه بضع دقائق قد وقع له حادث.

وأكثر المخاوف التى تورث سوء الهضم العصبي سخيف ، والمريض الحصيف يدرك ذلك. وقد يعسر نضال هذه المخاوف فى البدء، ولكنها تقهر بالتدريج فيستعيد المريض عافيته. وفى خلال هذا التقويم النفسى بالتربية، يستفيد المرضى شيئاً كثيراً من معونة الطبيب الذكى العطوف ، ولكن النجاح كله موقوف على عزم المريض أن يخلق نفسه خلقاً جديداً.

نكوص !

فى أثناء تجربة القنبلة الذرية فى بيكينى دار الحديث على الأسلحة التى يحتمل أن تستعمل فى الحرب القادمة ، وهل تكون القنابل الذرّية أو الجراثيم أو الصواريخ .

فقال ضابط شابٌ من ضباط الجيش : «لست أعرف أى الأسلحة يستعملها الناس فى الحرب القادمة ، ولكننى واثق بأنّ أسلحتهم فى الحرب التى تلى الحرب القادمة لن تكون شيئاً سوى الرّماح » .

[جون لايتن]

يقول محررو مجلة ردبوك : « هذه مقالة من أخطر ما نشرناه من المقالات شأناً »

القنبلة الذرية
بين الوهم والحقيقة

ولتر ليبمان

مختصرة من مجلة "ردبوك"



لقد ظل الرئيس ترومان ورجال وزارة الخارجية والجيش والبحرية يبدئون ويعيدون في تأييد الأسباب الداعية إلى أن تظل الولايات المتحدة قوة عسكرية ، بيد أن الكونجرس والشعب لم يقتنعوا بها اقتناعاً كافياً .

وضعت الحرب أوزارها ومضى عام ، فإذا القوة الحربية التي أعانت على الظفر فى الحرب قد خرجت من يد الولايات المتحدة ، ولم يتهيأ لها بعد من الخطط أو الأموال أو الرجال مايعينها على إعداد قوة حربية لما بعد الحرب . فما علة ذلك ؟ يقول بعضهم : هى الملل من الحرب ، ويقول آخرون هى الانتخابات ومشاغلها . أما أنا فأظن أنها القنبلة الذرية ، فوجودها هو السبب الجوهرى الذى حمل الشعب الأمريكى على أن لايقطع برأى فى تحديد نوع الجيش أو الأسطول أو القوة الجوية التي ينبغي أن يعدها ويستبقيها .

وقد قيل للشعب إنه سيكون لدى أمريكا من القنابل الذرية بعد بضع سنوات ماهو أشد فتكا مما ألقى على مدن اليابان ، وأن هذه القنابل سيكون فى مقدورها أن تمحو أكبر المدن فى أية بلاد على وجه الأرض ، وأن النصر معقود للقنبلة الذرية بعد بضع ساعات من هجوم مفاجىء .

فإذا صح هذا ، فما جدوى إرغام الشبان على إنفاق سنة من عمرهم فى جيش لن نحتاج إليه أبداً ؟ ألن تنتهى الحرب الذرية قبل أن يعبأ الجيش؟هكذا يسأل الناس أنفسهم .

وقيل للناس إن القنابل الذرية جعلت الأساطيل شيئاً غير طائل ، وقيل لهم أيضاً إنه لاحاجة إلى نقل القنابل بالطائرات ، ففى الوسع تركيبها فى صاروخ،وأنه ستصنع قريباً صواريخ يمكن أن تنطلق مسافة ٣٠٠٠ ميل مسددة إلى أى هدف .

فإذا كان هذا صحيحاً فلن يكون الجيش وحده ، بل الأسطول والقوة الجوية أيضاً ،

شيئاً غير طائل. فسيدير رحى الحرب الذرية في المستقبل حفنة من العلماء والمهندسين والفنيين والميكانيكيين يجذبون عتلات ويضغطون أزراراً .

وهذه صورة مفزعة حقاً ، ولكنها ساحرة أيضاً . فهذه حرب لاتقتضى جهاداً عاماً ولاتصميماً ولاتدريباً ولاقوة حربية بل تتطلب مالا ومعرفة هندسية فحسب . وكل ماعلينا ، إذا شئنا أن نعيش آمنين كل الأمن وأن نخرج ظافرين من أى نزاع دولى ، هو أن نكون السابقين إلى استخدام أفتاك الأسلحة الذرية . . . إلى ضغط الأزرار .

فهل يمكن أن تكون هذه الصورة لحرب المستقبل صورة صحيحة ؟ ونحن إذا تدبرناها قليلاً لم نلبث أن نرى أنها صورة لايمكن أن تتحقق . وحسبنا حقيقة عظيمة واحدة هى : أن الحرب الذرية التى تنشب بالضغط على زر" ماتزال فى مرحلة التدبير والتصميم والتجريب . وصنع صواريخ ذرية قادرة على تدمير كافة المدن الكبيرة فى أية بلاد أمر يتطلب وقتاً ، وهذا شىء لا يمكن أن يجادل فيه أحد .

ولعل بعض الأمم الأخرى تجد فسحة من الوقت لصنعها ، ولنقل إننا نعنى روسيا . ولنزعم أن أمريكا لاتستطيع أن تعامل الروس إلا إذا أقنعتهم بأنها قادرة على أن تهزمهم فى حرب، وأنهالاتنثنى عن أن تفعل ذلك. ولنحتفظ بهدوئنا التام فنسائل أنفسنا. أفى حوزة أمريكا الآن من الأسلحة الذرية ماترغم بها اتحاد السوفيت على التسليم بدون قيد ولاشرط ؟ والجواب معروف لايتطرق إليه شك ، فليس لديها مثل هذه الأسلحة . وأمريكا تعرف ذلك،والروس أيضاً يعرفون.

فلابد إذن من أن ينقضى بعض الوقت إلى أن تستطيع الولايات المتحدة أن تستعد لشن حرب ذرية على الاتحاد السوفيتى ، فماذا عسى أن يفعل الروس فى السنوات التى تسبق استعدادنا ؟ سيبذلون غاية جهدهم ولاريب فى صنع قنابل ذرية،وفى الاستعداد للقائنا بمثل مانلقاهم به . بيد أنهم لن يقتصروا على ذلك .

إن للروس قوة حربية ليست لنا الآن . هى معين لا يكاد ينضب من الجنود المشاة ، يستطيعون تجنيده فى حرب ذرية فى الدفاع والهجوم على السواء .

ومن دأب الروس أن يدرأوا عن أنفسهم سطوة الأسلحة المتفوقة بالتقهقر، وبأن ينهكوا العدو بكثرة الجموع وبالمسافات المتباعدة فى ساحة الحرب . وكذلك فعلوا فى درء قوة نابليون وهتلر فارتدوا إلى روسيا الشرقية. ومن البين أنهم سيلقون القذيفة الذرية بالارتداد ، لا إلى شرق روسيا فحسب ، بل إلى غرب أوربة أيضاً .

ولا ننس أن المشاة الروس يرابطون على حدود النرويج والسويد وفنلندة والدنمرك وعلى نهر الإلب فى وسط ألمانيا ، وعلى الدانوب فى النمسا ، وأن محالفتهم ليوغوسلافيا قد أباحت لهم السهول الممتدة المفضية إلى إيطاليا ، فما هو الشيء الطبيعي الذى يفعله الروس إذا اعتقدوا أن مراكزهم الصناعية ستدمر فى بضعة أيام ؟ إنهم سيجتاحون مدن أوربة بجموع مشاتهم الهائلة .

والقنبلة الذرية سلاح لايغنى فى صد هذه الحركة العسكرية . فالقنابل الذرية لا تغنى فى أمر مشاة منتشرين فى طول البلاد وعرضها . وإذا احتل الروس باريس وأنفرس ورومة ، فلن نستطيع إقصاءهم عنها بمحو هذه المدن وإبادة مئات الألوف من الفرنسيين والبلجيكيين والإيطاليين . وأمريكا لن تستطيع أن تفعل هذا ، ولن ترضى أن تفعله .

فإذا قيل إن المشاة الروس إذا حاولوا اجتياح أوربة فسوف يلقون مقاومة فى طريقهم ، فأول ماينبغي أن نتذكره هو أن كثيراً من غير الشيوعيين ، لا الشيوعيين وحدهم ، سوف يؤثرون عندئذ محالفة الروس على محاربتهم . وعلى كل حال فإن الأوربيين الذين يقاومون الروس سيجعلون غرب أوربة ميداناً هائلا للقتال ، وإن الدمار الذى يحل بها عندئذ سيكون مماثلا للذى حدث لوارسو وبرلين فى هذه الحرب

وستدور معركة أوربة على الأرض . ولن تكون هذه الأرض أرضاً روسية .. بل الأرض الأوربية — أرض الحضارة الغربية التى نريد أن نحافظ على مواطنها ومصانعها ومدارسها وجامعاتها ومتاحفها ومعاملها ومعابدها .

فإذا احتل الروس غرب أوربة ، كان علينا أن نختار إحدى اثنتين : إما الوقوع فى مأزق يجعل الروس سادة القارة الأوربية وإن دمرت مدنهم ، وإما غزو أوربة من البحر مرة أخرى ، وهو مايحتاج إلى مشاة أمريكيين يطردون المشاة الروس . وهذا شيء يمكننا على الأرجح أن نفعله بعد استعداد يستغرق سنوات ، إذا رضيت أمريكا أن تضحى بما يتطلبه هذا الغزو . ويالها من تضحية !

إن موطن الضعف فى القنبلة الذرية من حيث هى سلاح حربى هو أنها ليست سوى وسيلة لإبادة المدنيين ، فلا يمكن استخدامها إلا فى حرب شاملة ، لا فى أغراض محدودة كصد جيش قوى عن احتلال بلاد صديقة . وكيف تستخدم فى الصين أو فى برما أو أندونيسيا ؟

وهى أداة سياسية لا غناء فيها ، لأنها قوة باطشة لا يمكن تخفيف بطشها ، فلا تصلح أن تقوم مقام فصيلة من البحارة ، أو سفينة

حربية أو سرب من الطائرات ، مما تستخدمه السياسة للترهيب فى المناطق المضطربة، فعلينا أن نستشعر الحذر من وهم شنيع هو أنه يمكن أن نعتمد على القنبلة الذرية فى كفالة الأمن أو أى نوع خاص من النفوذ السياسى الدائم للولايات المتحدة فى الشئون الدولية . فأمريكا والقنبـلة الذرية كالقابض على ذيل الأسد ، استبقاؤه أمر عسير ، وإفلاته أمر مخوف. فماذا عسانا نفعل بهذا الشىء الملعون؟

ينبغى أن نستخدم هذه القنبلة فى الغرض الوحيد الذى تصلح له : ينبغى أن لا تعد سلاحاً حربياً، بل أداة لتربية البشر تربية سياسية . وينبغى أن تكون القنبلة الذرية والصواريخ الذرية المتوقع صنعها ، دليـــلا يدل على حقيقة كامنة فى كل ســلاح يصلح للحرب الشاملة ، وذلك أنه لا يمكن أن يوجه إلا إلى ســكان مدنيين قد يكون بعض جيش العــدو بين ظهرانيهم ، لا الجيش كله .

ومعظم المدنيين هم على الأقل أبرياء ، بل الأغلب أن يكونوا أصدقاء أو حلفاء إلا فى النادر. ولما كانت شعوب الأرض قد اختلطت حتى أصبحت كأنها أمة واحدة ، فقد أصبح استعمال الصواريخ الذرية فى حرب شــاملة لامعنى له إلا أنه نكبة شاملة .

وينبغى لأمريكا أن لا تستغل احتكارها المؤقت للقنبلة الذرية لكى تدعم به خططها السياسية فى هذا النزاع الدولى أو ذاك ، بل ينبغى أن تستغله فى دعم مشروع الهيئة العالمية ونظامها. فالأهوال التى تنطوى عليها القنبلة الذرية تقيم الحجة القاطعة على أن فى المبادىء التى أقرها ميثاق الأمم المتحدة أساساً يمكن أن يتخذ ، بل ينبغى أن يتخذ ، بل لابدّ من أن يتخذ ، لجعل العــالم دولة واحدة خاضعة لقانون عالمى واحد .

روّح عن نفسك

من الناس من تراه دائماً متوفزاً متوتر الأعصاب سريعاً إلى الغضب والسخط ، ويذهب علماء وظائف الأعضاء إلى أن أحد البواعث على ذلك هو مزاولة هؤلاء الناس لحياتهم وعملهم بوجوه جَهْمة وعضلات منقبضة، فيهيؤهم ذلك للتفزّز من كل صوت مهما كان خافتاً،وللغضب من كل صغيرة تمسّهم مهما هانت. وتراهم يعللون ذلك بأن أعصابهم مرهقة، والحقيقة أن عضلاتهم من قمة الرأس إلى أخمص القدم هى المتوترة المتفززة . فإذا ما استرخت جميع عضلاتك وصارت على راحتها ، صارت أعصابك وصارت نفسك كلها مطمئنة راضية . [مجلة « يور لايف »]

هذه طبائع البشر

قلت لخادمتى الزنجية : « إننى شديدة القلق على صحة والدتى » فقالت : « دعى الهم عنك ياسيدتى . إن جميع الناس ركب على سفر إلى القبر ، فإذا سمحت للقلق أن يستبد بك ، فكأنك تحثين بالسوط جواد المركبة التى تحملك » . [بولى بنيت]

راعنى مارأيته فى إحدى مركبات الترام فى شيكاغو من أدب المفتش الذى يقطع التذاكر ومن حسن رعايته للركاب ، فلما قل الزحام كلمته فى ذلك فقال :

« منذ خمس سنوات قرأت فى صحيفة أن أحدهم أوصى بمبلغ من المال لرجل ، لأنه كان جم الأدب رقيق الحاشية . فقلت لنفسى : « ومثل هذا خليق أن يتم لك » . فشرعت أحسن معاملة الركاب ، فصرت قرير العين بذلك ، ولا يهمنى الآن أأوصى لى أحدهم أم لم يوص بمليون ريال » . [ر . و . ب]

لم أكد أنزل من القطار مع زوجتى ، حتى أدركنا الفراش وهو يلهث ، ومعه حقيبة زوجتى فقد نسيتها فى المركبة . فلما عرضنا عليه منحة أبى ، ولكنه قال : « لست أريد أن أتدخل فيما ليس يخصنى ياسيدتى ، ولكننى أحب أن أعرف مبلغ المال الذى فى حقيبتك » .

ففتحت زوجتى حقيبتها ، وأفضت إليه بما أراد ، فأخرج من جيبه دفتراً صغيراً ودون المبلغ فى آخر نهر طويل من الأرقام ثم التفت إلينا وقال : « إننى أحسب المبالغ التى أخسرها من جراء أمانتى » .

[ج . وطسون جارمان]

كانت خادمة زنجية تأتى إلى شقتى كل يوم ، تنفض غبارها وترتب أثاثها ، ودأبت على ذلك أربعة أسابيع ، ثم أعلنت فجأة أنها مضطرة أن تتخلف عنى زمناً ، قالت : « إن زوجى بلا عمل الآن ، وحين يكون زوجى بلا عمل أمتنع أنا عن العمل أيضاً » .

فقلت كمن يؤنبها : « ولكنك يا لولو أشد حاجة الى المال حين يكون زوجك بلا عمل » .

فقالت : « طبعاً ، سنحتاج إلى المال ولكن حاجة زوجى إلى كرامته أعظم . ذلك بأننى إذا دأبت على العمل حين يتعطل ، يفضى به ذلك إلى الكآبة ، فإذا اكتأب أخذ يعاقر الخمر ، فإذا عاقرها شرع يغازل فتاة أخرى ، ولن أسمح له أن يغازل أحداً مادمت زوجته . ولكن لا تجزعى ياسيدتى ، فسأعود إليك قريباً فإن زوجى لا يطيق أن يبقى بلا عمل مادمت أنا فى البيت » . [كاثرين برود]

صورة من الجلد الخارق المستكن فى بنيان الإنسان

أسبوعان من الهول على بساط من الجمد

س. ب. وال

مختصرة من مجلة "ماكلينز"

قال لى قائد الطائرة الضابط دافيد جودليت : « إذا أردت أن تعرف كيف كانت حالنا فى الأيام السبعة الأولى ، فخذ اثنين من أعزّ أصدقائك واهبط معهما فى قرارة أسطوانة من الصلب ، ثم اجعل حرارة جوها ٤٠ درجة تحت الصفر ، وليكن طعامكم طول اليوم نصف كعكة مما تأكل الكلاب ، وماؤكم ماتلعقونه من الثلج الذى تخلفه أنفاسكم على جدران الأسطوانة .

وأضاف الطيار آرثر ويفر وهو جالس بالقرب من أنابيب التدفئة : « ... وأنكم أيضاً لا تدرون أين أنتم ، ولامتى خلاصكم ، وهذا أشق ما عانيناه فى محنتنا » .

وخبر ذلك أن جودليت وويفر وزميلاً لهما اسمه ناش كانوا يقودون قاذفة قنابل إلى إنجلترا ، فاضطروا إلى الهبوط على سطح نهر من الجليد بالقرب من ساحل جرينلند ، ولبثوا متمسكين بأهداب الحياة ١٤ يوماً فى جو نزلت فيه الحرارة إلى درجة ٤٠ تحت الصفر .

وكنت أتحدث إلى جودليت وويفر فى فندق بمدينة تورنتو ، فألفيتهما شابين فى ميعة الصبا ، قد بلغ منهما الهزال كل مبلغ ، أما ناش فكان فى إجازة ، ولكن كأنّ شخصه ظل ماثلا معنا أثناء الحديث . إذ أن تلك المحنة قد مرت بثلاثتهم معاً ، وهو أمر هيهات أن ينساه ويفر وجودليت .

وكان جو الحجرة دافئاً ، ومع ذلك ظل ويفر متشحاً بمعطفه الثقيل وهو يحتضن أنابيب التدفئة وقال : « لقد مضى شهران منذ نجونا من سطح الجليد ، غير أن الدفء لايزال عاجزاً عن الدبيب فى أوصالى » .

وقد حدث لهم بعد أن غادروا نيوفوندلند بساعتين أن استقبلهم ضباب كثيف ثم صمت جهاز الراديو ، وحاول جودليت أن يعلو فوق السحاب ولكن الثلج تراكم على الطائرة وعجزت عن التصعيد . فظلوا ست ساعات يطيرون على غير هدى على ارتفاع ١٥ ألف قدم . وقال جودليت :

« لم يبق من الوقود إلا ما يكفينا نصف ساعة ، فأدركت أن لامفر من أن أبدأ النزول . فاخترقنا سحباً كثيفة ونحن نتساءل طول الوقت أترانا سنصطدم بجبل ؟ وقد رفّه عنا ناش بفكاهته ، فقد جعل — ونحن نهوى — يقلد صبيان المصاعد فى المحال التجارية حين ينادون أثناء نزول المصعد على أنواع البضائع التى تباع فى كل طابق . ولما حسب أن المصعد قد وصل إلى الطابق الأسفل كنا قد خرجنا من الضباب ، واستطعت أن أتبين أننا نطير على بعد ١٥ ميلا من البحر ، ورأيت على حذاء الشاطىء سلسلة من جبال مسنونة القُنن كخوافى زجاجة تهشمت عنقها ، وكنا نطير فوق سهل تغطيه الثلوج ينحدر من تلك الجبال إلى ساحل البحر .

« وأخذت أدور بالطائرة على ارتفاع ٥٠٠ قدم ، فقد كان من الصعب أن أتخير بقعة للهبوط ، إذ كانت تشق السهل أخاديد عميقة متقاطعة ، وأخيراً جعلت الطائرة تهبط على بطنها ، وعجلاتها مرفوعة » .

وعندئذ وصل ويفر الحديث وقال : « إنه يهون عليك هذا الأمر ، فلا تنس أن النزول بسرعة ١١٠ أميال على ثلج متراكم يحتاج إلى مهارة فائقة ، ولما نزلنا سالمين صرخت أنا وناش : « ما أبرعه ! » ثم تلقفناه وهو ينزل من مقعد القيادة وجعلنا نربت على كتفه بعنف من شدة الفرح .

« وخرج جودليت يستكشف ما حوله ، فإذا به يغوص فى الثلج إلى وسطه ، فرفعناه إلى الطائرة وأغلقنا بابها ، ومالت الشمس إلى المغيب ، وسمعنا الرياح تحصب وابلاً من الثلج على الطائرة ، ونظرت إلى مقياس الحرارة فوجدتها ٣٧ تحت الصفر .

« ورأينا أن نصيب شيئاً مما أخذناه معنا عند قيامنا من الشطائر والقهوة ، فوجدنا القهوة قد تجمدت ، ووجدنا الشطائر كالحجارة ، فجلسنا نلعقها بألسنتنا عساها تلين للمضغ قليلا .

« ثم جعلنا ندخن ونشعل سيجارة من أخرى ، وكان معنا مقدار كبير منها ، إذ كنا نحمل ٥ آلاف سيجارة لإهدائها إلى أصدقاء لنا فى إنجلترا ، ولكن لم يكن معنا إلا علبة ثقاب واحدة وقداحة .

« وأخذ كل منا ، بين الحين والحين ، يهوى بقبضة يده على ظهر زميله ، ويدق بقدميه أرض الطائرة وجدرانها ، ومع هذا شعرنا بالبرد كأنه يتسلل إلى أحشائنا ، وصعد جودليت إلى مقر القائد ونظر إلى الجهاز المبين عن سرعة الريح ، فوجدها ٦٢ ميلا فى الساعة ، وخيل إلينا أن الرياح تنفذ من صلب جدران الطائرة .

«ولا أعتقد أننا كنا نعيش يوماً واحداً ، لولا أن اهتدى ناش إلى فكرة تمزيق المظلات الواقيــة إلى شرائط لففناها حول أجسادنا وأقدامنا . وحين انتصف الليل هبطت الحرارة إلى ٤١ درجة تحت الصفر ، وركبتنا رعشــة البرد ، فرأينا أن نزحف إلى ذيل الطائرة حتى يرقد أحدنا فوق الآخر ، فرقد ناش وأنا من فوقه ، وجودليت من فوقى ، وتدثرنا بقماش المظلات ، وقد وجدنا شيئــاً من الدفء المنبعث من أجسادنا ، ولــكن رعشتنا لم تنقطع ، ولبثنا على ذلك طول الليل ونحن نتناوب مكان أوسطنا إذ كان هذا أدفأ موضع .

« ولم نــكفّ عن الحديث إلى أن طلع الصباح . تحدثنا عن كل شىء دار بخلدنا ، وصح عزمنا على أن نحدد لأنفسنا حصة من الــكعك فى اليوم لا نتجاوزها ، إذ كان هذا الــكعك هو كل ما لدينا من طعــام ، فبلغ نصيب أحدنا كعــكة لا غير فى اليوم الواحد ، ولم يكن حجم هذا الــكعك يزيد عن نصف بوصة مربعة ، ومذاقه كنشارة الخشب ، وإن كان المفروض أنه غنىّ بالفيتامين .

« ثم شرعنا نتحدث عن غاندى وكم يستطيع المرء أن يظل صائماً ، وشدّ هذا الحديث من أزرنا ، إذ كنا نعلم عن غاندى أنه رجل طاعن فى السن ضامر الجســد ، فإذا أطاق الصيام ٥٠ يوماً أو ٦٠ يوماً ، فلن نعجز نحن عن مجاراته . ولم يشأ أحد منا أن يشير إلى أن غاندى لم يكن يعانى ما نعانيه نحن من شدة البرد .

« وفى الساعة الثامنة من صــباح اليوم التالى بذلنا كل حيلة لنفتح باب الطائرة ، ونظرنا فوجدنا الزوبعة الثلجية لا تزال على شــدتها ، ولــكن الحرارة ارتفعت إلى ٣٣ تحت الصفر .

« وأحسب أن جوعنا فى الليــلة التالية كان أشــد جوع قاسيناه فى الأيام التالية ، فتذكرنا مآدب الأعيــاد ونحن أطفال ، وكيف كنا نترك فى الصّحاف بقية من طعامنا ، فأقسمنا تلك الليلة على أن لا نرتــكب مثل هذه الحماقة مرة أخرى فى حياتنا .

وكنا ونحن نتحدث لا ننقطع عن التدخين والحركة خشية أن تجمد أقدامنا وتتمشى فيها الأكلة .

وظللنا على هــذه الحال ثلاثة أيام . وفى الساعة الحادية عشرة من الليلة الثالثة كفّت الطائرة عن الاهتزاز ، فأدركنا أن الرياح قد هدأت . وأطبق الثلج على باب الطائرة ، ولــكننا فتحناه عنوة ووثبنا إلى الأرض . وأخذ ناش يستعمل جهاز الرصــد بدقة وعناية ، فتبين أننا فى داخل المنطقة القطبية ، وعلى بعد ١٥ ميلا من المحيط الأطلسى

و ١١٠ أميال من أقرب مكان معروف على خرائطنا .

« وكانت أذهاننا قد أصابها كلال البرد هي الأخرى ، ومع ذلك لم يركبنا الذعر ، وأخذنا نتحدث عن طريقة الوصول إلى ذلك المكان .

«فرأينا أن ننفخ قارب النجاة ونجره فوق الثلج حتى نبلغ البحر ، ثم ندفعه بالمجاديف إلى أن نقطع مسافة ١٠٠ ميل و١٠ أميال ، ولكن السير على الثلج يحتاج إلى ربط أقدامنا على زحافات عريضة ، فوجدنا بين متاعنا أغطية صناديق من الخشب ، فعكفنا عليها طول الليل مستعينين بعدية جودليت . ولما أشرق الصباح كنا قد أتممنا صنع خمس زحافات متينة ، وصنعنا السادسة من خشب مقعد الطيار ، ثم جمعنا البوصلة ، ومسدس الإشارة وثلاث أجهزة يستعملها رجال السفن لطلب النجدة ، وأخذنا أيضاً صندوق الكعك .

« ولم نكد نبدأ السير حتى هاجت الرياح واغبرّ الجو وهبّت علينا زوبعة من الثلج ، فلحقنا منها كرب عظيم وعدنا أدراجنا .

وجلست تلك الليلة أعبث بجهاز الراديو حتى استقام حاله ، وتمكنت من التقاط إذاعة لمطار كندى وصلت إلىّ ضعيفة خافتة ، فقطعتها بإرسال إشارة الاستغاثة وبينت موقعنا ، فوصلني ردّ علمت منه أنهم سمعوا إشارتنا ، وذلك في اللحظة التي نفدت فيها شحنة الكهرباء من جهازنا .

« وتصلبت يداى من البرد حتى صرت في آخر الرسالة أدق على الجهاز بمعصمي ، ولكن وصول الرد إلينا شد من عزائمنا . ومكثنا نهارين وليلتين ونحن نتحدث ونسخن ونقضم الكعك ، وكنا قد خفضنا الحصة إلى ربع كعكة في اليوم » .

«ولم تهدأ ثائرة الرياح ولاعنفوان البرد، وتكونت على جدران الطائرة من الداخل طبقة من الجمد ارتفاعها ٣ بوصات، وتملكنا شعور بأن هذا الجمد يطبق علينا ، وأن ليس لنا حيلة في منعه إلا إذا امتنعنا عن التنفس .

« والتهبت شفاهنا ودَمِيت من مصّ الثلج والجليد ، ولم ينطفىء لنا عطش على طول المصّ واللعق ، ولم تذق عيوننا النوم منذ غادرنا نيوفوندلند ، ومع ذلك لم نكن نشعر بالتعب أو بالجوع .

« وصحا الجو في صباح اليوم السادس ، وفتحنا أسطوانة غاز الكربون ونفخنا به قارب النجاة ، ثم أتلفنا منظار القذف وأحرقنا كل ما معنا من أوراق وانتفعنا بلهبها في تسخين فنجان من القهوة . ثم بدأنا سيرنا ، ولكن القارب لم ينزلق على الثلج

بسهولة ، وكنا كلما سرنا ٥٠ قدماً ضاقت أنفاسنا ، فلم نقطع فى ساعتين إلا ربع ميل ، ثم بدأ الثلج يتساقط من جديد ، فعلمنا أننا لن نقوى على السير طويلاً ، فانقلبنا على أعقابنا وعدنا إلى الطائرة واحتمينا بها .

« وفى عصر اليوم التالى طرأ على الجو تغيّر عجيب ، إذ ارتفعت الحرارة ٣٠ درجة وبدأ المطر ينهمر ، فلما نزلنا من الطائرة حسبنا أنفسنا فى إحدى المناطق الاستوائية ، إذ ذاب الثلج وصار كالطين اللزج ، وأصبح المشى أشد صعوبة مما كان ، ولكننا تابعنا السير حتى أدركنا الليل .

« وفى تلك الليلة جمدت علينا ثيابنا وأحذيتنا حتى أصبحت أشبه بدروع الحديد ، ثم أقمنا القارب على جانبه وأسندناه بالمجاديف وجثونا وراءه إلى أن انجلت عنا ليلة طالت ١٧ ساعة .

« فلما تنفس الصبح بدأنا نسير إلى الشاطىء ، فاقتضانا ذلك أن ندور مسافة ميل كامل من أجل أن نتفادى أول أخدود لقيناه . ثم إذا بنا نسمع أزيز طائرة ، فسارعنا إلى أجهزة الإشارة ، فلم يسعفنا إلا جهاز واحد منها ، ولكنه كان كافياً ، إذ هبطت الطائرة وأخذت تحلق فوق رؤوسنا ، ثم قذفت إلينا بمظلات صغيرة تحوى طعاماً ومعاطف ثقيلة وأكياساً للنوم وزجاجة خمر وزحافات للسير على الثلج . وحبلاً طوله ١٠٠ قدم ، ورسالة فيها تعليمات موجهة إلينا .

« فارتدينا ثياباً جافة وفتحنا أوعية الطعام وكان فيها أنصبة مقدّرة لكل وجبة نصيب . فشرعنا نأكل وجبة الفطور ، ثم لم نتريث حتى أتينا أيضاً على وجبة الغداء ، ووجبة العشاء .

« ونصحتنا الرسالة بأن نربط أنفسنا بالحبل معاً ، وأن نتجه إلى الشاطىء فى طريق نجعله مستقيماً ما استطعنا ، وأضافت الرسالة أن أحد قوارب العسس سيلتقطنا عند الشاطىء . أما نحن فقد اندسسنا فى أكياس النوم ، وران الكرى على عيوننا لأول مرة منذ تسعة أيام ، ولكننا استيقظنا بعد ساعة واحدة وقد ساءت حالنا . وفى تلك الليلة تبللت ثيابنا وأكياس النوم بماء المطر وذوب الجليد ، ثم تجمدت علينا ولم نقو على النوم من شدة البرد . فوقفنا ليلة أخرى طولها ١٧ ساعة ونحن نحمل أكياس النوم فوق رؤوسنا لتحمينا المطر ، ولم نجسر على التقدم خطوة واحدة حذراً من الوقوع فى الأخاديد .

« وفى اليوم التالى أطبق على الأرض ضباب كثيف حجب كل ماعليها ، فاضطررنا إلى البقاء فى مكاننا ، وقضينا اليوم ونحن

بدلك أقدامنا المتورمة ، من قرص البرد ، وأصبح المشي بزحافات الثلج ضرباً من العذاب الأليم ، فدلكناها بشيء من الخمر فوجدنا مبيباً من الراحة . ثم ارتفع الضباب في منتصف الساعة الثالثة في عصر اليوم التالي ، وبدأنا نسير متثاقلين على الثلج ، وكان قد بلغ منا الضعف كل مبلغ ، فرمينا عن كواهلنا أكياس النوم .

« وهبطت الحرارة في تلك الليلة ، وجلسنا متلاصقين وكل منا يحيط الآخر بذراعيه ، وكانت هفوة منا لأننا انقلبنا بعد ساعة واحدة إلى كتلة واحدة متماسكة متجمدة ، فاضطررنا إلى بذل جهد كبير ليخلص كل امرىء منا نفسه من صاحبه . وأغلب ظني أنني بدأت تلك الليلة أسأل نفسي لأول مرة : ترى هل نقوى على السير إلى غايتنا ؟ فإن الثلوج المتراكمة على قنن الجبال بدأت تتحرك ، وأخذ يطرق سمعنا بين الساعة والساعة دويّ عظيم يتجاوب صداه في مخارم الجبال .

« وطلع النهار فإذا الجو صحو ، وأخذنا نجدّ السير ، ولكن الأخاديد أخذت تتكاثر كلما قاربنا الشاطىء ، وكنا وقتئذ قد أصبحنا من الكلال كالآلات المسيرة في حركتها وأعمالها ، إذا وجدنا أنفسنا فجأة على حافة أخدود — وبعضها يبلغ عمقه ألف قدم — لم نشعر بأقل ذعر ، بل تنثني عنه مسخّرين وندور حوله .

« وفي منتصف الساعة الرابعة من عصر اليوم التالي أبصرنا شيئاً كأنه قارب بمجذافين في وسط الماء المتجمد . إذن هذه سفينتنا ! فنسينا أقدامنا المتورمة وعطشنا وإعياءنا . وبذلنا كل جهد بقي فينا في قطع الميلين الباقيين أمامنا لبلوغ الشاطىء .

« وبلغنا حافة نهر الجليد قبل أن ينسدل الظلام بلحظات معدودة ، فوجدنا أنفسنا على حافة هاوية من الثلج والبحر تحتنا على مسافة ٢٥٠ قدماً . وأردنا الاستعانة بقداحة جودليت لإشعال معاطفنا الثقيلة ، ولكنها كانت مبتلة فلم تسرِ فيها النار .

« وفي الساعة السابعة أطلقت السفينة صواريخها وسلطت مصباحها الكشاف القوي على الشاطىء ، فأخذنا نثب ونصرخ كالمجانين كلما مر بنا شعاع المصباح ، ولكنه لم يستقر علينا مرة واحدة .

« ولما بزغ الفجر رأينا طائرة ترتفع من مهبطها بجوار السفينة ، فأخذنا نصرخ ونلوح لها ولكن الطيار لم يرنا ، وسرعان ما عاد بها إلى جوار السفينة .

« واقترب الليل فرأينا السفينة تتحرك وتتجه إلى البحر ، فلم ننبس بكلمة بل وقفنا نرقبها إلى أن غيّبها الظلام ، فعددنا أنفسنا

حينئذ من الهـالكين ، إذ لم تبق فينا قوة تعيننا على العودة إلى الطائرة ، ولم نجهل أننا لن نستطيع تحمل برد ٤٠ تحت الصفر ، إذا قضينا ليلة واحدة فى هذا العراء .

« وبعد ساعة من حلول الليل قال جودليت لعل المعاطف قد جفت بحيث يسهل إشعالها ، فأخذنا نمزقها وكاد ينضب الوقود فى القداحة ، وأخذنا نجربها مراراً حتى أفلحنا فى قدح الزناد ، فلما اشتعل فتيلها سرت النار فى المعاطف وارتفع لهيبها .

« وما كادت ألسنة اللهيب ترتفع حتى رأينا صواريخ جمة تطلق من السفينة دفعة واحدة ، وأخذ مصباحها يومض برسالة رمزية تقول لنا : تراجعوا عن حافة نهر الجليد ، واتجهوا إلى الجنوب حتى يقابلكم رجال بعثة الإنقاذ .

« فتعالى هتافنا ، وأخذ كل منا يضرب ظهر زميله من الفرح ، وشعرنا بأن الغُـمة قد انقشعت ، وسطع القمر زاهياً فى السماء ، فعدنا القهقرى وتخطينا منطقة الأخاديد ، ثم اتجهنا إلى حيث ينحدر نهر الجليد .

« فالتقطنا رجال بعثة الإنقاذ بعد ذلك بست ساعات وأخذونا إلى السفينة ، وعاملنا رجالها برفق كأننا أطفال . وقال لنا ربانها إنه حين رأى النار كان قد فقد الأمل فى إنقاذنا .

« وكنت أظن أن مسلكنا معهم طول الوقت كان لا يختلف كثيراً عن مسلك عامة خلق الله ، ولكن طبيب الباخرة أخبرنى فيما بعد أننا كنا فى تلك الحالة من الذهول ، بين سلامة العقل والجنون ، وأن محنتنا لو طالت ليلة أخرى لكانت قد أودت بعقولنا .

«وكان أكثر ما اهتم له أننا لم ننم إلا ساعتين فى ١٤ يوماً ، فأعطانا مخدراً لننام ، ومع ذلك لم أستطع — وأنا فى فراشى الوثير — أن أستغرق فى النوم أكثر من ساعة واحدة فى كل مرة . وكنت إذا فتحت عينىّ وجدت ناش وجودليت يقظين أيضاً وهما يدخنان ويتحدثان كما كانا يفعلان فى الطائرة .

« وهذا هو حالنا منذ ذلك الوقت فأنا وجودليت لا نستطيع النوم إلا ساعة واحدة فى كل مرة . ولا أدرى كيف حال ناش ولكنى أراهن على أنه يستيقظ فى منتصف الليل وهو يرتعش من البرد والذعر ، خشية أن يكون قد عاد إلى نهر الجليد مرة أخرى » . فسألتهما أى شىء أعانهما على التجلد لهذه المكاره كلها ، فلم يسعفنى أحد منهما بجواب سريع ، ولكن ويفر قال :

« كان جودليت قد خلف وراءه زوجته وابنته الصغيرة ، وكان ناش مشغول البال بأمه وهى وحيدة فى وينيبج ، وكنت أنا قد خلفت ورائى زوجتى ، فهل فهمت ما أعنى ؟ كانت لنا وشائج عزيزة نريد العيش من أجلها » .



ملخص كتاب بقلم

أرمين فون تمبسكى

إن المغامرة الرائعة لنشأة الإنسان فى مزرعة عظيمة ومرعى كبير فى هاواى ، قد زادتها روعة قدوة والد باسل علم أبناءه أن يحيوا حياة حافلة خطرة . وتقول مجلة « نيويورك تيمس » : فى كتاب « ولدتُ فى الفردوس » نرى الجزر وما تثيره من الرغبة السّمحة المائجة القوية المحبّبة للحياة ، كأنما تغنى وتشدو بلحن فاتن من فردوس ماضٍ . والمرء يضع الكتاب وهو يشعر كأن باباً قد فتح له على عالم ساحر لم يألفه » .



كانت أول كلمة تعلمتها هي «ألوها» ـ أي «حبي لك!» ـ صادرة من قلب عامر ودود كريم. وتالله ما كان أروع ميراثنا نحن الأطفال الذين ولدوا في هاواى من آباء بيض! فقد كان يحف بنا مالا آخر له من الأرض، وكانت الموسيقى والأصوات المرحة لاتنفك تصافح أسماعنا، ونبض الحياة يسرى فى الماء والأرض والهواء، وأريج أزهار الزنجبيل والجوافة يفعم الجو. وكانت خيوط المطر المنهمر الفضية، ونور الشمس الباهت على الأرض والبحر، والأزهار التى تتفتح عنها أكمامها ما بين قرمزى وأزرق وبنفسجى — بل كانت الأرض التى ندب عليها تختلج فيها نبضات الحياة، من الحمم التى تغلى وتجرى فى عروقها.

وكان زملائى خليطاً: آه سن، الطباخ الصينى الذي كان له وجه كوجه المومياء، والذى كان لصيحاته دوى الطبل، فكان لهذا يبدو كالساحر. ومربيتى اليابانية التى كانت تدفىء كفها فى ثوبها دائماً قبل أن تلمسنى، والتى كان المرء يشم منها رائحة البخور والشاى المغلى الخفيف. ومكالى الراعى الشيخ — من أهل هاواى — وكان إذا ركب جواده حملنى معه على وسادة فى طوافه، فيعلمنى أساطير قومه ولغة الطبيعة الهامسة. وكان معنا أيضاً سيدات جميلات، وزراع وملوك وأمراء ومشاهير، وكان يغص بهم بيتنا في أواخر الأسابيع فيرقصون ويغنون طول السبت ليلا، ويخرجون فجر الأحد ليصيدوا الثيران الوحشية — هؤلاء هم الناس الذين أحببتهم، والذين جعلوا الأعوام والأيام حافلة بأكثر مما يتسنى وصفه.

وكانت المزرعة التى نعيش فيها، وهى ٦٠٫٠٠٠ فدان، تسمى باسم البركان العظيم الذي تنبسط فوقه، وهو هاليكالا، أى بيت الشمس، وكان على عرش هذه المملكة أبى — لويس فون تمبسكى.

وهناك أناس يبدون كأنما يسيرون فى الحياة وعليهم ضوء خفى يجلوهم للناس. وكان لويس فون تمبسكى الذى يجرى فى عروقه الدم البولندى والدم الأسكتلندى، من هؤلاء الناس. فقد كان أسلوبه فى الكلام، ومظهره وسمته وهو يدخل الغرفة — كل ذلك ينطبع على لوح الذاكرة. وكانت عيناه

المرحتان اللتان يومض فيهما الاغتباط بالحياة، وإشراق ابتسامته، وخفته وسرعته إذ يثب على ظهر جواد، أو ينحنى ليلاطف كلباً — كان ذلك كله يفرده بين الناس.

لما بلغ أبى الثامنة عشرة، بدأ يجوب العالم طالباً للمغامرة، وانتهى على مقربة من هاواى إذ وجد فى جزيرة ماوى أرضاً أحبها حباً جماً على الفور. وسرعان ما أثبت اقتداره فى أعمال التجارة، ثم عرضت عليه إحدى الشركات إدارة مزرعة هاليكالا فقبل، وأثبت قدرته بأن أدارها على أساس رابح. ولما تزوج إيمى وودهاوس بنت السفير البريطانى إلى بلاط هاواى، ذهب بها إلى مزرعة هاليكالا ليعيشا هناك. وقد علقت به فتنة هذه الأرض فصرفته عن بقية بقاع الدنيا، فمنحها حبه وقوته، ووهب هذه الأرض التى وكلت إلى عنايته، حياته أيضاً — فقد وجد جنته. وفيها ولدتُ.

وكنت دائماً أستيقظ فى البكور عندما ترفع المواشى فى مراعيها رؤوسها لتحيي النور الدائم الروعة الذى يولد من الظلام. وأظل إلى أن تقبل تاتسو، أصغى إلى صوت البن وهو يُطحن، وإلى اندفاق الماء فى حمام أبى، وإلى قرقعة السياط، وإلى حوافر الخيل المنطلقة، وإلى نُتَف من أغانٍ يشدو بها الرجال وهم ماضون إلى عملهم فى مزرعة كبيرة. وكان أبى يخرج فى العادة قبل أن أفرغ من الفطور، فإذا أخره شيء ازداد اليوم بهجة بفضل مرحه وقوته وحدة فؤاده. وكان أهل هاواى ينظرون إليه نظرتهم إلى رئيس، ولكنهم كانوا ينادونه باسمه الأول، ويدعوه اليابانيون «المستر لويس»، وما كان أحد منهم يسميه المستر فون تمبسكى، فما كان يعوزه لقب يكسبه الاحترام.

وكنت كل صباح حين أدخل المطبخ مع تاتسو، أرانى أنضح اغتباطاً وبشراً. وأجعل عينى، وأنا أتناول الخبز واللبن، على آه سن وهو يروح ويجيء ويرفع الأغطية عن المواعين الفائرة وفيها اللحم المملح والديكة. وكانت مواعين أخرى أصغر منها، فيها مآكل شرقية تفوح منها روائح مغرية، وكان الفرن الكبير يطلق رائحة الخبز الطازج.

وكان أربعون نفراً يطعمون من المطبخ. فقبل أن يسكت ناقوس الإفطار كان الرجال يقبلون — رجال فى كعوب أحذيتهم مهامير، وعلى أرجلهم سكاكين مربوطة، وفى قبعاتهم أزهار: رجال يملأون المكان بالكلام المدهْوَر فى الأشداق والضحكات العالية، فيأخذون أكواماً من أطباق البيض

السميكة ويملأونها طعاماً سخناً، ويتناولون فناجين ضخمة من القهوة،ويخرجون بذلك كله إلى أرض الحديقة .

وكنت أترقب مكالى بلهفة ، وأنطلق لأقابله فيحملنى على ظهره ، ويطوق عنق بما يعده لى كل صباح ، فتصبح الساعات البهيجة التى نقضيها معاً ، حقيقة ماثلة أبداً.

وحدث ذات صباح أن عصيت أمى ، فنهتنى أن أخرج مع مكالى إلا بعد الإفطار، ولم يجدنى الصراخ والبكاء والتمرغ والرفس، وحملتنى تاتسو وأنا متهافتة منهوكة القوى إلى الفراش ، وكانت تمشى فى الغرفة فى هدوء وخفة ، فخطر لى أنها قد تنصرف إذا أنا تناومت، فأتسلل خارجةوأدرك مكالى .

وشعرت بفيض حبها لى وهى تغطينى . ولكنى لم أفتح عينى ، فلما سمعتها تخرج ارتديت ثيابى بسرعة وسرت منحنية بجانب سور الحديقة ، وذهبت أعدو فى الطريق وقد امتلأ صدرى بأرج الصباح ونسيم الحرية ، وكان مكالى يهم بامتطاء الجواد لمضى إلى المرعى الساحر الذى ترتع فيه وترعى الخيول الأصيلة ، وكانت لنظرة الدهشة والتأنيب الرقيقة التى ألقاها علىّ، مثل وقع العصا، ولكنى ألقيت بنفسي عليه .

فقال بلغة هاواى يوبخنى : «يالك من طفلة شيطانة !» ، ولكن صوته كان واشياً بالحب.

فقلت وأنا ألهث: «سأضرب على كل حال لأنى هربت ، فخذنى لأرى الأمهار » .

وكثرت الغضون التى جعّدها الابتسام عند مؤخر عينيه فعرفت أنى فزت ، وصنع لى من بعض ثيابه وسادة أجلسنى عليها ، ومضينا على مهل ، وكانت السعادة التامة تنضح منى، فاسترخيت مستندة إلى القميص الأزرق الحائل الذى يرتديه هذا الرجل الذى أحبه .

وترجلنا على ذروة تل وقعدنا على الأرض الدافئة العطرة، وشعرت بعينى مكالى الحكيم العطوف تنظران إلى ، فزايلنى ما كان فى نفسى من الغيظ والشعور بالخيبة والعجز فى الصباح ، واشتهيت فى سرى أن أجزيه على السرور الذى كنت دائماً أنعم به وأنا معه، واقترحت أن أحدثه بكل ماأشم وأرى وأسمع ، وكان ذلك نوعاً من اللهو لى ، على أنى أدركت فيما بعد أن تدريبه الدقيق لحواسى جعلنى واسعة المعرفة بالأرض وطبيعتها، وقريبة من القوى الخفية فى الطبيعة . ونظر إلى وجهى الملوث وعينى المنتفختين ثم هز رأسه فى حنان .

وقال برقة : «لافائدة اليوم يا بنيتى ، فإن الناس يخونهم ذكاؤهم وهم محزونون ، فخير أن نذهب إلى الخيل » .

فركبنا وأنا كالذاهلة ، وكنت أصغى إلى

صوت الأرض ، وهو صوت ضخم مؤلف من أصوات خافتة : حمائم تهدل فى أعشاشها فوق الأشجار الخضر ، وطيور تصفر وتزقزق ، وحفيف الأغصان . وتأدّى إلينا من ناحية الأرض المطمئنة تحتنا صهيل عذب من مهر جاوبته حمحمة فرس .

فسألنى مكالى بلغة هاواى : « أين هما ؟ »

وتكرر الصهيل ، فدلتنى أذنى المدربة على ناحيته فأشرت إلى الأجمة الثالثة من الأشجار فى الوادى ، فالتمعت عينا مكالى وهز رأسه راضياً ، وعدت الفرس بنا عدواً خفيفاً سهلاً ، فصرنا إلى حيث كانت عشرون مهرة متخذة للنسل مجتمعة ، فقال مكالى : « كلا ، كوكيت ليست هنا . يجب أن نمضى لنرى » .

وكانت كوكيت مهرة أبى الأصيلة ، وكانت توشك أن تنتج ، وأخيراً وجدناها بين طائفة من شجر الجوافة ، وجانباها يضطربان ، وكتفاها تتصببان عرقاً ، فأسرع مكالى فترجل ، وكلمها وهو يفحصها .

وقال بعد دقيقة : « إن ولدها قد بدأ يخرج ، وهو بكرها ، ولا وقت للرجوع بك إلى البيت ثم العودة إليها . وأحياناً تجزع المهرة وتفزع عند الوضع الأول » وبدا عليه الأسف : « فتروح تعدو ، وقد تفقد ولدها ، فسأبقى معها . ولكن ربما غضبت المسز لويس لأن بنتها الصغيرة رأت مهرة تضع حملها ، أما أهل هاواى فلا يعبأون شيئاً بهذا ، وصغارهم يشهدون الولادة . إنها عاداتهم ، ولكن الإنجليز لهم رأى آخر » .

وحسمت كوكيت الموقف ، فبدأت تترنح من ناحية إلى ناحية ، وكان مكالى يعرف ماذا يصنع على وجه الدقة ، وكان لا يفتأ ينظر إلى ناحيتى ، ويتكلم مسروراً : « كوكيت بخير . . . الوضع ميسّر . . . » ويهز رأسه راضياً على نحو يجعل المشهد يبدو كأنه شىء مألوف .

ولما صار النتاج على الحشائش مبللاً ولا حراك به ، لحست أمه وجهه حتى فتح عينيه ، وبعد قليل نهض على أقدامه فى ضعف فلمست أنفه بأنفها ، وكانت أرجله لا تكاد تحمله ، ولكنه جميل ، فنظر إليها ثم بدأ ينشد طعامه .

فسرت فى بدنى هزة سرور وسألت : « هل أستطيع أن ألمسه ؟ »

فأشار مكالى برأسه أنْ نعم ، فوضعت كفى على كفله البليل فرفس رفسة ضعيفة ، فأشرق وجه مكالى ، ثم غاض السرور من وجهه وقال : « يحسن أن نعود الآن ، فقد لا تسمح المسز لويس بأن تركبى معى مرة أخرى » ، وأركبنى الفرس ثم وثب ورائى ، وفطنت تدريجاً إلى المأزق الذى هو فيه .

فقلت : « لن أخبر أمى » .

فقال مؤنباً : « لا أحب هذا الكذب يابنيتى . خير من هذا أن نبتهل إلى الله العلى الكبير، وإلى إلهنا « أكوا » العظيم أن يجعلا المسز لويس تفهم وتعذر ولاتحرمنى منك » .

ولما عدنا ، ترجل مكالى وكأنه رجل هرم متعب لم يبق له فى الحياة مأرب ، فأدركت أنى المسئولة عما هو فيه بهربى ، وأقبل أبى خارجاً من البيت ، وانتزعنى وضمنى إليه ، وكلمه مكالى ووجهه يرجف ، وكان أبى يصغى ويمكر .

وقال: «أول ولد ! سأضطر إلى ضربك علقة . فإن أمك كالمجنونة ، والمزرعة كلها على قدم وساق ، والعمل واقف لأننا كنا نبحث عنك » .

ووضع يده على كتف مكالى ليطمئن ، فستر الرجل عينيه لحظة ، ثم لثم يد أبى ورفعها إلى جبينه ، فتحير الدمع فى عينى أبى ، وقال وكأن فى حلقه شيئاً : « امض إلى عملك يا شيخ ! »

ولكنه لما حملنى إلى مكتبه صار وجهه مكتئباً صارماً ، وألحت على حلق الغصص ، وراح أبى يبين لى فى أناة وصبر ماارتكبته، حتى وضح الأمر فى عينى :

« إن الهرب ليس كل ما ارتكبت يابنيتى ، فقد غششت تاتسو وتناومت لتنصرف . وتاتسو تحبك وتثق بك ، وقد خنتها ، وأوقفتها مع أمك فى موقف المخطئة ، ولولا أن مكالى قابلنى قبل غيرى ، لصار موقفه حرجاً . والآن هل فهمت لماذا ينبغى أن أضربك ؟ »

فأحسست أنى غارقة فى لجج من الإجرام وقلت وأنا أكاد أختنق : « نعم . فأرجو أن تضربنى بسرعة فننتهى » .



وقبل أن أبلغ الخامسة بزمان طويل، كنت أستطيع أن أركب حصاناً عارى الظهر وأنا مطمئنة . فلما بلغت الخامسة أهدى مكالى إلىّ فى عيد ميلادى سرجاً ، وكنت أراقبه وهو ينجر الخشب ويسويه ، وأساعده فى تهيئة الجلد ، فلما نزع آخر قطعة رقيقة من الجلد عن الخشب ، نظرنا إلى عملنا فى صمت .

وقال : « انتهينا » .

فكان هذا إيذاناً بنهاية أمر ، وبداية أمر ــ فقد اجتزت مرحلة الحداثة إلى مرحلة الطفولة ، وسأركب الآن حصانى إلى جانبه .

وأراد أبى أن يحتفل بمنزلتى الجديدة فقال لى إن فى وسعى أن أذهب معه لنسوق العجول إلى الشاطىء لتشحن إلى هونولولو .

وكان ذلك يبدأ دائماً فى الساعة الأولى

صباحاً اغتناماً لابتراد الجو فى الظلام ، فلما بلغنا بعد ظهر ذلك اليوم الحظيرة الكبيرة المسورة بجدار من الحجر فى ناحية ما كينا ، كانت ساقاى قد تصلبتا، وركبتاى فى ألم مبرح من حسك الصبير الذى كان يخزها، إذ أذهب أعدو بالجواد لأحول دون مايهم به القطيع من الإجفال . وقد أدركت للمرة الأولى أن أبى وأعوانه كثيراً ما كانوا يخاطرون بأرواحهم حين يغادرون عالمى المطمئن كل صباح .

وقال أبى : « تعالوا نسبح ريثما يعد العشاء » ، وهيأ لى مكالى شيئاً كالوسادة من شملته الحمراء ، فأحسست أنى كبرت وأنى أشبه هؤلاء السمر الملوحين الذاهبين إلى الماء ، ولما صاروا فيه ضربوه بأكفهم ، فكانت لهذا أصداء مديدة جوفاء .

فسألت : « لماذا يصنعون هذا ؟ »

فقال أبى : «ليس هنا شعاب من الصخر ، وهذه الأصوات تطرد قروش البحر » .

فأحجمت مترددة ، فجلس أبى إلى جانبى وقال: «يابنيتى ، إذا كنت تبغين أن تكون حياتك ملأى حافلة ، فإن عليك أن تغامرى أحياناً ، على أن قروش البحر فى هذا الماء معروفة بجبنها » .

فشعرت كأن فى أحشائى طائراً مذعوراً يضرب بجناحيه ، وسمّر الخوف قدمى فى الرمل ، وألقى علىّ أبى نظرة غريبة وغطس فى الماء ، فأغمضت عينى ودخلت فى الماء ، وسرعان ما كنت أسبح بين أبى ومكالى ، وما لبث جمال البحر الناعم أن محا كل خاطر آخر .

وفى تلك الليلة ، ونحن جلوس حول النار ، أخرج « بيلى » الأكورديون ، وأخرج كاها ليواى طنبوره ، وراحوا جميعاً يغنون إحدى أغانى الرعاة القديمة، وكان فيها من حركة التبختر وهزة الرقص مايمثل حياتنا الرحيبة الرخية . ولم أكن أريد النوم ، غير أنى لما فتحت عينى مرة أخرى كان الفجر الفضىّ المتلألىء قد غمر السماء ، وكان بيلى يعد القهوة ، وهوكى يخبّ بجواده لينظر هل ظهرت السفينة أو لم تظهر .

وإذا بالصباح الصافى كالمرآة تشقّه صيحة قوية من الغياض ، فانطلق القطيع يعدو إلى البحر ، فخففنا إلى جيادنا ، ورفعنى مكالى إلى سرج جوادى، ووثب إلى ظهر جواده . وذهبنا نركض على الشاطىء ، وكان رجالنا الذين يمتطون جيادهم بغير سروج يخوضون الماء وراء الماشية ، وكانت أوامر أبى تسكّ السمع كأنها طلقات البنادق .

وكانت الماشية تسبح متجهة إلى جزيرة حمراء بعيدة، وكان كل مانراه منها رؤوسها . واختفى رأس ثم آخر ، وشرع الرجال وهم

يخوضون الماء بجيادهم يضربون الماء بأكفهم. قروش البحر! وصار الصباح وَغى أهوال، وفزع القطيع، وصار يدور ويتصادم، ويحاول بعضه أن يركب بعضاً، والرجال يصيحون ويضربون الماء، والخيل تخوض وتجاهد. وخيل إلىّ أن أبى ومكالى سيمزقان إرباً إربا، وأردت أن أصرخ، ولكن عضلات حلقى كانت كالمشلولة.

وأخيراً استطاع الرجال وهم يصيحون ويسخطون، أن يردوا القطيع المُغَمغم إلى الساحل، ثم استاقوه إلى الحظيرة، وأقبل الثور الشارد الذى بدأ الإجفال يترنح وفى جنبه جرح فاغر ينزف دماً، وهو لايفتأ ينظر إليه كالمذهول، واندفع أبى وهولو ماليا إلى الماء مرة أخرى لينقذوا خمسة ثيران تسبح قرب الشاطىء، وغطس أحدها تحت الماء حين وصل إليه أبى، ولكنهما أنقذا الآخرين، فصعدتُ إلى الشاطىء بسلام.

وكنت أنتفض فوق سرجى، وأحس أن عظامى أصبحت كالهلام، وكان أبى يبدو لى كأنه لايعرف من أنا، وكانت وجوه الرجال جميعاً ناطقة بالإعياء والشعور بالخطر، وشعرت كأنى فى عزلة، وبكيت كالجرو، فأقبل علىّ أبى، وحملنى عن سرجى إلى سرجه، فارتد إلىّ شعورى به وبغيره.

وقال: «هدِّئ روعك».

فتعلقت بأبى، وبلعت ريقى، وكان لايكلمنى أبداً كما يكلم طفلا، ويعاملنى كأنى كبيرة، فيغرينى هذا بأن أتشجع مثله.

«لماذا أجفل القطيع؟»

«أضجره الانتظار، وسقطت جوزة من جوز الهند فى الحظيرة، فوثب من فوق السور وأجفل».

«وماذا جرى للثور الأسمر؟»

«ذبحوه وأراحوه من عذابه».

وصاح هولوماليا وأشار بيده، ونظرنا فإذا السفينة قد ظهرت، فجمع أبى رجاله وقد اتخذ هيئة الجد، وكلمهم بلغة هاواى، فقذف بيلى بشىء على الماء، فحدث انفجار.

وقال أبى على سبيل التفسير: «ديناميت لطرد قروش البحر، وهو عمل غير جائز قانوناً، ولكن له مايسوغه الآن».

وألقت السفينة مراسيها على مسافة نصف ميل من الشاطىء، وجرت الأمور مجراها مرة أخرى، وأنزل زورق مسطح أقبل على الشاطىء، وربط أبى ثوراً وانطلق به إلى الماء، وكان هوكى يركض إلى جانب الثور، واندفعوا إلى الماء بسرعة وسبحوا إلى الزورق، ورمى أبى بالحبل إلى رجل فى الزورق، ودار والتقط منه حبلا جديداً، وعاد إلى البر. وكان الرجال يعملون اثنين

اثنين بنظام ودقة ، وسبحت ثمانية ثيران على كل جانب من جانبى الزورق وهى مربوطة من قرونها ، فلما بلغ الزورق السفينة رُفعت الثيران إليها .

ورفع الزورق بآخر حمولة إلى جانب السفينة ، وانطلقت صفارتها ، وأرسل الرجال المكدودون خيولهم ، وأطفأوا ظمأهم من جوز الهند الأخضر ، ودنا منى مكالى وقال : « أتحبين أن نخوض الماء بحصان ؟ تعالى أردفك على فرسى » .

ففكرت فى قروش البحر ، وترددت بين الخوف والرغبة . وإنه لمنظر بديع ، حين تتلقى الخيل الأمواج بصدورها وتسبح ذيولها وراءها كالمراوح ، ثم تذكرت ماقاله أبى من أن على من يبتغى حياة حافلة أن يغامر بعض المغامرة .

فقلت أخيراً : « نعم » .

فأومضت عين مكالى وقال : « يالك من فتاة ! » وأردفنى خلفه .

وحدث ذات يوم ، بعد عيد ميلادى التاسع بقليل ، أن جمح جواد مكالى به فاصطدم بعمود البوابة ، وبعد بضعة أسابيع ورمت رجله وآذته ، فأمره أبى بالراحة شهراً وكان له ، كمعظم رجالنا من أهل هاواى ، قطعة أرض خاصة به يزرعها أعضاء أسرته ، وكنا كل بضعة أيام نركب إليه لنراه ، ولكن ساقه ازدادت سوءاً ولم تتحسن .

وأقبل ابن مكالى ذات صباح ، وهو فى الخامسة عشرة ، وطلب من أبى أن يأذن لى فى الذهاب إلى مكالى على الفور . فلما بلغنا بيته ، ألفينا هذا الرجل الهرم المحبوب قاعداً على الأرض وظهره إلى الحائط ، وقد حفر الألم أخاديد عميقة حول فمه ، وكانت ساقه ممدودة أمامه وهى ملفوفة فى أوراق الشجر .

ورآنى فشرع يبكى فى صمت ، فأسرعت إليه ، وقد غمرتنى كالفيضان ذكرى السنوات التى قضيناها معاً ، وكل ما تقاسمناه ، وما تعلمت منه ، وصار الكلام عبثاً ، فبكيت بكاء شديداً وسألته : « أتراك ستموت يامكالى ؟ »

فأشار إلى رجله ، وقال : « نعم » وراح يلثم يدى ، ويقول بصوت خفيض بلغة هاواى : « يابنيتى التى حملتها على وسادة قبل أن تدرج وتتعلم المشى ، والتى كانت تريح رأسها الذهبى الشعر على صدرى ، والتى علمتها الركوب والسباحة ... »

فطوقته بذراعى ، ولصقت به ، وبدا كأنما أفاده هذا روحاً . وكان يعلم ، كما أعلم ، أنه ينزل من قلبى مكاناً لن ينزله أحد سواه ، وتبعتنى عيناه الحزينتان ونحن نمضى ببطء إلى الباب .

وقال: « مى كى ألوها پو أولى »

وما كانت به حاجة أن يقول لى شيئاً ، فإن حبى له ، كحبه لى ، لن يغيض له معين ، وتناول أبى يدى ، واحتبس صوتى فى حلقى ولكنى استطعت أن أقول: «مى كى ألوها پو أولى » بصوت مرتجف .

وأقبل أهل هاواى من كل حَدْب فى الجزيرة ليسيروا فى جنازة مكالى ، فقد كان على هدوئه إنساناً عظيماً . وقد بكته أمى حتى انتفخ وجهها ، فإنها لما جاءت إلى ماوى وهى عروس ، كان مكالى هو الذى زين بيتها الأول الصغير بالزهر وجمله لاستقبالها .

وقبل أن تسير الجنازة بقليل دعانى أبى إلى مكتبه وقال : « أريد أن تعلمى أنه ليس فى الموت شىء فظيع ، وكثيراً ما يكون فرجاً وراحة، وقد مات مكالى بأوجع أنواع السرطان وأسرعها . وينبغى أن يسرك أن أوجاعه قد انتهت وأنه شفى منها ، وهذا شبيه بقتل حصان هرم كسيح لإعفائه من الآلام . لقد كان موت مكالى راحة له » .

ووقفت بجانب أبى على القبر المفتوح ، فامتلأ قلبى غصصاً ، واحتجت أن أسند جبينى إلى ذراع أبى ليكف بدنى عن الانتفاض . ومازالت ذاكرتى تتمثل بعد كل هذه السنين كل صغيرة وكبيرة مما حدث فى ذلك اليوم : الغلمان اليابانيون ، ورجال المشائل وهم واقفون وعلى وجوههم ما يشبه سيما الغضب إذ يحاولون كظم شعورهم ، واليابانيات بأسنانهن المسودة وذلك حداد عندهن ، ونساء هاواى مرسلات الشعور وهن يندبن ويغنين بأصوات كأنها أصداء الأرغن ، والثيران الستة القوية وقد لف الزهر حول قرونها ، وأبى يحيط بذراعه الأخرى ابن مكالى اليتيم الذى أوصاه مكالى به وسأله أن يكفله . ولما شرع هالومالى وبيلى وغيرهما من الشيوخ ، ينزلون النعش بحبال ملفوف عليها الزهر تحدرت الدموع من مآقيهم على خدودهم ، فأومأ إلىّ أبى أن أدع ذراعه ليسند بها أمى التى كانت تبكى وتعول كأى امرأة من نساء هاواى . فخليتها له مطيعة ، وارتددت إلى الخلف وقعدت على الأرض ، وقلت لنفسى إنه لاينبغى لى أن أعتقد أنى لن أرى مكالى مرة أخرى . وكما يحدث أحياناً فى أوقات المحنـــة ، تذكرت أغنية قصيرة مرحة من أغانى هاواى كان مكالى قد علمنيها ، فلما أدرتها على لسانى مرة بعد مرة خيل إلى أنى أنا ومكالى راكبان معاً ، والنسيم على وجوهنا والأزاهير على قبعاتنا .



بعد ذلك بأيام قلائل مر بنا ثلاثة من كبراء الإنجليز فى طريقهم إلى أستراليا ليتولوا

بها وظائف رسمية ، وأقاموا عندنا أسبوعاً فى المزرعة .

فارتاحت أمى وانطلقت على سجيّتها، فإن هؤلاء من قومها ، وهم يتكلمون لغتها ويفكرون كما تفكر ، وقد أثنوا على الشاى الذى قدمته لهم ،واستطابوا الشطائر المصنوعة من الخردل والجرجير ، وهى غاية فى الرقة ، وأتوا على ماقى الأطباق من الكعك المحشو بالبرقوق .

وبينما كانت أمى معهم تحادثهم عن إنجلترا، كنت أنا أرقب خدم البيت وهم يعدون المائدة للعشاء ، وقد أفاضت مفارش الدمقس والأدوات الفضية الثقيلة والبلورية المتلألئة على المائدة الطويلة ، مسحة من الأبهة والفخامة القديمتين . وبعد أن وضعت آخر قطعة من الفضة فى مكانها ، زينت ظهور الكراسى بأزهار القرنفل المخملية .

وكان ذلك ليلة السبت ، والمزرعة على قدم وساق كالعادة ، وقد ازدادت الحركة بقدوم الضيوف الكبار . ووقفت أنا وشقيقتاى أينا وجوين فى الحديقة ننظر إلى الضيوف وهم يجتمعون استعداداً للعشاء ، وكان الضيوف يرتدون ثياب السهرة ، وأمى فى ثوب جديد ، وأبى فى ثوب أبيض .

ولم أر أمى قط سعيدة كما كانت فى تلك الليلة . فقد عادت إلى الجوّ الإنجليزى الذى كانت تتلهف إليه ، وكانت تحب أبى ، وتحب هاواى ، ولكنها لم تندمج قط فى هاواى اندماجاً تاماً ، أما الآن فقد ارتدّت هاواى وغابت فى الليل الأرجوانى، واعتلت إنجلترا عرشها مرة أخرى — لحم البقر المشوى،والثياب الرسمية، وأضواء الشموع، والأصوات الخافتة ، والأوانى الفضية تنقل بإحكام على الصحاف الصينية وعليها شعار الدربى — لقد كان اغتباط أبى من أجلها مما يطيب للمرء أن يرى دلائله .

ولكن باباً صغيراً فتح فجأة ، واندفعت داخلة منه امرأة مذعورة سمراء عارية الجسم وشعرها الأسود منتفش ، وارتمت بين ذراعى أبى .

« لويس ، لويس ، أنقذنى ! »

وحاولت ليهو — امرأة موكو — وهى تبكى وتنشج أن تضع نفسها على حجر أبى ، وكان جسمها الأسمر البدين يبدو عارياً جداً ومخجلا بإزاء غطاء المائدة الأبيض .

وامتقع وجه أمى فصار كالطباشير ، وتجمد شاربا الكبتن بيلى على شفته، وانطبقت شفتا الفيكونت أشلى ، وسقطت نظارة السير هيو عن عينيه ، فقد قضى على حفلة العشاء قضاء مبرماً .

وصاح أبى : «ماذاحدث؟ » وستر بفوطته الكبيرة مايمكن ستره من بدن ليهو الجسيم.

فقالت لهو وهى تصرخ وتدس رأسها فى نحْر أبى : «موكو يوشك أن يقتلنى . كنت أرقص رقصة البولا مع هوكى ، لا لشىء سوى التسلى ، فأقبل موكو ومزق ثيابى ليجلدنى، فغضب هوكى والتقط حبل الصيد» ، وتغيرت لهجتها وهى تقول: «أوه يحسن أن تذهب بسرعة يالويس ، ومن يدري ؟ لعل هوكى قد قنص موكو بحباله فيقتله . أسرع ، وأنا أخاف أن أرجع ، فأغلق علىّ باب مكتبك إلى الغد » .

فأنزلها أبى عن حجره ، وخلع سترته ، وغطاها بها وأخرجها من الغرفة ، ولكن حفلة العشاء قضى عليها . فقد انتصرت هاواى الوثنية الجامحة المسرفة على إنجلترا .

وتسورت الجدار الحجرى بضعف ، ورأيت أبى ينطلق إلى المخيم الغاص بالصاخبين من أهل هاواى، وبالبرتغاليين واليابانيين الذين كانوا يتنقلون على غير هدى كأنهم أنعام ضالة . ثم رأيت جيب قميص أبيض يبدو منطلقاً به صاحبه من البوابة ويختفى بين الجمهور — الكبتن بيلى ، وبعد أربع دقائق أو خمس رجع هو وأبى .

وقال أبى : « لم يكن من السهل التغلب على هوكى، فقد كان سكراناً طافحاً ، ولكن هذا قد تكرر أكثر مما يجوز ، وسأطرده غداً، فإنه هو السبب في إفساد حفلة إيمى» .

وندت عن الكبتن بيلى ضحكة قصيرة وقال : « ولكنى أقسم أن هذا الحادث كان ممتعاً ، ولن أنسى أبداً هذه المرأة السمراء العارية وهى تقتحم المكان علينا كأنها قنبلة متفجرة . لقد كان هذا وحده يستحق الرحلة كلها من إنجلترا إلى هنا »

وفى صباح اليوم التالى كان هوكى واقفاً على عتبة المكتب وعليه آيات التوبة كعادته دائماً ، فقال له أبى بلهجة صارمة: «إنك مطرود طرداً نهائياً ، فقد أزعجت ضيوفى ، وسببت لإيمى اضطراباً عصبياً، وذلك ضارٌّ بها لأنها حامل» .

وأدرك هوكى أن هذه هى النهاية، فسحَّت عيناه بالدموع على خديه وأمسك بيد أبى ، وانطلق يتحدث بلغة هاواى فى حماسة .

قال إنه إذا أمكن أن يكون خادماً للطفل الذى سيولد فإنه يكف عن الشراب إلى الأبد ، وإن رغبته فى الشراب دون رغبته فى التشرف بأن يوكل إليه أحد أبناء أبى ، وإنه يودّ أن يكون مكالى الثانى .

ففكر أبى قليلا ثم قال : « إنى لم أكن من الملائكة فى شبابى يا هوكى ، فإذا أقلعت عن الخمر فإنى أستبقيك ، وبعد أن يولد الطفل أنظر هل تكون خادمه الموكل به أو لا » .

وفى اليوم الذى ولدت فيه لورنا اجتمع الخدم وزوجاتهم فى الحديقة ، وكان هوكى بينهم ووجهه ناطق بالأمل والقلق وهو

ينتظر أن يعرف ما استقر عليه رأى ابى ، وكان الرجال الآخرون يعابثونه ، فصارت عيناه السوداوان كالجمر .

وقال يرد عليهم : « لا بأس ، اضحكوا . لقد مضى علىّ أحد عشر أسبوعاً لم أذق فيها خمراً ، ولا شك أن لويس لاحظ ذلك » .

ولكن هوكى لم تبد عليه هذه الثقة حين خرج أبى إليهم وقال لهم وهو مبتهج : « إن إيمي بخير ، وغداً بعد انتهاء العمل تستطيعون أن تدخلوا جميعاً عليها لتروها وتروا الطفل . ولما كنت يا هوكى خادم لورنا ففى وسعك أن تراها فى الصباح » .

فاندفع هوكى وارتمى على أبى وطوقه بذراعيه : « شكراً لك يا سيدى ، شكراً . إن سعادتى أكبر من أن أحتملها » .

وفى الفجر كان ينتظر ومعه طاقة من القرنفل الأبيض ليعلقها على مهد لورنا . وكان يجيء كل صباح ليراها وهو مغتبط ، وسرعان ماصار وجهها يشرق حين يبدو لها ، ولما بلغ عمرها ثلاثة أشهر حملها وأركبها للمرة الأولى على وسادة أمام سرجه .

ويظهر أن أبى كان ذا موهبة تساعده على معرفة القيمة الحقيقية لكل رجل . فبعد عامين أراد « إيولى » الذى يساعد على تدريب الأمهار ، وكان رجلا خفيفاً إلا أنه يصعب الركون إليه ، أن يتولى خدمة الطفل الذى كان فى طريقه إلى الدنيا ، فقال له أبى إنه يقبل إذا استطاع إيولى أن يصلح أمره ويستقيم حاله .

وكانت المزرعة كلها ترجو أن يكون الطفل ولداً ، وفى الساعة الثامنة من ليلة الأحد ولد أخونا إيرول ، فكاد اليابانيون وأهل هاواى يجنون من الفرح ، وصارت الدنيا لا تسع إيولى . وبعد أن هدأت الضجة راح الخدم يعزفون ويغنون تحت نافذة أمى ، وابنها . وصارت الحياة تامة النعمة .

وكيف تستطيع الألفاظ أن تعبر عما كان فى تلك الحياة الرضية السمحة من مدّ وجزر عظيمين ، حفلت بهما عشرات من السنين النضيرة التى ولّت وليس لها نظير فى التاريخ ؟ لقد كانت الضيافة لاتنتهى ، لأنا كنا نستقبل ونضيف كل مشهور يزور الجزر ، وقلما كان « عش العُزّاب » — دار الضيافة الرحيب — يخلو من الرجال آخر الأسبوع ، من شبان ظرفاء من أبناء الأسر الكبيرة ، وماليين وصيارفة هم مهما بلغ من ضآلة شأنهم يزيدون فى بهجة الشعوب .

وكان أمراء هاواي وأميراتها أيضا إذا طافوا بالجزر ينزلون عندنا ، وحينئذ كانت

رقصـة « البولاس » العظيمة التقليـدية القديمة العهد تدور في حديقتنا، فنحس ونحن جلوس وراء المغنين وأجسام الراقصين اللينة المتثنية، أن الطبول تنطق بأقدم لغة وأعنفها داعيةً أرواح السلف أن تؤوب إلى الأرض.

وكانت حفلات عيد الميلاد تحي طول الليل وتمحى فيها كل فروق العنصر والجنس والسن والمقام ، وترص الهـدايا التى يتبادلها كل رجل وامرأة وطفل فى المزرعة ، ويبلغ طول أكداسها عدة ياردات حول شجرة عظيمة مضاءة بالشموع ، ويعزف الخدم ، ويقبل أصحاب الأرض وزراع القصب من مسـافة أميال إلى البيت ليساهموا فى السرور والمرح، ويرقص الخدم مع السيدات البيض الحسان، ويحاول الزراع الوقورون أن يخاصروا الوطنيات البدينات المتهافتات .

وكانت هنـاك رحلات إلى وايكيكى ، وكانت يومئذ شاطئاً هادئاً جميلا تملكه أسر من البيض الوجهاء وأعضاء من البيت الملكى فى هاواى، اتخذوه للسباحة فيه. وكانت هناك أيضاً رحلات بنت ساعتها إلى بركان مونالو حين يثور . وكان كل أهل هاواى يتنزهون فى أقرب موضع مأمون من الشلال النارى الذى يبلغ عرضه ميلين والذى تتدفق الحمم منه إلى البحر ، فتقذف شؤبوباً من البخار يرتفع إلى ١٨٫٠٠٠ قدم ، وتترك ماء البحر يغلى إلى مسافة أميال من الشاطىء . وهو منظر رائع ساحر عميق الأثر فى النفس ليس له مثيل فى غير هاواى . وكان هناك الاهتيـاج النفسى الذى يخطف الأنفاس ، والخطر من قنص الثيران الوحشية بالحبـال فى الغابات فوق مرتقى هاليا كالا ، وكانت هناك رحلات صيد نضرب فيها مخيمنا فوق فوهة هاليا كالا الخامدة ، وكنا إذ نجلس حول النار فى الليل ، ويقص علينا الشيوخ من أهل هاواى أساطيرهم القديمة ، يخيل إلينا أن الماضى قريب منا جداً .

ولكن العام الذى تلا ميلاد إيرول دار بتغيير محزن فى صورة حياتنا الواسعة الرحيبة، ذلك أن لورنا التى كانت الصـحةَ مجسدة ، أصيبت بالربو وكنت قد بلغت الثانية عشرة، فاقترحت أن أتولى أمرها فى الليل ، ولكن أمى كانت تشك فى إمكان الاعتماد علىّ، غير أن الإعياء اضطرها إلى تجربتى .

وكانت أمى تنام فى البداية فى الغرفة معى أنا ولورنا ، ولكنى مهما بلغ من دؤوبى فى النهار ، كنت لا أكاد أسمع أول نشيج من أختى الصغيرة حتى أثب إلى قدمى ، وأسقيها الأدوية التى وصفت عبثاً لها ، فلما أثبتت كفايتى صارت أمى تنام وتركت لى الأمر كله .

غير أن أمى كانت تنهار تحت عينى ،

ويذويها القلق لا على لورنا وحدها بل خوفاً على إيرول من العدوى أيضاً ، وكان لا يسمح للطفلين بالخروج من البيت إذا كانت هناك نسمة تتحرك ، وإذا نقلا من غرفة إلى أخرى ، وضعت البطاطين أمام كل باب لمنع تيارات الهواء ، وصار إيرول سقيما متغير اللون من التدليل والترفيه ، واكتأب أهل البيت جميعاً ، وكاد ينقطع سيل الزوار المرحين فى أواخر الأسابيع ، لأن أمى كانت منهوكة القوى وفى شاغل من صحة الطفلين ، فلا رغبة لها فى الاستمتاع بالأضياف .

ورأيت ، كما رأى أبى ، ماأصاب الطفلين وبيتنا ، ولكنا كنا أعجز من أن يدخل فى وسعنا شىء ، وقد تشجع أبى فقال لأمى إن بقاء الطفلين ملفوفين طول الوقت وبعيدين من الشمس والهواء النقى لا يساعدها على المقاومة ، ولكن فزعها من التيارات صار ضرباً من الخبل ، فبقيا نحو سنتين لا يسمح لهما بالركوب أو باللعب مع الحيوانات مخافة أن تحدث لهما الحركة أزمات ربو . واكتفى بتلهيتهما فى هدوء بالألاعيب والكتب ، وحرما كل الحرمان نصيبهما من ضوء الشمس وركوب الخيل ، ومن السباحة ومرافقة الخدم .

وكانت لورنا فى سن تساعدها على أن تتذكر أن الحياة لم تكن كلها دائماً فترات مملة تتخللها أزمات اختناق ، وكانت تحب الحيوانات ، فكانت تتوسل كل يوم من أيام السنتين اللتين كانت فيهما حبيسة ، أن ترى كوليا وهو جواد ابن أربعة أعوام قعدت على ظهره حين كان مهراً صغيراً ، أفلا تستطيع أن تخرج ، وتقعد على ظهره ساكنة هادئة ؟ وأخيراً أشارت أمى على أبى أن يجىء بالحصان كوليا إلى الحديقة لتراه لورنا من النافذة . فلما جاء أبى بهذا الجواد الضليع اللامع ، نسيت لورنا ما وعدت به من أن لا تتأثر أو تهتاج ، وراحت ترفس وتصرخ لتذهب ، حتى اضطرم وجهها ، فكان من أثر ذلك أن انتابتها أزمة ربو حادة . فكان هذا ختام الأمر .

وجاءت النهاية فجأة وعلى غير انتظار . ذلك أن الأسرة كلها ومعظم رجال المزرعة ماعدا أبى وأنا ، أصيبوا بالأنفلونزا ، وقضينا أسبوعاً نقوم بالتمريض أربعاً وعشرين ساعة فى اليوم ، وما كادت أمى تقف على قدميها حتى تحولت الأنفلونزا عند لورنا إلى التهاب رئوى .

وكانت لورنا وهى تهذى تلح بلا انقطاع فى طلب الجواد كوليا والخادم هوكى ، فما انقضت ستة أيام حتى كانت أمى قد انهدت وثقلت ، وبعد ذلك بيومين اجتازت لورنا الأزمة وتماثلت للشفاء ، ولكن أمى لم تشف .

وصار كل شيء أجوف فارغاً . وقد راعتني المصيبة التي حلت بأبي ، أكثر مما ثقلت على نفسي وطأة فجيعتي ، لأن موت أمي ألقى على كاهله عبء أسرة من خمسة ، اثنـان منهم صغيران مريضان ، وقد عينني « ملازمه الأول » وقال إن على أن أدافع عن الحصن معه .

ولما كان رجل عمل ، فإنه بعد بضعة أيام من تشييع جنازة أمي، دعا الأسرة إلى جلسة في مكتبه . وكان الأقارب والأصدقاء الذين زحموا البيت عشرة أيام ، قد انصرفوا ، ولم يبق معنا إلا لورين ثيرستون ، أو كاكينا كما كان يسمى بلغة هاواي ، وكان هو وأبي في شبابهما قد ركبا معا وقنصا الحيوانات الوحشية بالجبال ، والآن ترك كاكينا أسرته وعمله في المحاماة وجريدته ، ليكون مع أبي ويعينه على إعادة تنظيم بيته وتسيير أموره .

وكان عقل أبي ركيناً ومستقيماً حتى في المـأساة ، وقد وكل إليّ إدارة البيت على قدر مايدخل في طاقتي ، واستبقى المربيـة لتعليمنا ، وولى إينا أمر لورنا في النهار وفي الليل أيضاً إذا لم تكن هناك أزمة ربو. فإذا حدث هذا فإن على أن أتدخل، وجعلت جوين تساعدنافي أي باب . ولكنني أصبحت آخر الأمر أمًّا ، ومضيفة ، وربّة للبيت .

وبعد أن بسط أبي خطته بالتفصيل ، صرف الآخرين واستبقاني ، وتناول يدى ، فهمّ كاكينا بالخروج ، ولكن أبي أشار إليه أن يبقى وقال له : « إنك داخل في الشوط الثاني ياصاحبي » .

وتناول غليونه ، وحشاهُ وقال : « هذا ختام ، وكل الأوراق على المـائدة » وألقى إلى كاكينا نظرة ثم أمال وجهه إليّ وقال : « سأحدثك كأنكِ رجل يابنيتي » .

وصارت نظرته غريبة ، وكأنها إلى شيء بعيد ، ولما أشعل الطباق كانت يده ترعش قليلا وقال : « لقد حاولت ما استطعت أن أكون زوجاً وأباً طيباً ، ولكنني لست بقديس ، وبغير إيمي ، قد أتحطم وأهوى بكم جميعاً معي » .

وكانت عين كاكينا لاتتحول عن وجه أبي ، فقال : « إني أعرف طبيعتك يافون ، وأنا أراهنك على أنك لن تتحطم ، وقدتكبو بضع كبوات، ولكنك ستؤدي واجبك كاملا تامـاً في تنشئة أطفالك ، وإلا فأنا لست أعرف الرجال » .

فبـدا وجه أبي متهضّماً ، ثم ارتد إليه مدّ القوة الذي كان قد انحسر عنه إلى حين، فقال بعنف هادىء : «أما والله لن أخذلك ! ولكنني لن أقتحم عقبات ، أو اجتاز جسورا قبل أن أبلغها ، بل سنمضي قدماً خطوة

خطوة . والمشكلة الأولى هى الأطفال . فهل نظل ندللهم ونبقيهم داخل البيت، أونجازف فنغير حياتهم تغييراً تاماً ونخرجهم إلى الحقول ، وننظر ماذا يحدث ؟ يخيل إلى أن لورنا وإيرول إذا أطلقا وعجزا عن الاحتمال ، لن يكونا أسوأ حالا مما هما الآن إذ يعيشان هذه العيشة » .

فقلت بلهفة : « دعنا نخلع عنهما ثيابهما الصوفية ، ونسرّح شعرهما ونرسله ، وليستحما بالماء البارد كل صباح ، وليركبا مع خادميهما ، وسترى أن هذا سوف يجعلهما صحيحين شديدين كشدة الرجال » .

فضحك كاكينا ، وبدا السرور فى عينى أبى الحزينتين .

وسألنى: « هل تشاطريننى التبعة عن هذا النهج ؟ إذا لم يستطع الطفلان أن يقاوما ويحتملا » وتردد قليلا ثم مضى يقول: « وحتى إذا احتملا فإن الناس سينتقدوننا، وسيقولون فينا : مسكينة إيمى ! ما كادت تولى حتى طرحوا أساليبها جانباً . أنت الآن ساعدى الأيمن ، وقد تبوئين بالإخفاق والخسران إذا نحن مضينا فى هذا النهج » .

ففكرت فى الليالى السود التى قضتها لورنا، والأيام المملة فى غرف مقفلة ، وحدثت نفسى أنه إذا كان المرء لايستطيع أن ينعم بالسرور والجمال فى طريقه فما خير الحياة ؟ وحاولت أن أعرب عن هذا لأبى .

فوافق وقال: « اتفقنا. وسنبدأ من جديد، وإنى لأشعر أن الطفلين قادران على الاحتمال فإنهما من أرومة متينة » .

فقلت مقترحة : « فلنبدأ الآن . إن لورنا لاتزال فى فراشها ، وهى ضعيفة كالفرّوج الصغير ، ولكننا نستطيع أن ندخل كوليا إليها لننعشها » .

فابتسم أبى للمرة الأولى منذ عدة أيام وقال : « قولى لها إن ضيفاً سيزورها ، وسأذهب أنا وكاكينا لنجىء بالحصان » .

وبينما كانت إينا تمشط شعر لورنا وتسرحه وتربطه برباط جديد ، طفت أنا ببقية من فى البيت ليساهموا فى هذه المسلاة . وبعد دقائق قليلة دبت حوافر كوليا فى الشرفة واجتازتها ، ثم أدخل الجواد رأسه الجميل من فرجة الباب . فأشرق وجه لورنا ، وصاحت « كوليا ! » ودفعت ذراعيها إليه . وأمسك أبى وهوكى بعذارىْ اللّجام على الخدين ودخلا بالجواد على حذر ، فجعل يتشمم مرتاباً رائحة الأثاث، ثم صافحت أنفه ريح لورنا فكف منخراه عن الاضطراب ، ومضى به أبى وهوكى إلى جانب السرير .

فاحتضنت لورنا حنكه الناعم الملمس ، وجعلت تخرج أصواتاً واشية بحبها له، وتنشق

عبير جلده النظيف ، فمذ كانا ابنىْ سـنة ، مشى على رجلين وهو على أربع ، نشأ بينهما ذلك الحب العجيب الذى يوثق ما بين الناس والحيوان . وما من محب حقيقى للخيل إلا وقد مرت به فى وقت ما ، أعجوبة الاهتداء إلى حصان على أتم ما يكون موافقة له وانسجاماً معـه ، وقد جعلت لورنا تمر بأصابعها المعروقة التى تشبه الأعواد ، على رأس كوليا الجميل ، وهو يتنفس مغتبطاً .

وأعانت أبى جهودنا المتبادلة على تعهـد الطفلين ، على اجتياز المصاعب الأولى التى أورثه إياها حزنه ، وكانت إصابة لورنا بالالتهـاب الرئوى قد شفتها من الربو على الأقل ، ولكنها كانت وهنانة جداً ، ولكن زيارات كوليا لها فى كل يوم ، وخروجها إلى الحديقة كل صباح ، نفت عن الحياة ما كان ينغصها من الاختناق والحرمان من كل ما تحب ، وكانت تقعـد على سجادة تحت الشجر ، والهواء يصافح وجهها والشمس تنفذ من جلدها ، وخادمها هوكى ساهر عليها ، وصديقها كوليا على أرجـله الأربع يرعى الحشيش على مقربة منها .

أما إيرول فكنا معه أقل ترفقاً . فقد قصصنا له شعره ، ونضونا عنـه ما كان محشوًّا فيه من الثياب ، فصار يمشى مختالا فى سراويل قصيرة وقمصان على طراز قمصان الصبيان اليابانيين . وكنا نغمره بالماء البارد كل صباح وهو يصرخ ويصيح ، وبعد أن يتناول فطوره ، يركبه إيولى خادمه معه إلى الظهر ، وفى العصر نحطه على ظهر فرس عجوز بغير لجام ، ترعى فى الحديقة كما تشاء ، وكان ربما ندَّت عنه صرخة فيعـدو إليه بعضهم ليرفعه عن الحشيش ويرده إلى مكانه من السرج . ولا شك أن صديقات أمى استهجنّ أساليبنا ، ولـكن الغلام لوّحته الشمس وصار أقوى وأشد .

وبعد أن استعادت لورنا صحتها وقدرت على الركوب ، اضطرت مربيتنا لوفاة بعض أهلها أن تعود إلى سان فرنسسكو ، فعقد أبى مجلساً من أهل الأسرة وقال لنا إنه بعد أن فكر فى الأمر انتهى إلى أن سنة تقضيها نحن البنات الكبيرات بغير تعلم ، لن تضيرنا شيئاً إذا نحن أنفقنا الوقت فيما ينفع .

ومضى يقول: «إن بى حاجة إليكن معى ، وما دمنا فى البيت فأنا انتظر منكن أن تتعهدنه وتتعلمن تدبير شئونه ، وإذا استدعى العمل أن أذهب إلى وايوباى فسآخذكن جميعاً معى . وفى المسـاء بعد أن ينام الطفلان ، سأقرأ لكن وأضيف إلى ما تعلمتن ما أستطيع ، فإذا تعهدتن لى بأن تنتفعن أعظم انتفـاع من إطلاقكن فى المرعى إلى حين —» .

نتعهد !! تصور أن نذهب إلى كل مكان

معـه ، وأن نأخذ الطفلين معا ، ونتعلم التدبير المنزلى من خدم نحبهم ! يالهـا من مسلاة محبّبة ! وبعد أن سكنت عاصفة الطرب التى استخفتنا قعدنا على درجات سلم المكتب لنضع الخطط ونستمتع باغتباطنا .

وشعرت بجلال هذه اللحظة، فقد قُذِف بنا على ضرب جديد فى الحياة ، وبدأ عهـد جديد ، فقد كانت حياة الصغار منا مصوغة على الأكثر على مثال نشأة أمى الإنجليزية ، أما الآن فإن الأسرة كلها ستخوض حياة الرجال على مثال أبى، وقد تبينت من اختلاج وجه أبى النحيـل ، أنه يتساءل : أتراه يستطيع أن يقود السفينة إلى مرفأ أمين ؟

وفتحت بوابة الحديقة، ودنا منا كاكينا على مهل ، وكان قد جاء على غير انتظار ليقضى معنا يوماً ، ثم وقف على كثب منا ، وبعد أن أدار عينيه فينا لحظة أطلقها ضحكة غريبة :

« إنكم جماعة كالمستوحشين، حتى الطفلان الجالسان وعلى رأسيهما قبعتان كبيرتان من الخوص وفي أقدامهما المهاميز . هـذا هو الصقر المستفرد وصغاره متهيئون للتحليق ! »

وبعد ستة أعوام من الحياة فى الهواء الطلق ، عاد إيرول ولورنا إلى الصحة التـامة وصارا مولعين بركوب الخيل ، وكبرت جوين وإينا وصـارتا فتاتين تعتمدان على النفس . واستقر عزمى على ما تطلعت إليه من أن أصبح كاتبة ، وكنت أقضى ساعات عديدة كل يوم جالسة إلى مكتب، وإذا بالتحول الثانى الكبير يحدث فى حيـاتنا ، وقد بدأ ذلك بأن أعلن أبى إلينا أننا جميعاً مدعوون إلى قضاء شهر فى مزرعة باركر لجمع الثيران وسوقها إلى الشاطىء وحملها إلى السفن .

فصحنا من الفرح فإنها من أعظم مزارع العالم وأضخمها ، وتبلغ مساحتها نحو مليون فدان ، ويعمل فيها ويقبض أجورهم منهـا رجال كان آباؤهم وأجدادهم يعملون هنـاك من قبلهم ، فكان ذهابنا إليها حظاً سعيداً نادراً . وذهبنا إلى مزرعة باركر بحراً ، وبلغنا كوايهاى فى ساعة متأخرة من الليل .

ولمـا خرجنا فى صباح اليوم التالى على الجياد من الأشجار المحيطة بالبيت ، بدت لنا الأرض متقاذفة ، وكأنها محيط لا نهاية له من النبات المائج ، إلى حيث يذهب فى الهـواء بركانا مونا كيا ومونالوا ، ويحجبـان ثلثى صفحـة السماء . وفى الوادى المتموج كان قطيع من الماشية يسير وكأنه نهر أحمر طام، وكان صوتهـا أقوى ما سمعت فى حياتى .

ومرّ بنـا الرجل الذى يقود القطيع يركض ، وكان يبدو كأنه جزء من الأرض فهو شـديد عنيف ، حرّ ، يمتطى السرج

وساقاه ممدودتان مستقيمتان على طريقة أهل هاواى ، وهى جلسة جميلة متزنة رائعة . وكان يتفجّر من جوانبه نشاط ساحر كثيراً ما يمتاز به من اختلطت أنسابهم . ورأى أبى فصاح : « ألوها يا لويس ! »

فسألت : « من يكون هذا ؟ »

فقال أبى : « هـذا ليهو ليهو لندسى . أما أكبر رجال الأسرة فهـو جونى وهو رئيس عمال ، وهناك غيره اثنا عشر رئيساً آخرون » .

وقضينا أسبوعاً أونحوه ، وقد استولت الحياة فى المزرعة على نفوسنا وصرفتنا عن كل ماعداها ، ثم أقبل رئيس العمال ذات ليلة وقال لأبى : « سأصعد غداً فى جبـل مونا كيا وراء صغار الخيل ، ويسرنى أن تجىء أنت وبنوك ، فإن ذلك سيكون مسلاة عظيمة ، وسنركب كالشياطين »

فقال أبى : « فى نيتى أن أذهب غداً إلى ماكاهالو ياجونى ، ولكن خذ الأولاد معك فإنهم يستطيعون أن يجاروك » ، وضرب ردفه بجمع يده ،وهى عادة أصبحت مألوفة .

فشعرت بأن قلبى يعتصر ، ذلك أن حصان أبى سقط به قبل عامين فى حفرة عميقة من الحمم الباردة ، وهو يطارد ثوراً وحشياً على جبل هاليا كالا ، فتعلق أبى بسرجه وقد كسرت ذراعه والترقوة ، وهيضت الحرقفة وأبت على مايظهر أن تشـفى . أفتراه يريد الآن أن يقول إنه أصبح لايقوى على الركض العنيف ومطاردة الخيل إلى سفوح الجبال؟

وساورنى شعور بأن تغييراً يوشك أن يحدث ، وأن أبى يعلم شيئاً لايرى أن يفضى به إلينا .

ولما طلعت الشمس فى صباح اليوم التالى كنا على جبل مونا كيا ، وهناك على قمة المرعى وقفنا اثنين اثنين ، على فترات ، وشرعنا ندفع الخيل إلى النزول ، وزادت السرعة شيئاً فشيئا ، وصارت خيلنا تجاهد لتبارى الأمهار الصغار ، وراحت حوافرها تدب فى الأرض المطمئنة فيدوّى صوتها ، وارتدّت فى هذا الصباح أصداء الصيحات وقرقعة السياط ، وبدا الجبل كله كأنما امتلأ بالظهور اللامعة الخاطفة ، ودفعت بجملتها بعد مداورات شتى إلى الحظائر وهى تصهل وترفس . فكان صباحاً رائعاً .

وارتددنا إلى البيت ، فاقترح ليهو ليهو مباراة بحبال القنص ، فراح كل اثنين يركضان فى السهل وآخران يتبعانهما ومعهما الحبال يديرانها فى الهواء ، فأشاع وقع الحوافر ، وحسيس الحبال الدائرة فى الهواء إحساسات غريبة فى نفسى .

وقلت لأبى فى تلك الليلة وأنا أحدثه عن فروسية ليهو ليهو التى لا مثيل لها :«إنه ليس

إلا عاملا ، ولكن صورته تعلق بنفسى وتخامرنى » .

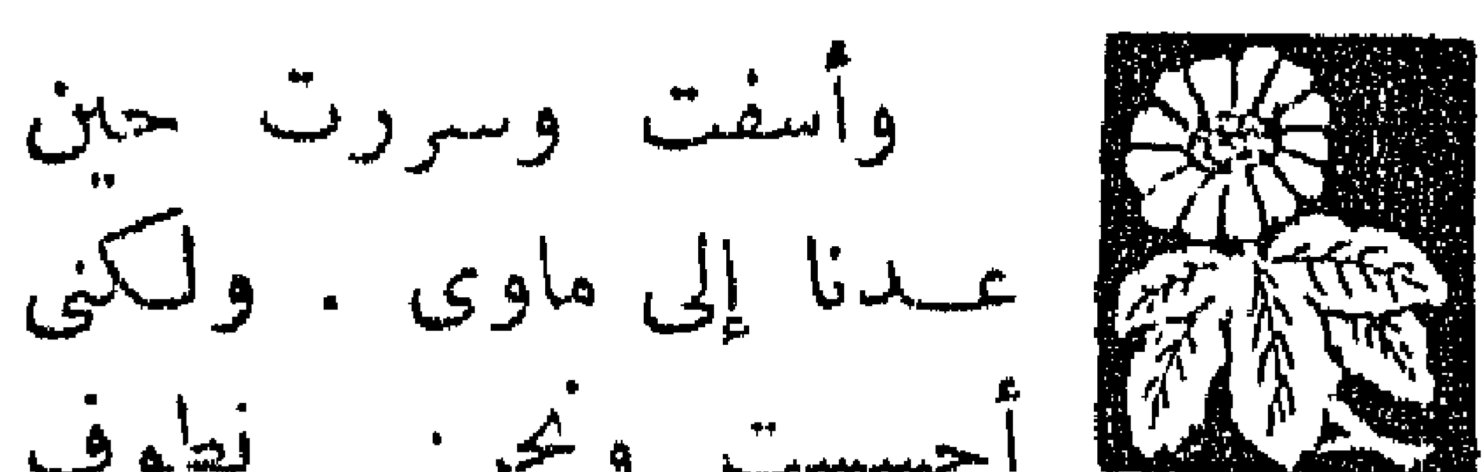
فقال أبى على سبيل الإيضاح : « إن بعض الناس يلهبون الخيال . ولهو لهو هذا يحرك النفس — حتى نفوس الرجال . وإنك لسبُخضعة منى . فقد كنت أسمع الضحك فى الظلام فتنازعنى نفسى أن أتبع الصوت . وأرى هذا أمراً فوق طاقتك ، فضعى لنفسك لجاماً »

وكنت أريد أن أرتب ما فى نفسى وأتبينه ، فسلكت خير طريق أعرفه ، وحدثت أبى فى هذا . ولقد ركبت وتحكت مع لهو لهو ، وأهدى إلىّ أزهاراً ، وغنانى ، وأعارنى جياده ، كما فعل كثيرون غيره من العمال ، ولكن الأمر فى هذه المرة كان تجربة يخفق لها القلب .

ولم يقل أبى شيئاً إلى أن أفضيت بما عندى ، ثم قال : « لولا أنك ولدت فى هذه الجزيرة لعدت بك إلى البيت غداً ، ولكن إذا كنت تريدين أن تكونى كاتبة ، وأن تكتبى شيئاً حيًّا ، فإنه ينبغى أن تجربى كل أنواع التجاريب ، غير أن عليك أن تتذكرى أن الغاية الحقيقية فى معركة الحياة ، ليست هى أن تفوزى بمظاهر التقدير ، بل أن تحتفظى بها لامعة وضيئة . وأنا أريد لك أن تمضى على سننك وأن تهجمى حيث يخاف الملائكة أن يخطوا ، ولكن عليك فى الوقت نفسه أن تفى لمثالك العليا — كائنة ما كانت » وتناول يدى وشد عليها وقال : « ابقى كما أنت ، وضّاءة مشرقة » .

فقلت وأنا أشهق : « مهلا ! إن الأمر ليس أمر لهو لهو ؟ ولكنك أوحيت إلىّ أخيراً فكرة كتاب حقيقى . فقد كنت أتعثر وأنا أكتب عما أحس أنه من الأشياء المحركة للنفس ، ولم أدرك قط أن هاواى أرض عذراء لم يمسّ كنوزها أحد إلا القليل الذى نبشته أيدى الغرباء منها » .

فالتمعت عينا أبى ، وقال : « امضى فى هذا ، فإن العالم الخارجى لا يحلم بهاواى التى نحبها ، ولا يعرف عن هذه الجزر إلا آلات العزف ومسابح الشاطىء » .



وأسفت وسررت حين عدنا إلى ماوى . ولكنى أحسست ونحن نطوف بالاسطبلات والحظائر أن أبى يتكلم بتحفظ . وفى اليوم التالى بعد الإفطار قال لنا : « أيها الأطفال ، إن عندى لكم أخباراً هى أكبر من أن نخوض فيها تحت سقف ، فأعدوا خيلكم » .

وركبنا فى صمت وقلق ، وكانت الحشائش التى استوردها من جميع أنحاء العالم تمس أرحل الخيل ، ومئات الآلاف من الأشجار

التى غرسها تذهب فى الهـواء تحت عين الشمس .

ولما ارتقينا فى الجبل إلى حيث نرى من تحتنا أرض المزرعة مبسـوطة كالمصورات البارزة ، ترجل وقعدنا جميعاً على الحشيش الدافىء الجميل ، وقال أخيراً : « يحسن بى أيها الصغار أن أفضى إليكم بكل شىء دفعـــة واحدة ، فتنفسوا نفساً عميقاً وارفعـوا رؤوسكم ! بعد أول العام الجديد ستنتقل إدارة المزرعة إلى سام بولدوين » .

فغمرنا الفزع والجزع ، واندفعنا إلى أبى واستطاع أن يلمنا جميعاً بين ذراعيه ، ولم يحاول أن يتكلم إلا بعد أن خف ما عرانا من الحزن .

وسألته : « منذ كم تعرف هذا ؟ »

« منذ أربعة شهور . وهذا هو السبب فى أنى أردت أن تذهبوا إلى مزرعة باركر ، فما كنت أريد أن تبقوا فى البيت أثناء التصفية الأخيرة ، وقد صدمنى فى البداية أن أعرف أنى سقيم لا أقدر على إدارة هذه المزرعة بعد اليوم ، ويرى آل بولدوين أن ساقى المهيضة قد تتحسن إذا لم أكثر من الركوب ، وسيظل مرتبى كما هو ، وسيوكل إلىّ أمر الخيـل الأصيلة ، وسنشيد بيتاً جديداً فى مرعى نتاج الخيـل ، وسينتقل بولدوين إلى هذا البيت القديم .

« وأنا أعتمد عليكم فى مساعدتى على جعل حياتنا الجديدة حافلة كالقديمة ، فإن الحياة مغامرة جليلة حتى حين يسـوء فيها الحظ — ولهذا أرجوا أن لا تكرّوا الطرف وتأسـفوا على انقضاء الأيام القديمـة ، واحشـدوا كل ما تستطيعون فى كل يوم جديد . وستجدون بعد قليل أن هذه الأيام الجديدة قد صارت هى أيام المستقبل القديمة الحميدة ، وفى أثناء ذلك ارفعوا رؤوسـكم فلا تهزمكم الدنيا .

« وسـيكون من التجارب النافعة لكم أن تتعلموا أن الحياة ليست هى التى لها القيمة ، وإنما الذى له قيمة هو الروح التى تحيون بها ، وسيقلّ عملى فيتسـع وقتى لكم . أفهمتم ما أعنى ؟ إن السعادة أن يصوغ المرء نفسه وعقله طبقاً لما تقتضيه الأحوال المحيطة به » .

فتذكرت أن مكالى قال لى مثل هـذا ولكن بألفاظ أخرى . ووضعت أبى فى الميزان ، فألفيتـه يضيف إلى الحياة الحب والضحك ويجعل لها غاية ، ويغريك بأن تمضى قدماً لترى ما يجىء المنعطف التالى فى طريقك . ونفض أبى الرماد من غليونه وسألنا : « هل تعاونونى على جعل كل يوم أحفل وأغنى من اليوم السابق ؟ »

إنه يسأل ! « اتفقنا . أنظروا إلى الأمام ، وارفعوا الرؤوس ، فإننا على طريقنا ! »



وبينما كان البيت الجديد يبنى ، بعث آل بولدوين بأبى وأنا معه فى رحلة دامت سبعة أشهر على نفقة المزرعة ، فزرنا الولايات المتحدة وطوّفنا بها ، ورحلنا إلى ألاسكا وكندا ، وتحسنت حرقفة أبى بفضل الراحة من الركوب .

وعدنا ثانية ، فتوثقت الوشائج بين أبى وبين أخوتى وبينى ، وكان الصغار يركبون بعد الإفطار مباشرة إلى المدرسة ، ويقصد أبى إلى الاسطبلات للإشراف على الخيل ، وأقعد أنا للكتابة . وفى أواخر الأسبوع يعج المكان بالناس حتى صار البيت الجديد أحفل بالضيوف من القديم ، ولكن أبى صار يتعبه ركوب جواد كبير فاضطر أخيراً إلى ركوب مهر ، وكنا نريح له ساقه بحمالة مدلاة من السرج . وكانت تمر أوقات يعود فيها كما كان ، كله بشر وابتهاج ، ولكنه كان على الأكثر كالمد الذى طال فبدأ ينحسر فى بطء .

ولم يقل أحد من إخوتى ولا أنا شيئاً ، ولكننا كنا نعلم ، وتواطأنا على أن نجعل الحياة مرحة غاصة فياضة كما كانت دائماً ، وعلى أن نجعله يشعر أنه فى فورة الحياة كل لحظة ، وأنه يحيى حياة قوية مندفعة ، لأنه ما من حياة أخرى توافق رجلا مثله .

وكنت ، وأنا أعمل وأصلى وأدعو الله : «اللهم أغدق عليه رحمتك فقد أغدقها علينا ، واشفه ورده إلى العافية يامن لا يعجزه شىء ، فإن لم يكن بدٌّ من قضائك فيه فاقبضه إليك وهو فى العنفوان قبل أن يقعده الوهن » .

ودعانى طبيب الأسرة يوماً إلى مكتبه وحدى ، وكان قد صور حرقفة أبى بأشعة إكس وسألنى : « ما مبلغ شجاعتك ؟ »

« لا أدرى . وسأتبين » .

« ياعزيزتى إن أباك لا يمكن أن يبرأ ، وسيزداد سوءاً ، فإن نصف تجويف الحوض متدرّن ، وهذا ما يجب أن يكتم عنه لإطالة حياته ، ولن يرى هذه الصور لأنى سأبدلها وقد شدخ التجويف من جراء تلك السقطة ، وأدى تعب الركوب ساعات إلى بقاء العظم ملتهباً » .

« أما لو قضى نحبه حالا ... »

« لا سبيل إلى ذلك » .

« كم يبقى ... ؟ »

« يمكن أن يبقى سنوات ، ومن المحتمل أن تسوء الحالة بسرعة » .

« وسيكون متألماً طول الوقت ، ويزداد عجزاً عن فعل ما يحب ؟ »

فهز الطبيب رأسه موافقاً .

وكانت هذه صدمة من أشد الصدمات فى حياتى ، ولكنى كنت كأنى أسمع صوت

أبى يقول : « تشدّدى » وكنت أدرك أن علىّ أن لا أخذل أحب الناس إلى ، على ظهر هذه الأرض .

وسارت الحياة في طريقها ، وكان أبى يركب مرتين فى الأسبوع إلى المستشفى ليعالج بالأشعة فوق البنفسجية التى قال الطبيب إنها قدنفعته ، وكان البيت يكتظ دائماً بالضيوف فى آخر الأسبوع . وجاءت فرقة من مروضى الجياد من الولايات المتحدة فأنزلها أبى معنا ، وصار إخوتى يركبون معها فى معارضها ، وأبى مبتهج كالطفل ، وفازت لورنا بمعظم الثناء ، وسررنا جميعاً حتى الضيوف .

وزحف الخريف بأيامه الجميلة التى تخطف الأنفاس ، وذهب طبيب الأسرة فى رحلة إلى الساحل وحل محله طبيب روسى شاب ، وبعد يوم من زيارة أبى للمستشفى دعانى إليه ، وكان يرتدى خير أحذيته وسراويله ، وكانت عيناه تومضان ، فقال : « أسرجوا لى الجواد بليبوى ، فسنركب للنزهة مرة أخرى » .

وكان ركوب هذا الجواد مشقة ، فذهبنا أنا وإخوتى إلى الإسطبل ونحن نشعر بفراغ واكتئاب ، ودار فى نفوسنا أن أبانا عرف أنه لن يشفى ، ولهذا يريد أن يخرج مع الأسرة فى نزهة على ظهور الخيل مرة قبل أن يقعده المرض ، ولكنه لم يخطر لى قط أن الطبيب الجديد صارح أبى بحقيقة حالته .

وامتطينا خير جياده ، وراحت الكلاب تعدو أمامنا ، وأصعدنا فى الجبال ثم ارتددنا بأقصى سرعة إلى البيت ، منحدرين على المهابط الوعرة ، ناهبين الأرض المستوية ، وأبى فى الطليعة ، وكنت أرى ظهره المتصلب ، فأعرف أنه مهما يكن ما يكابد من الألم فإنه سعيد بأن يحس الهواء يصافح أذنيه ، والجواد الكريم يعدو تحته .

ووقفنا مرة فى الطريق ، وأدار أبى عينه فى أرض المزرعة المترامية ، وكانت نظرته شاردة ، ولكن لا من الحزن بل من الاغتباط الشديد ، واحتجت إلى كل ما أوتيت من قوة الإرادة حتى لا أخور . وكان يبدو لى أن أبى يتبوأ عرشه القديم ، وأن الزمن والجزيرة يشاطرانه سروره ، فلا يجوز لنا أن نفسد عليه ذلك بالبكاء . وبينما كنا نواصل الركض هابطين خيّل إلىّ أن أبى يستعيد حياته الماضية حين كان يركب ويصيد الثيران ، وكانت الدموع تلذع عينى وتؤلمنى كأنها دماء منفجرة ، ولكنّ وراءها اغتباطاً بأنه يستعيد ذلك كله حقيقة لا تخيلاً .

ولما عدنا إلى البيت كان وجهه مربداً مكموداً من الألم ، والعرق يتصبب منه ، ولكنه قال « ألم يكن هذا ممتعاً ؟ » وبدا لحظة كأنه جبار من جبابرة الأساطير . وفى

تلك الليلة أحطنا بالنار وراح أبى يقص علينا ذكرياته ويبسطها أمامنا كأنها حصاد وفير لماضيه الحافل.

وقد أذكرتنى هـــذه النزهة فيما بعد بحادثة قديمة، حين أصيب الجواد تريدوند — خير جياد هولوماليا — إصابة قاتلة فى أثناء صيد الثيران الوحشية بالجبال، فقال أبى يومئذ: «لا تحزن ياهولوماليا. لقد قضى تريدوند نحبـــه وهو فى عنفوان نشوته، أما المأساة فهى أن تبقى حياً بعد أن منيت بالعجز، وأن تحس أن الحياة تتخطاك فى مرها، وأن تشعر أن قبضتك تتراخى. أما أن تثب من هنا إلى هناك والحياة ما زالت أغنية جميلة، فهذه هى النعمة».

وجاءت النهاية بسرعة وفجأة. وكان أبى قد أرسلنا فى مهمات تستغرق ساعة أو ساعتين، فلما رجعت وجدت الخادم «أداجى» ينتحب عند البوابة، ويتكلم بما لا يفهم، فاندفعت داخلة إلى غرفة أبى

ألفيتـــه منحنياً على مكتبه وعلى صدر قميصه ثقبان مسودان من رصاصتين وحولهما إطار من الدم، وكان المسدس الذى أراح كثيراً من الحيوانات وأطلقها من إسار الشيخوخة أو المرض، ملقى على الأرض.

وكان على المكتب رقعـــة فيها عبارة وجيزة: «أنا محطم، مقطـوع النفس، ومخنوق. ولست إلا حصاناً آخـر هرماً أريح قبل أن تنقلب الحياة لعنة بدلاً من أن تكون نعمة. وأنتم يا أبنائى تفهمون»



وكان المطر يهطل فوق السقوف، ويسح بقوة على الجزيرة، ويملأ الليـل بمثل أصـوات الهدير الهائل، وكأنما فى هـذا المطر المدرار قوة من قوى الطبيعة لا تعرف ضابطاً ولا كابحاً، أو كأنما هناك حشـد من الجلال. وكان بيتنا الذى كانت تتجاوب فيـه أصوات الرجال والمهاميز، ساكناً لا حس فيه، فقد مات أبى، ونزل «مطر الرؤساء تحيـّة له»، فإن أساطير هاواى تقول إنه لا ينزل مثل هـذا المطر السحاح الذى يطبّـق الأرض إلا حين يموت واحد من الأسرة المالكة، دلالة على أن الآلهة تحيّى العضو الجـديد الذى ينضم إلى صفوفها. وكان يخيل إلىّ أن شبحاً شارداً مبتهجاً، قوياً عنيفاً يمشى فى الظـلام المدلهمّ، وقد تحرر روح أبى المرح البـاسل الذى ظل مقيداً خمس سنوات إلى بدن محطم، فراحت الجزيرة والحديقـــة المغمورتان تنشدان أنشودة النصر، فكيف أحزن؟ لقـد فتح ذراعيه ووثب باختيـاره فوق الهاوية بين هنا وهناك، كما كان يثب بجواده

دون أن يخشى أن لا يبلغ الناحية الأخرى .

واستجابت مشاعرى المتوترة إلى مايهيب بها ويحركها من هذا الطوفان، لأفهم الرسالة المتكررة مرة بعد مرة ، رسـالة الصوت القوى المنبعث من السماء .

وتجلى الأمر . فهذا الفردوس الذى نعمنا به على الأرض لابد أن يذهب مع الرجل الذى أوجده ، ولكن راية البهجة والشهامة التى رفعها أبى لا يجوز أن تطوى، إذ نمضى نحن أفراخه إلى المصاير المقدورة لنا .

سعة الحيلة

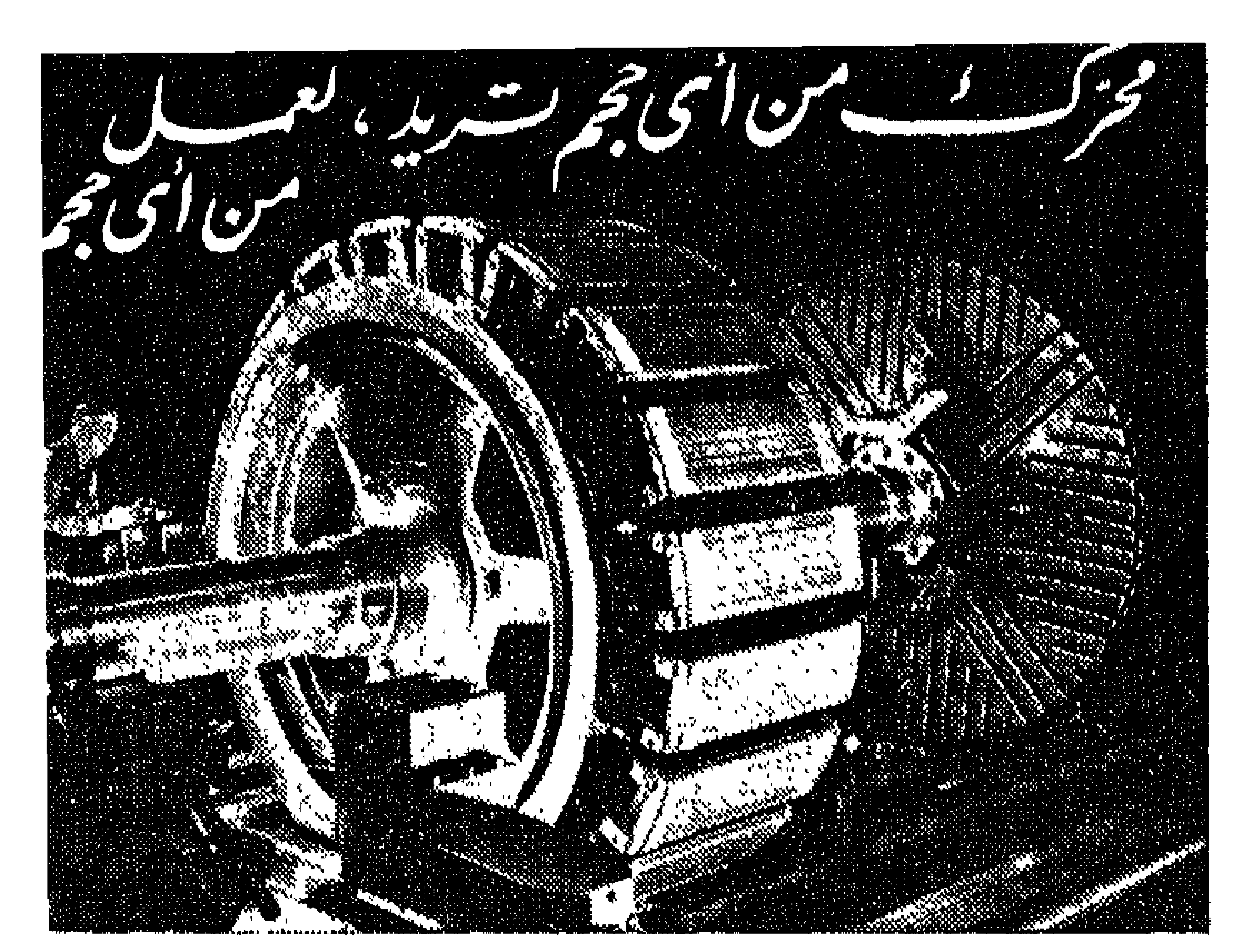
نظرت إلى الطريق أمامى فأدهشنى أن أرى ما حسبتهُ جثة كلب ميت . فوقفت سـيارتى ، وإذا صـفير عال يقرع أذنىّ ، وإذا الـكلب ينهض متثاقلا وينتفض ، ثم رأيت فتى فى الثانية عشرة يتقدم إلىّ من وراء شجرة ويقول : « هى حيلة تـكاد تنجح دائماً فأظفر بصاحب سيارة ينقلنى بها مسافة ما »

[جون بريتماير]

كان أحد الباعة المتجولين ماضياً بسيارته فى طريق موحش ، فرأى فتاة حسناء تسيرعلى قدميها ، فسرَّهُ أن يقف سيَّـارته ويدعوها إلى الركوب معه ، فينقلها إلى المدينة . وقام فى ذهنه أنها قد تقبل دعوته إلى العشاء معه . ولـكنها لم تـكد تجلس فى مقعدها من السيارة حتى قالت : « هل لك أن تقف قليلاً لنحمل أمى معنا ، هى تلك السيدة التى أمامنا » . [جوردن هلاند]

كنا على الطريق التى تجوز سفوح التلال فى كاليفورنيا الجنوبية ، فعجبنا لرجل رأيناه يعدو أمامنا ، فخطر ببالنا أنه فى حاجة إلى المعونة ، فوقفنا سيارتنا لكى ندعوه إلى ركوبها . فلما دخلها تغـيَّرت حالهُ ولم يبدُ عليـه أنهُ منطلق فى حاجة ملحَّـة . فسأله زوجى : « أذاهب أنت فى طلب طبيب ؟ »

فقال الرجل : « لا . أنا ذاهب إلى مخزن « الزوايا الأربع » ، فزوجتى تريد بعض المطرّيات لوجهها ، وقد وجدت أننى إذا عدوت وقف من يرانى من أصحاب السيارات ودعانى إلى الركوب » . [مسز إ . هـ . جيلوم]



محرك ضخم قوة ۱۰۰۰۰ حصان يسيّر مصنعا بأسره لصنع ألواح المعادن .. ومحرك صغير يسيّر آلة مفردة بسيطة من آلات الصناعة !.. إن هذا ليعطيك فكرة عن المجموعة الهائلة من المعدات التى تقدمها مؤسسة «أليس شالمرز» فى ميدان واحد من ميادين الصناعة !

على أن مهارة « أليس شالمرز » وخبرتها تشملان كل صناعة من الصناعات الرئيسية . فنحن أكبر منتجى العالم لمعدات طحن الغلال .. كما نصنع التربينات المائية التى تحول طاقة المياه إلى كهرباء ... والمضخات التى تضبط المياه لرى الأراضى أو استعمال المدن ... ومجموعة عظيمة من الآلات لإنتاج ملابس أفضل ، وأغذية أفضل ، ومدّ طرق أفضل ، وتيسير نقل أفضل .

أطلب اليوم من «أليس شالمرز» الحل العملى لأية مشكلة تهمك لها صلة بالآلات . إننا ننتج أكبر مجموعة من معدات الصناعات الرئيسية فى العالم .

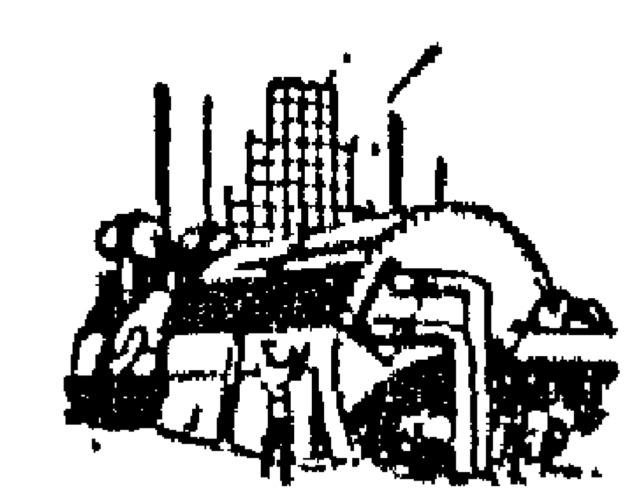


MILWAUKEE 1 WISCONSIN U S A

المنتجات للصناعة



معدات كهربائية



توربينات مائية وبخارية



آلات للاسمنت والتعدين



مضخات



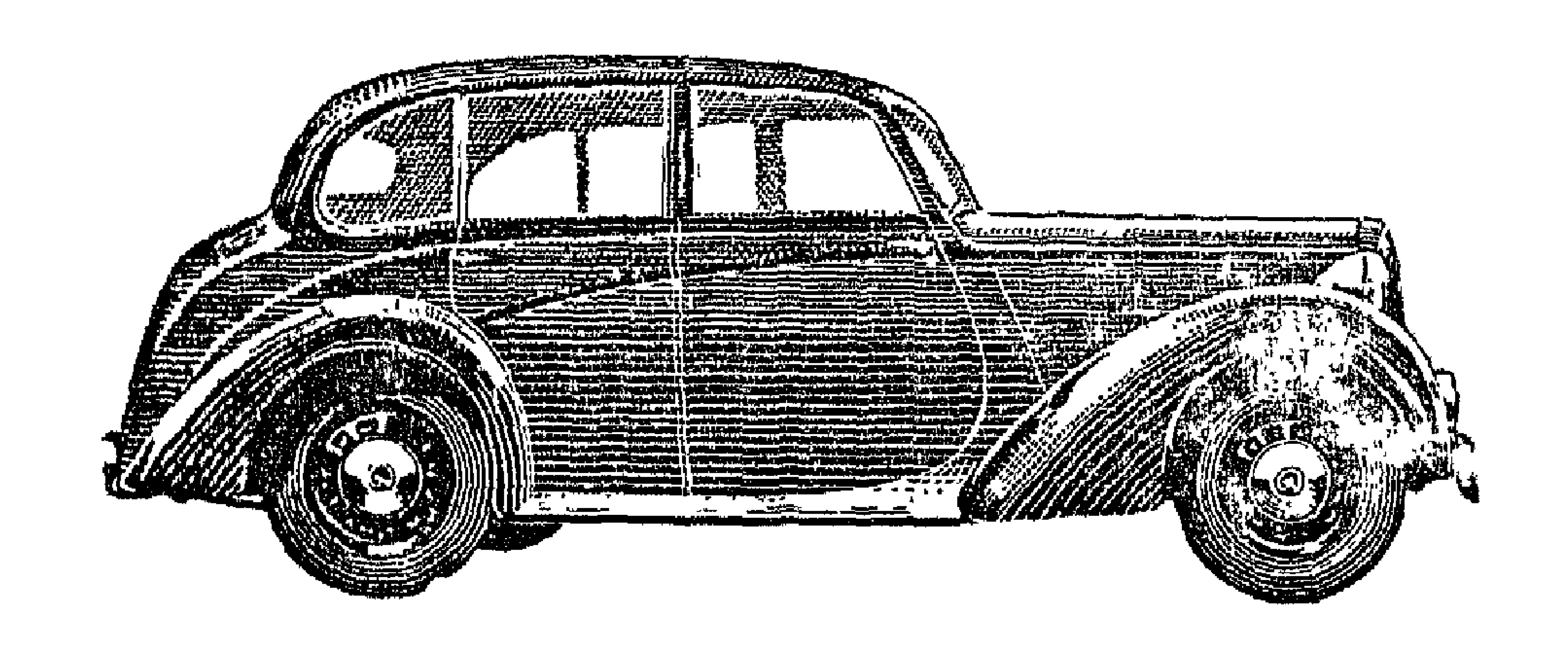
آلات لطحن الدقيق

الوكلاء فى الشرقين الأدنى والأوسط

القطر المصرى والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة ش . م . م ، ٤١ شارع صفية زغلول بالإسكندرية ، ٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة — العراق وشرق الأردن : الشركة الأمريكية العراقية للملاحة لمتد ٩/٢٨٣ شارع المستنصر ببغداد — ١٠/١٢٤ شارع الملك فيصل بالبصرة — المملكة العربية السعودية : أمريكان إيسترن كوربوريشن ، جده — إيران وأفغانستان : أمريكان إيسترن لمتد ، عمارة مصر ناصية شارعى شهريزا وروزفلت ، طهران . وهناك مراسلون لشركة « أليس تشالمرز » فى مختلف البلاد القريبة والبعيدة .



"ديملر" جديد ممتاز

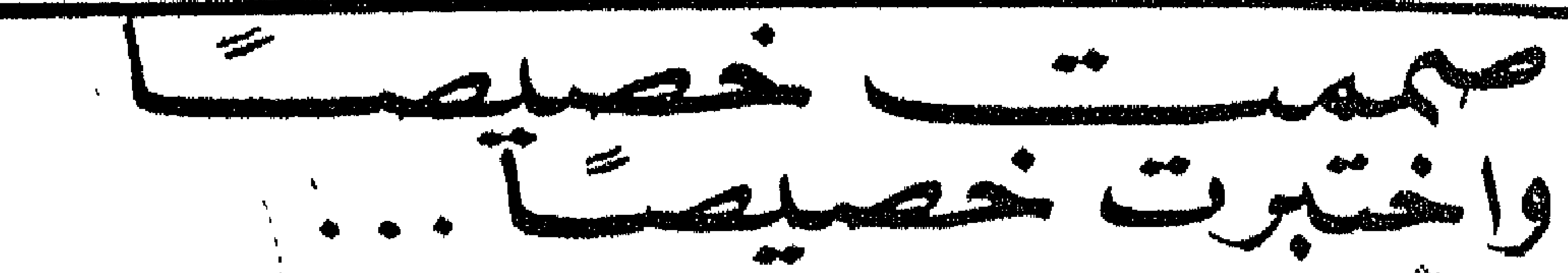


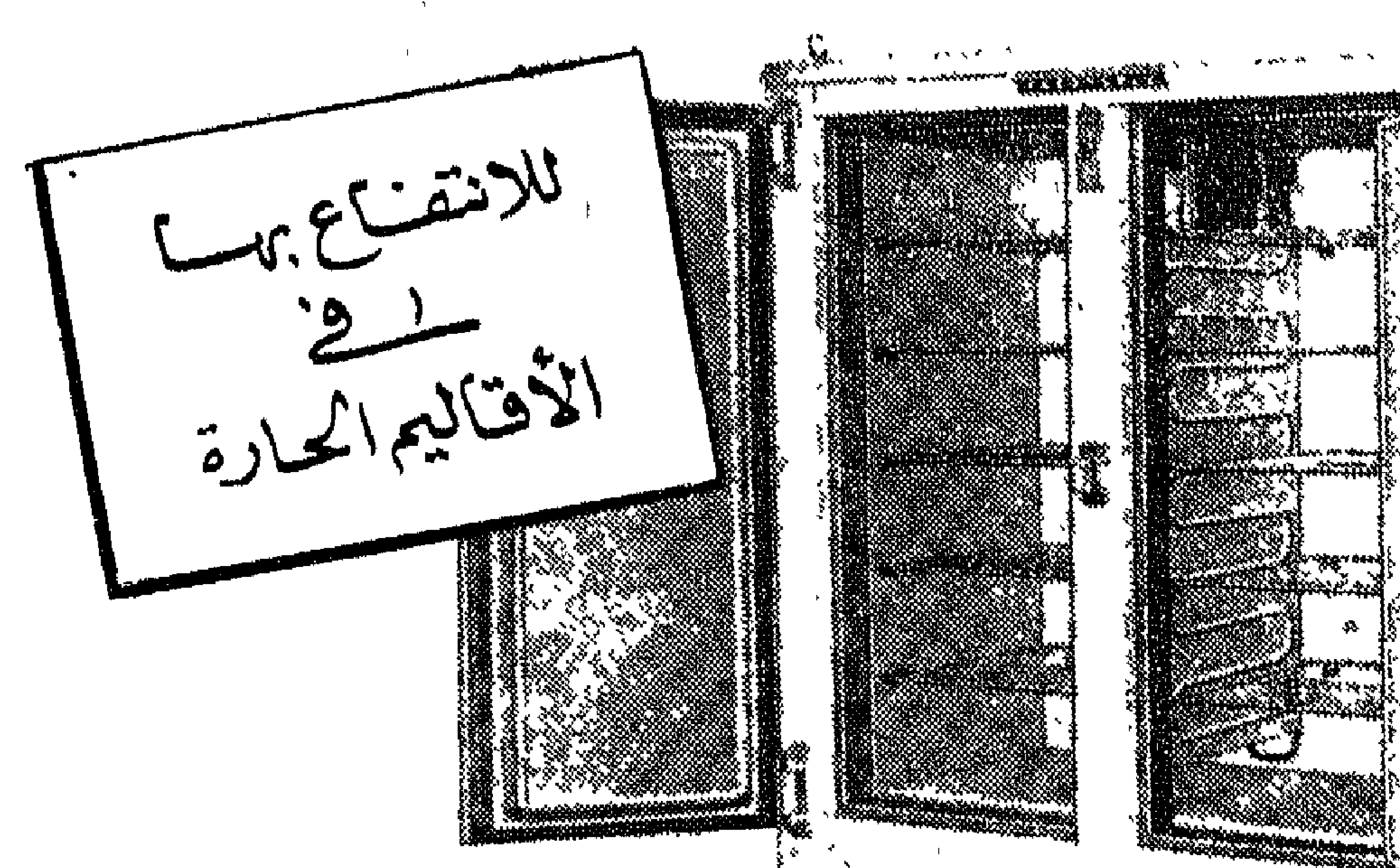
هذه سيارة سريعة ، جميلة فى رأى العين ، مريحه لمن يركبها ، بالغة أعظم مبلغ من اليسر والأمن فى قيادتها . و « ديملر » له نظامه الخاص لنقل القوة من المحرك إلى العجلتين الخلفيتين أسهل نقل وأيسره — وهو نظام يختلف عما يقابله فى سائر السيارات . فإذا ملكت سيارة « ديملر » فذلك دليل على أنك تحسن اختيار أجود الأشياء ، وأنك قد عقدت العزم على أن تنالها .



Licensed under Vulcan Sinclair and Daimler patents.

THE DAIMLER COMPANY LIMITED - COVENTRY & LONDON - ENGLAND





ثلاجات « برست كولد » "Tropic-Tested" مصنوعة فى إنجلترا ، ومختبرة فى جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعى فى تصميمها أن تقاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهى تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدى خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر فى صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .

طراز S.C. 151 المرسوم أعلاه حجرة سعة ١٥ قدماً مكعباً . طراز فريد . مكون بعناية من ألواح مضغوطة من الفولاذ الملحوم بالكهرباء ومطلية بميناء بيضاء ناصعة تبقى على الزمن وهذه الميزات تجعل الثلاجة منيعة ضد الحرارة والرطوبة فى المناطق الاستوائية .

PRESTCOLD

للتبريد



الوكلاء فى القطر المصرى : شركة .E.A.S.T ١ شارع الملكة نازلى بالقاهرة . فى السودان : كولاتلى هانكى وشركاه ليمتد ص ب ٢١٥ الخرطوم . فى فلسطين : شركة انجنيرنج آند مانيوفكتشرنج ليمتد ص ب ١١٩ تل أبيب . فى سوريا : أفريكان آند إيسترن (للشرق الأدنى) ليمتد ص ب ١٧٦ حلب . فى العراق : شركة الأفريقية والشرقية (شرق الأدنى) المحدودة ص ب ١٧ بغداد .

شركة الصّلب المضغوط ليمتد

THE PRESSED STEEL Co. Ltd., COWLEY, OXFORD, ENGLAND.

ترقب في مختار فبراير سنة ١٩٤٧

لو كنت في الحادية والعشرين

لو قدر لك أن تبدأ حياتك بدءاً جديداً فماذا تفعل لتسير في الطريق الذي يفضي بك إلى النجاح ، ولتجد العمل الذي يلائمك؟ هذا عالم ذو شهرة عالمية يبين لك الأشياء الثلاثة التي يتخذها أساساً لهذا المسعى ، ويقيم لك الدليل على أن القاعدة الفاصلة في الأمر ليست العمل وحسب بل ما تصنعه أنت بالعمل الذي تتولاه .

درس من فنان

حلقة أخرى من سلسلة « انتفع بتجاربي » وقد كتبها الكاتب النمسوي الذائع الصيت — ستيفان زفايج ، وروى فيها ما حدث له مع رودان المثال الفرنسي العظيم ، فكانت العبرة التي استخرجها مما حدث له ، كالمرشد الذي أرشده سواء السبيل في حياته الأدبية .

الوراثة معقد رجاء العالم

منحت جائزة نوبل الطبية منذ أسابيع لعالم يدعى هرمان مولر ، أنفق عشرين سنة في دراسة عوامل الوراثة ، وهذا مقال يوجز لك أحدث ما تم كشفه في شئون الوراثة — وراثة المرض ووراثة النبوغ ووراثة الجنون ووراثة لون الشعر أو العينين وكيف ينتفع بهذه الحقائق الجديدة في إصلاح الاجتماع وإصلاح النسل أيضاً .

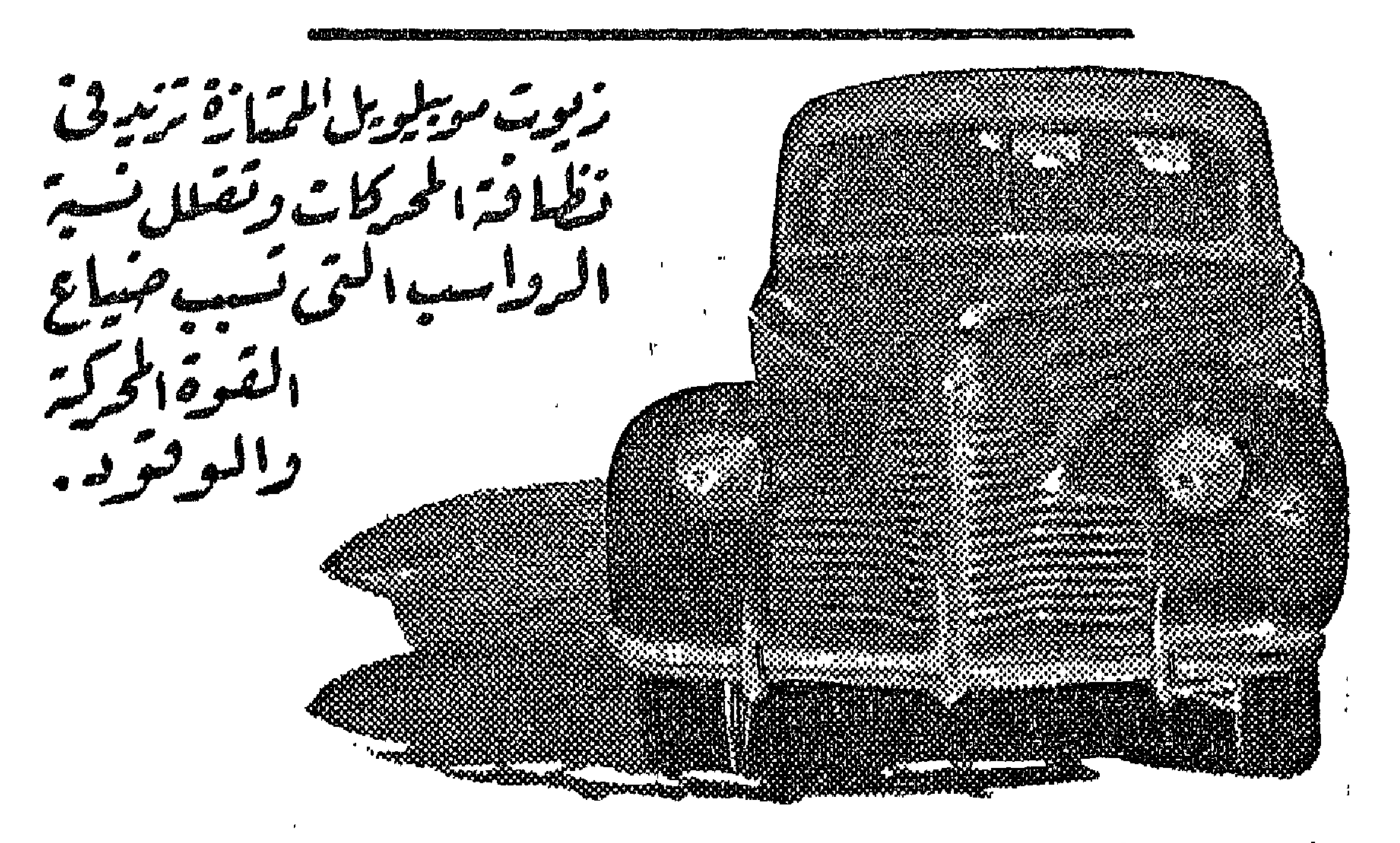
إيمان عالم بالله

شاع الرأي بأن العلم ينافي الدين ، وأن العلماء أدنى إلى الالحاد ، وهذا عالم متمكن يقول إن كل كشف علمي جديد يزيد آيات الخالق المبدع قوة وجلاء ، ويعرض لك سبعة أسباب علمية تحمله على الاقتناع بوجود الله .

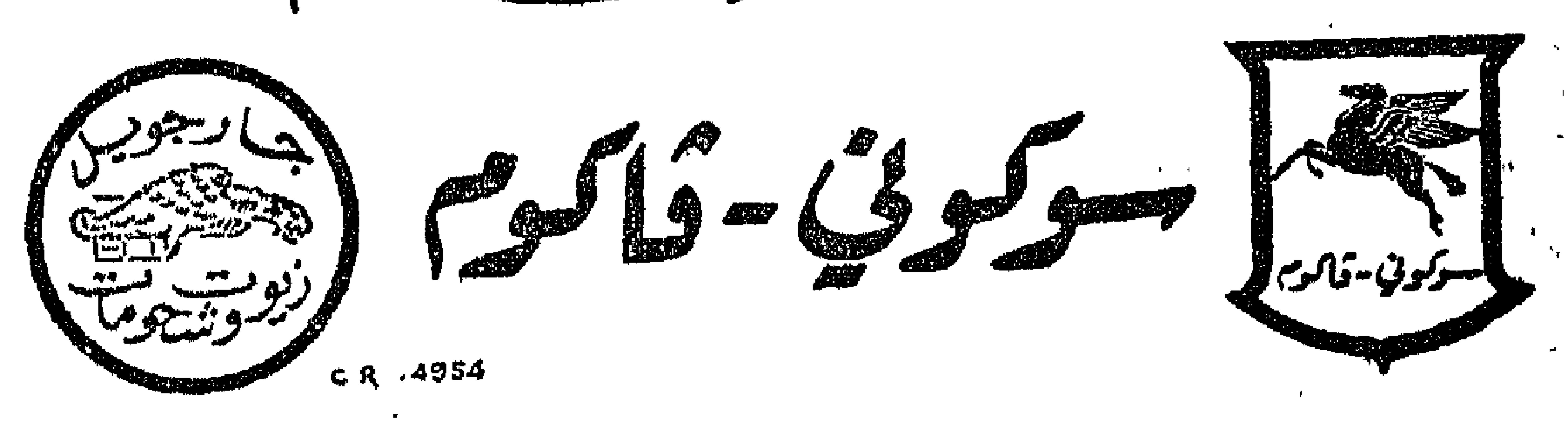
من صميم الحياة

كانت مقتنعة بأن ابنها لم يكن القاتل — ولكنها لم تكن تملك برهاناً على ذلك ، ولا مالاً للبحث عن البرهان . هذه قصة حقيقية عن أم ظلت سنين تمسح أرض الحجر في المكاتب حتى استطاعت أن تعرض مكافأة قدرها ٥٠٠٠ ريال لمن يقدم لها الدليل — وإذ المعجزة تحدث عن طريق إعلان صغير في الإعلانات المبوبة .

لماذا تسير السيارات سيراً منظماً بواسطة زيوت موبلويل

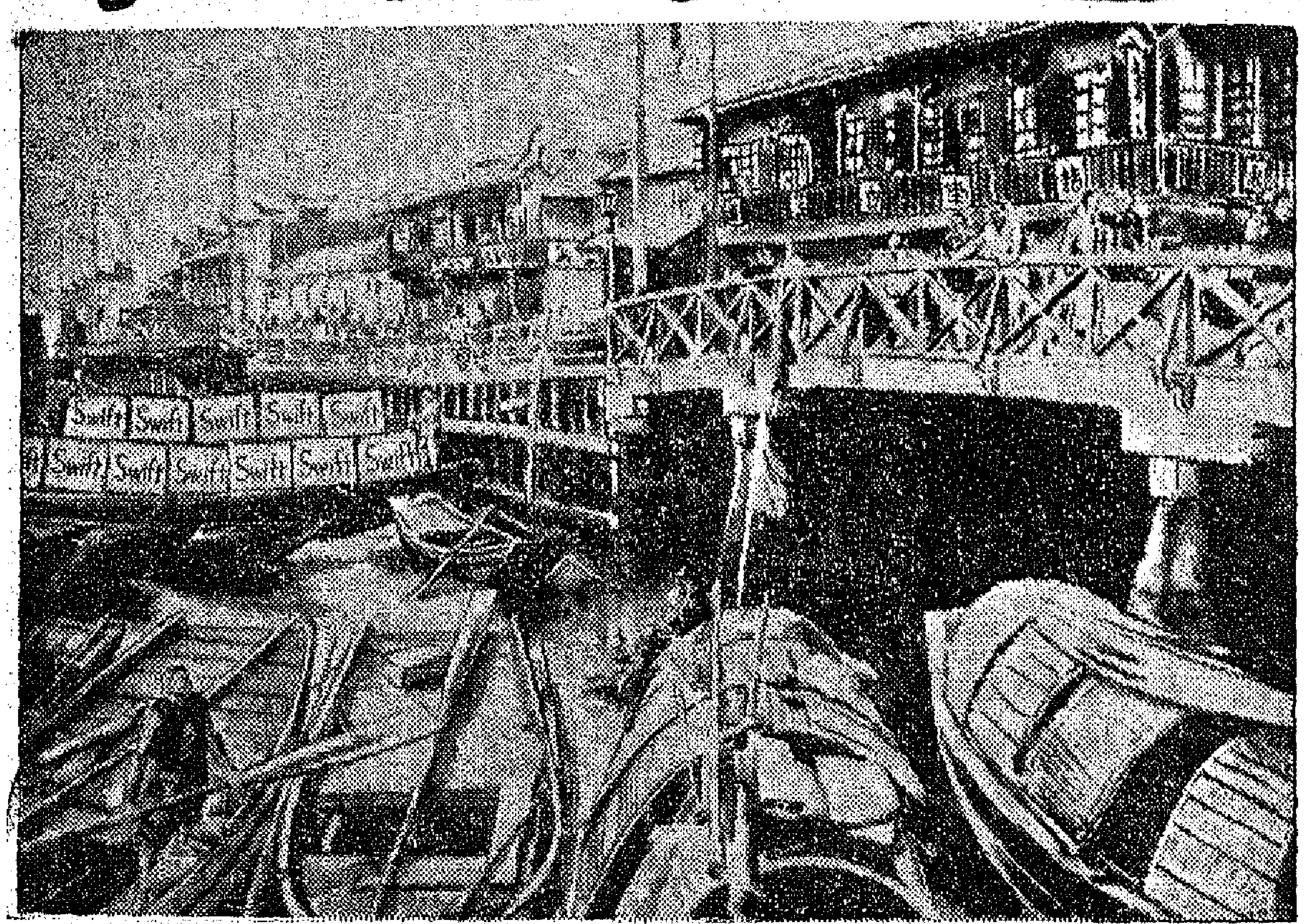


إنك تحصل بواسطة هذه الزيوت الفاخرة على حماية أجدى لسيارتك ويصبح قيادها أسرع وأسهل كما يقل استهلاكها من البنزين. وتستند شهرة زيوت موبلويل الى ٨٠ عاماً من الأبحاث والخبرة. وان معاملنا الجبارة للأبحاث الكيمائية ولتكرير الزيوت ومنتجاتنا الفاخرة ونظامنا للتوزيع في جميع أنحاء العالم وخدماتنا الفنية - كل هذه العوامل مجتمعة كفيلة بأن تضع شركة سوكوني - ڤاكوم في طليعة منتجي المواد البترولية في العالم !!



C R .4954

غـــذاء أفضـــل لعـــالم أفضـــل



موانئ بعيدة

ننج بو فى الصين ، كراتشى فى الهند ... موانىء بعيدة فى بلاد بعيدة ... ولكن مؤسسة « سويفت » ، تبلغها جميعاً بواسطة ما أقامته من نظام عالمىّ للتوزيع وبفضل « سويفت » تستمتع ملايين من المستهلكين بالطعام المغذّى اللذيذ. ومؤسسة « سويفت » تستطيع بما لها من التنظيم الدقيق الواسع النطاق ، والخبرة العظيمة ، أن تلبي حاجة كل سوق ، وتعطى أهل كل بلد مايفضلونه من أنواع وألوان ، وتجعل منتجاتها صالحة لجوّ كل إقليم . وكذلك ترى أن ماركة « سويفت » تعنى ، فى نطاق الأسعار المعقولة ، نقاء وجودة وذوقاً ممتازاً لجميع المستهلكين فى جميع أرجاء الأرض .

Swift

شركة سويفت الدولية

مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأروجواى

توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

INTERNATIONAL SWIFT COMPANY
Av. Corrientes 389, Buenos Aires, Rep. Argentina



Coca-Cola
Coca-Cola
تذكر!
إذا أردت شيئاً
لذيذاً مرطباً
اشرب
كوكا كولا
مثلجة



معجون الأسنان ليسترين
ينظف لك أسنانك
ويجعل فمك أطيب طعماً،
أيضـــاً!
LISTERINE
TOOTH PASTE
معجون الأسنان Listerine مركب من
١٤ عنصراً ، وهـذه العناصر قد أحكم
انتخابها وجعلت مقاديرها دقيقة التوازن
حتى تهيء للأسنان أقصى حد من
اللمعان والنظافة دون أن تلحق بمينا
الأسنان أدنى ضرر . إن معجون
Listerine يترك فمك أكثر نضارة وأشد
نظافة وأطيب طعماً . جربه اليوم !
E.26


من مصانع « كاسونز »
بمانشستر (إنجلترا) خرجت
أحدث الروائع فى أنواع
«أحمر الشفاه» البريطانية فى
خمسة ألوان جديدة . وقد
روعى فى صنعها أن تكون
ممتازة فى مادتها ولونها ،
فهى تحتل اليوم مكان الصدارة
فى صالونات التجميل فى
جميع أنحاء العالم .
Cussons أحمر شفاه
73 GROSVENOR ST. LONDON W. 1. ENGL

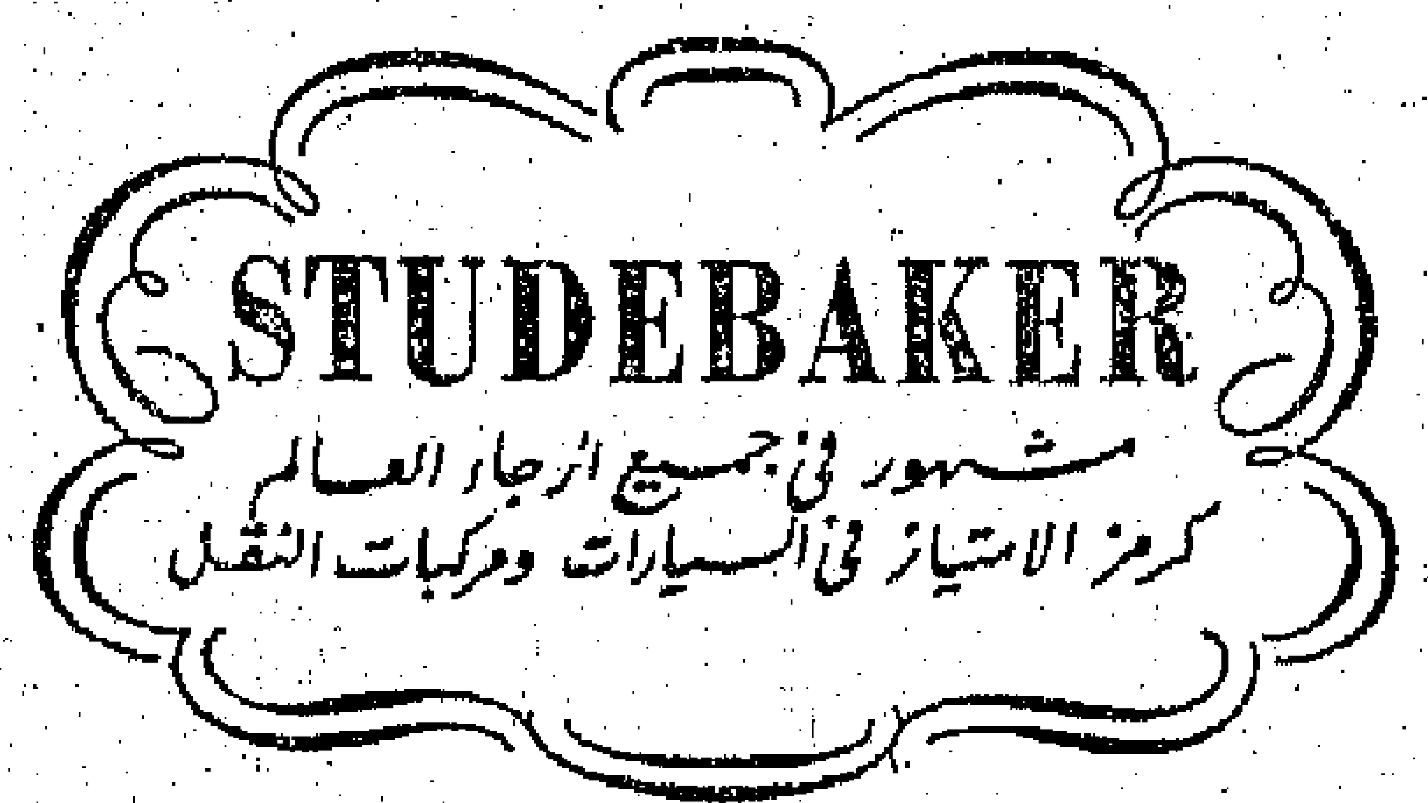
ترمقك الأنظار بالغيرة عندما تقود هذه الجديدة الرائعة، ستوديبيكر

ألا تستطيع أن تتصوّر نفسك مزهوًّا وأنت تسوق أول سيارة حقة صنعت وامتحنت امتحاناً تامًّا بعد الحرب ؟

ألا تستطيع أن تتصور كيف يُهرَع الناس إليها لكي يعجبوا بها حيث تقفها ؟

إن شكلها الذى يختلف اختلافاً جريئاً عما سواها ليس سوى مزية واحدة وحسب من المزايا الكثيرة التى تميز سيارة «ستوديبيكر ١٩٤٧» ، إنها حقًّا معجزة هندسية فى ما تتصف به من راحة حين تركبها ، ويسر ومرونة حين تقودها . وترى مقاعدها العريضة المنجدة أفخر تنجيد ، تبلغ من السعة مبلغاً عجيباً .

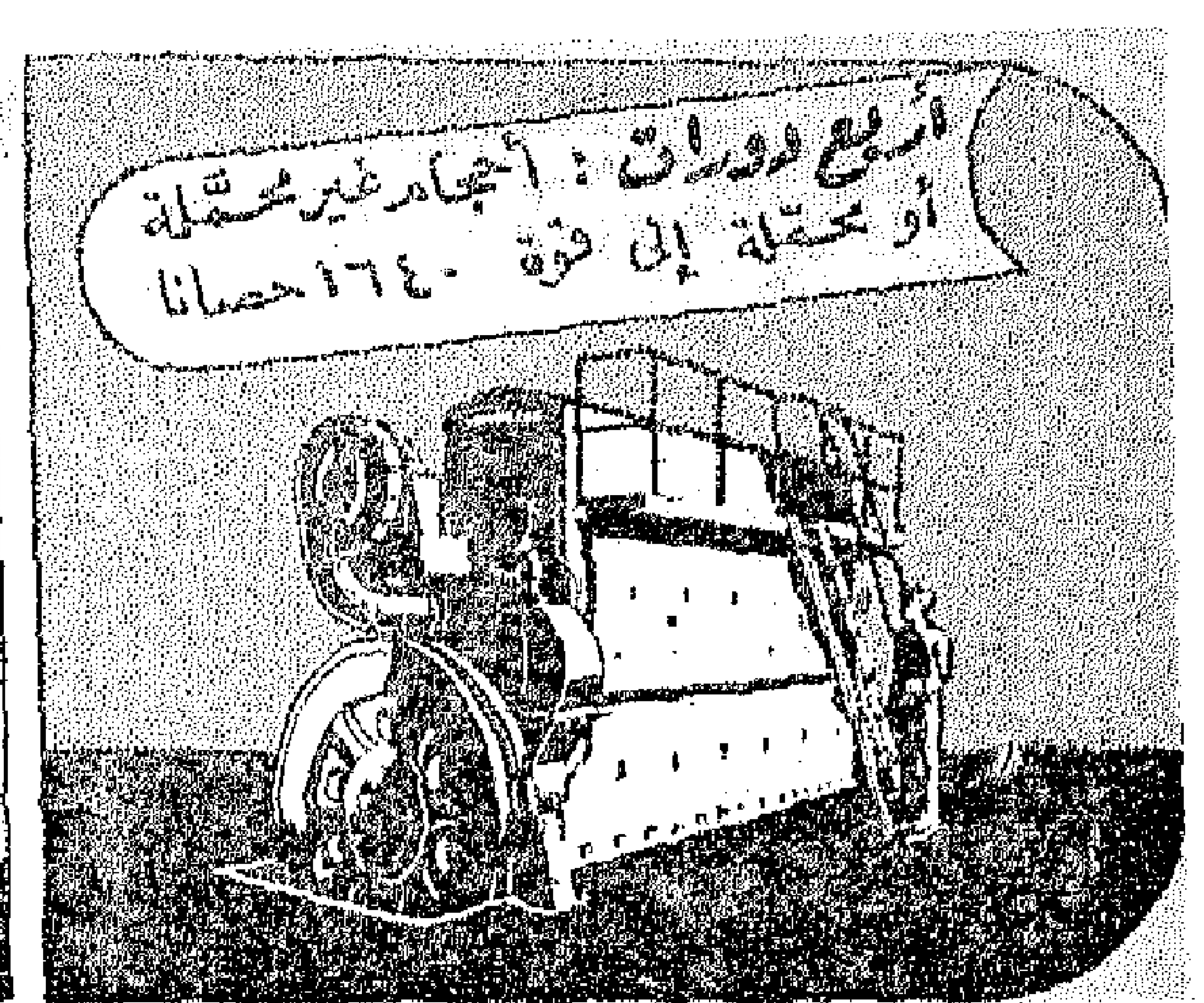
فلا ترضَ ، حين تشترى سيارتك التالية ، بشىء أقلّ من هذه السيارة العظيمة . وقلْ للوكيل الذى تعامله إنهُ يسرُّك أن تنتظر حتى يصير قادراً أن يلبى طلبك بسيارة «ستوديبيكر ١٩٤٧» السبّاقة الحديثة .

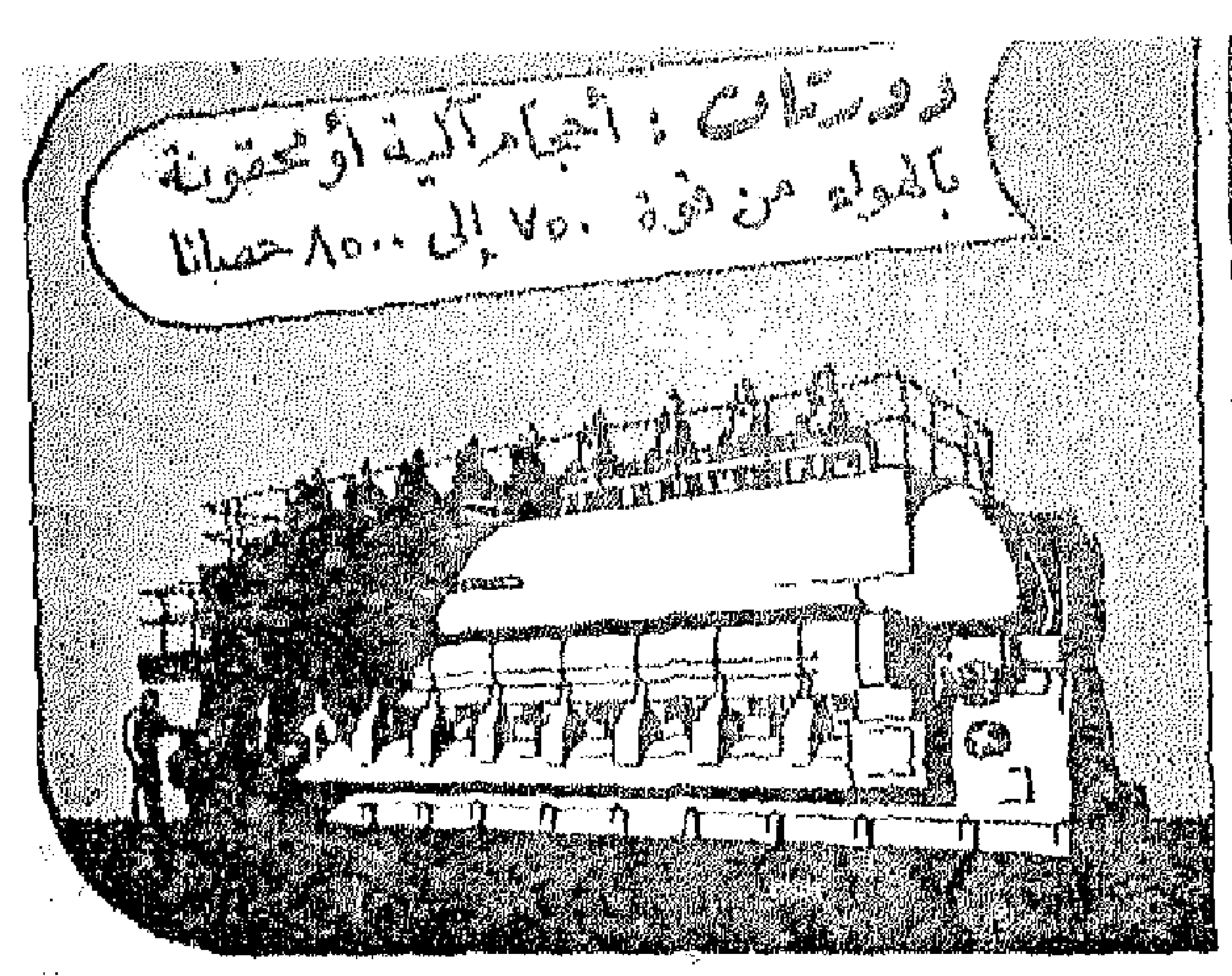


THE STUDEBAKER EXPORT CORPORATION

SOUTH BEND, IND., U.S.A.

Cables: STUDEBAKER





نوردبرج ديزل محركات تؤدي عملها أداءً اقتصاديا
سواءً بوقود الزيت أو الغاز

كن على ثقة من أنك ستظفر بأكبر فائدة من وقودك بتركيب قوة « نوردبرج ديزل » ومهما تفاوتت أنواعه من الثقيل إلى الغير الجيد ، إلى الغاز الطبيعي ، فستجد إحدى آلات « نوردبرج ديزل » صالحة للانتفاع بهذا الوقود أتم انتفاع ، مع توليد القوة اللازمة بنفقات بخسة قاما تجارى .

ويسرُّ ممثلينا أن يزوّدوك بما تريدهُ من التفاصيل عن هذه الآلات الاقتصادية التي يعتمد عليها

في القطر المصرى والسودان ، الحبشة ، شرق الأردن ، فلسطين ، تركيا ، قبرص ، سوريا ولبنان

شركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة
٤١ شارع صفية زغلول ، بالإسكندرية
٢١ شارع سليمان باشا ، القاهرة

العراق : **الشركة العراقية للملاحة ليمتد**
٢٨٢/٩ شارع المنصر ، بغداد
وشارع الملك فيصل ، البصرة

الحجاز : **أميريكان إيسترن كوربوريشن** ، جده

إيران : **أميريكان إيسترن ، ش . م . إ ، ٩٢٦** شارع شاه ، طهران ، وبناء نادى البحرية الأمريكية سابقاً ، خورامشاهى

NORDBERG MFG. Co. Milwaukee, Wisconsin, U. S. A.

NORDBERG ماكينات ديزل

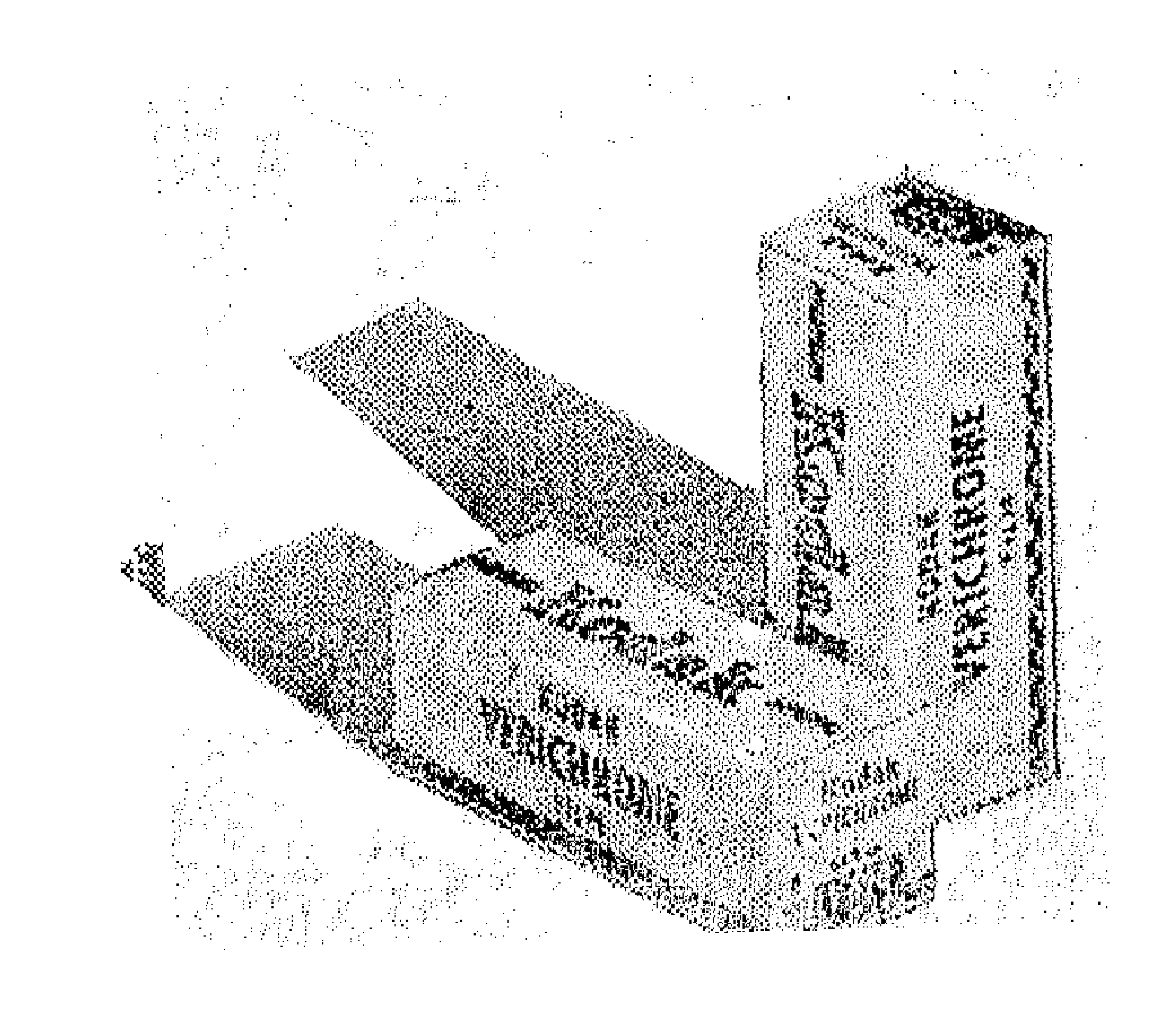

Kodak

... باللغة العـــربيـة هى : " زهـــرة "

... باللغة الإنجـــليزية هى : "a flower"

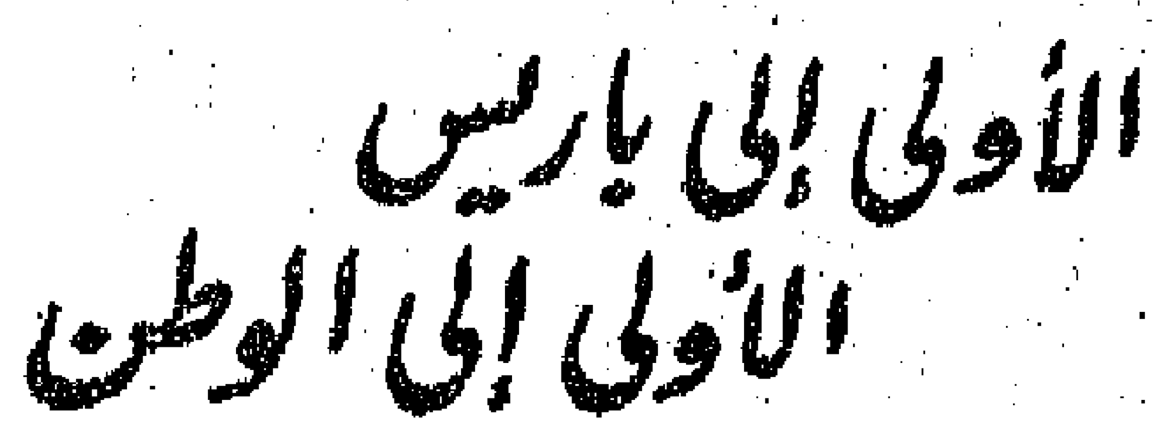
... بلغـة جزائر هواى هى : "he pua"

ولـكنك تجد فى جميع
لغات الأرض كلمة واحـدة
تدلّ على كلّ مايلزم لالتقاط
الصور ، من أفلام ، وآلات
تصوير ، ومعدات وأدوات
هى كلمة : *Kodak**



Kodak* ماركة قديمة سجّلتها منذ ٥٩ سنة شركات « كوداك »
والشركاتُ المنتمية إليها ، و « كوداك » لهـا هيئة عالمية من الوكلاء والموزعين .
تيسر لـكل إنسان أن يظفر بمنتجات « كوداك » فى أنحاء الأرض .

EASTMAN KODAK COMPANY ROCHESTER, N. Y., U. S. A.



الأولى إلى باريس
الأولى إلى الوطن

إن طيرانك بطائرة « كونستيليشن » بين باريس وسائر عواصم العالم يتيح لك : سرعة أعظم — فلا تجاريها طائرة سفر في سرعتها . وراحة أتم - فإذا ارتفعت في الأطباق العالية أصبت يسراً وراحة وأنت في جوفها الذى ضبط فيه الهواء حتى تصير كأنك فى جو عادي . وأمناً أعظم — فقوة محركاتها أكبر من قوة محركات أية طائرة نقل أخرى . احجز مكانك بواسطة مكتب سفر ، أو مكتب خط جوى كبير، واستوثق من أن تذكرتك كتب عليها : « كونستيليشن » — فليس ثمة سوى طائرة واحدة بين الطائرات، هى فى منزلة الزعيم .

Lockheed Constellation

تمتع بطائرة لوكهيد كونستليشن أولى الطائرات العالمية
فى السرعة والراحة والأمن

الحـــرارة تصنـع الثـلج

فى ثلاجـــة معجـــزة



إن ثلاجة «سرڤيل» تولد توليداً مستمراً ، البرد الذى يحفظ الطعام ، ومكعبات الثلج ... وذلك بغير آلات معقدة .

« إن نظام سرڤيل » للتبريد والتجميد ، يختلف اختلافاً أصيلا عن غيره ، فترى فيه لهباً صغيراً يولد المادة المبردة التى تنتج البرد والثلج . وهذه المعجزة العلمية تتيح التبريد على أفضل مثال ... بغير آلات متحركة معقدة ، تبليها الحركة . ونتيجة ذلك أن ثلاجة « سرڤيل » المشهورة تظل هادئة لا صوت لها .. ومدى حياتها أطول ... ونفقة صيانتها أقل .

ولما كانت هذه الثلاجة المعجزة تعمل بالغاز الصناعى أو الكروسين ، أو الغاز المعبأ فى خزانات ، فأنت ترى أن الأسرة فى أى مكان تستطيع أن تظفر بشراب مثلج وفاكهة لذيذة مبردة ، وبصيانة طعامها دائماً من الفساد .

وتجد اليوم أكثر من ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ ثلاجة « سرڤيل » لينتفع بها الناس فى جميع أرجاء الأرض والتقدم الحديث فى توزيع الوقود سيمكن عدداً أكبر من البيوت والمخازن والمستشفيات أن تظفر بثلاجات « سرڤيل » التى تعمل بالكيروسين أو الغاز المعبأ .

الثلاجة المعجزة

Servel سرڤيل

International Division, 51, East 42nd Street, New York City 17. N.Y., U.S.A.

منتجات الصلب
لأجل السكك الحديدية



إن شركة « بثلهيم ستيل » تجهز السكك الحديدية بمجموعة من المنتجات الأساسية، وجميعها لاغنى عنها فى أعمال السكك الحديدية الحديثة السريعة. ونرى بين أهم هذه المنتجات، العجلات والمحاور ومركبات الشحن، والأشياء الخاصة بخطوط السكك الحديدية، وألواح الفزانات.

وشركة « بثلهيم ستيل » - إحدى كبريات الشركات التى تنتج الصلب فى العالم - تقدم أيضاً منتجات من قبيل الأسلاك، والمواسير والألواح، والصفائح، والصلب اللازم لأدوات السكك الحديدية، والصلب الخاص ببناء الطرق وغيرها.

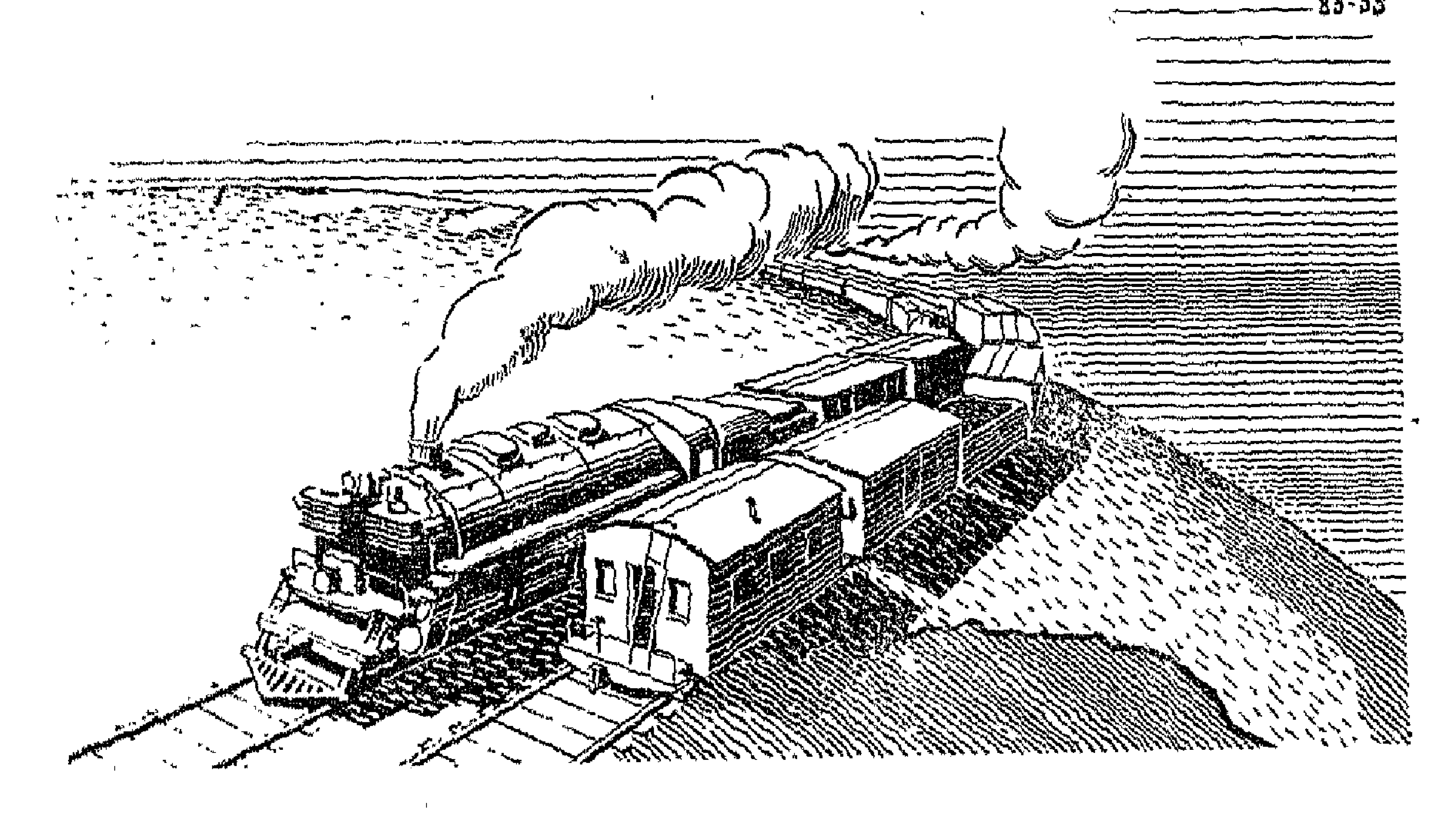
إن مصنع « سباروز بوينت » العظيم التابع لشركة « بثلهيم »، هو مصنع الصلب الوحيد فى الولايات المتحدة، المشيد على حافة ماء السد. فالرسائل المعدة للاصدار تنقل رأساً من المصنع إلى السفينة فتقل بذلك الأضرار المحتملة التى تصيب المنتجات من جراء تكرار مرات الشحن.

Bethlehem Steel Export Corporation

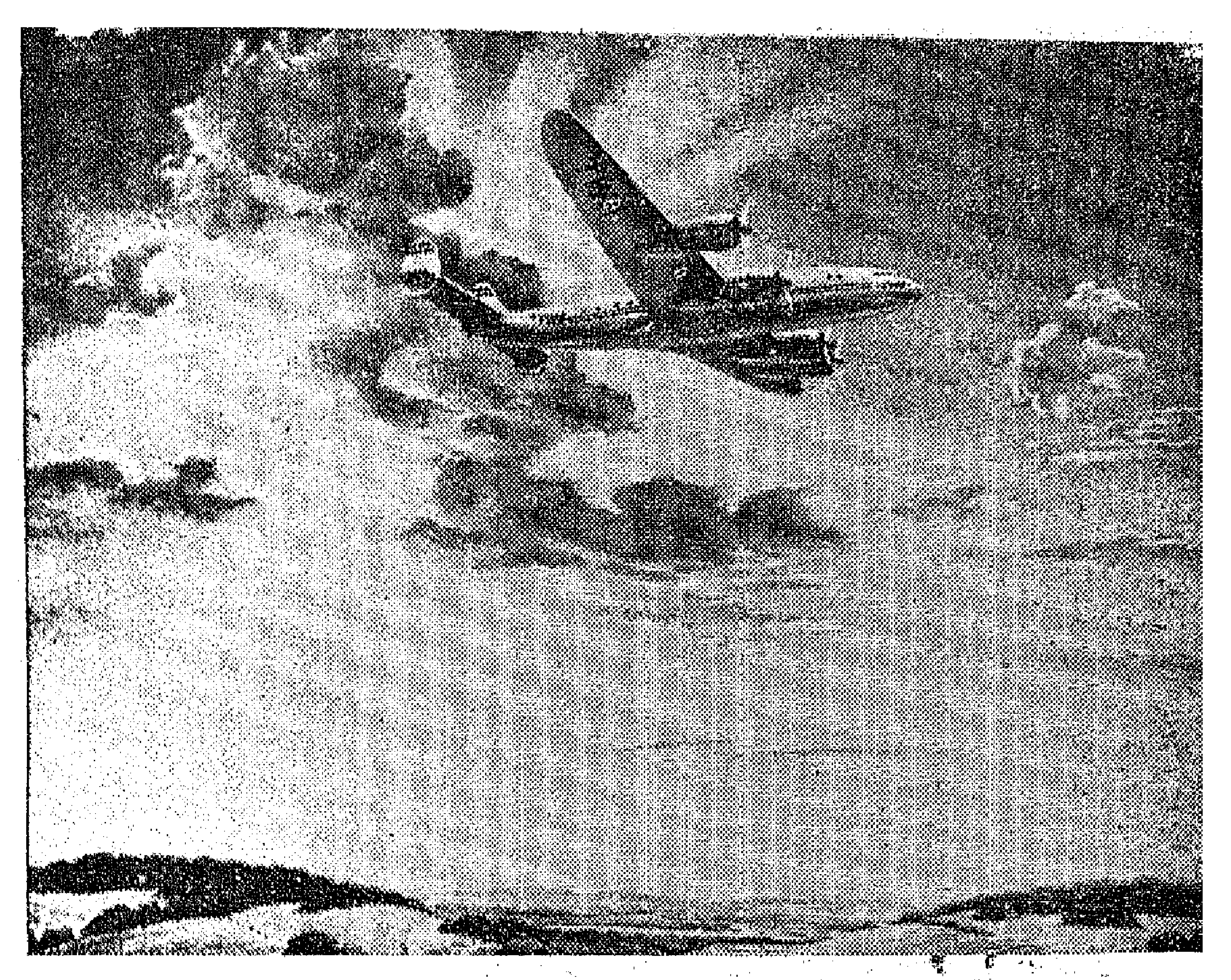
25 Broadway, New York, U.S.A.

الوكلاء. فى القطر المصرى: **شركة الدلتا التجارية، ش. م. م**. فى العراق: **ستانلى شعشوعة**. فى فلسطين: **رفائيل ملتز**. فى سوريا ولبنان: **مشيل صناوى وولده**

85-58




پاركر
"٥١"
إن قصبتهُ المصنوعة من مادة « لوسيت »
التى أتمن عملها وصقلها باليد ، لهى قطعة من الجمال الرائع
ولن تجد فى جنسها كبّاساً لملء القلم بالحبر ،
يشوّه رشاقتها وجمالها. ولكن لهذا القلم
مزايا كثيرة ، سوى مزية الجمال. فالغطاء — وهو خاص
بقلم « پاركر » دون غيره — يلبس القلم
لبساً بغير أن تديرهُ وتفتلهُ. ثم إن « پاركر ٥١ »
هو وحدهُ الذى صُمِّم وصُنع لكى يستعمل استعمالا
مجدياً مرضياً ، حبر « پاركر ٥١ » أسرع
ضرب الحبر فى العالم إلى الجفاف . فالكلمات
تجفُّ وأنت تكتب .
THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis., U. S. A.
كتابة جافة بمداد سائل !



صداقة فى أعلا مستوى

إن شركة .T.W.A ، بإنشائها خطوطا جوية عالمية حول الأرض ، تسدى يداً إلى توثيق أواصر الصداقة بين الشعوب فى ٢٣ بلداً متباعداً فى أوربة وآسية وإفريقية وأمريكا الشمالية

وقد ساهمنا فى توثيق أخوة التفاهم العالمية ، علايين من الأميال فى الطيران بين الأمم ، وكسبنا أصدقاء جدداً مع كل ميل قطعه طائراتنا

رحلات مباشرة
مصرح بها بين :
الولايات المتحدة . نيوفوندلاند
ايرلندة . فرنسا . سويسرا
ايطاليا . اليونان . مصر
فلسطين . شرق الاردن . العراق
الحجاز . اليمن . عمان
الهند . سيلان . البرتغال
اسبانيا . الجزائر . تونس . ليبيا

TWA
TRANS WORLD AIRLINE

مع أسرتى ، وهو أن مجلة المختار هى الوسيلة النافعة لتهذيب الناس فى البلاد العربية ورفع مستوى ثقافتهم ، فهى لهم كالجامعات والمعاهد العالية لخاصة طلاب العلم .

محمد جلال محمد : صحفى ، الفار مركز الزقازيق — المختار مدرسة عالمية جامعة ، توفر عليك المال والوقت والجهد ، تهديك إلى العيش الحرّ الكريم ، وتفهمك الحياة الناهضة المتحفزة ، لا تعترف باليأس ، ولا تقرُّك على أنّ هناك ما يسمى مستحيلا . وأنا لا أسمح لأحد أن يقرأ نسختى حتى أحتفظ بها نظيفة ، وحتى أدفع غيرى لشرائها .

صبحى المحمصانى : مستشار محكمة الاستئناف فى بيروت ، الجمهورية اللبنانية — أودُّ أن أشير إلى ناحيتين خاصتين من نواحى المختار : إحداهما النظرة العالمية التى تطلع قرّاءها على آفاق واسعةٍ أبعد من محيطهم الضيق الذى يعيشون فيه . والثانية هى روح التفاؤل والابتهاج التى تتجلى فيما تعالجهُ من الموضوعات . فهى وإن كانت تدعو إلى مبادىء الطموح والاندفاع ، لكنها تعنى أيضاً بما يعتور هذه المبادىء من عقبات ، وبما تنبغى معرفتهُ لأجل مكافحتها أو تقبُّلها عن رضى وثقة واطمئنان . فإذا مال الزمان ، وبرز وجهه الكالح العبوس ، وظهرت على ضحاياهُ آثار الوهن النفسى أو الضعف الجثمانى التى تطفىء جذوة الأمل فى القلوب ، كما هى فى نوائب المرض واليأس والتشاؤم ، فعندئذ تكون الحاجة أشدّ ما تكون إلى ما يجدهُ القارىء فى المختار من علاج علمى ومعنوى ، وإلى هذه الأشعة التى تنير ظلمات النفوس وتبدّد غيوم الحياة .

AL MUKHTAR min Reader's Digest—Vol. 7, No. 41, JANUARY 1947.

رؤساء التحرير : ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس — سكرتير التحرير : كنيث باين .
مدير التحرير : ألفرد داشيل — المدير العام : أ . ل . كول . — المدير المساعد : فرد طمسون .
مدير الطبعات الدولية : باركلى أتشيسون — المدير المساعد : مارفن لوز .

الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة ولم ف . جيلسبى .
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش ، الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن
والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ،
وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .

العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

مطبعة مصر

لم يؤثرون المختار

السيدة نجلاء حرم سليم صعب : من طلائع النهضة النسائية وحركة الإصلاح في لبنان — إننا ننتظر المختار في بيتنا ، فإذا أقبل علينا أقبلنا عليه نقرأ ما فيه ونجوب بلاد الأرض في حواشيه ، ونقلب مختلف الآراء ، ونشرف في فصوله على مختلف الموضوعات ، وهي على تباينها مختارة لما يعني الناس أمره ويلذ لهم الاطلاع عليه . وأفضل ما في قراءته أننا في البيت نتداول ما فيه ، وينبه بعضنا بعضاً إلى أبحاثه وما ورد فيها من طرائف وفوائد ، كأنما هو ينبه الفكر فضلاً عن أنه يغذيه ... وقد أصبحنا نفتقد المختار إذا تأخر عنا ، كأنه في سهراتنا شيخ الجلسة ... وخير ما أحمده في طريقته أنه يقتطف دون أن ينتقي انتقاء الهوى ، بل انتقاء من يريد أن يعطي مثلاً صحيحاً عن تيارات الروح والفكر واتجاهات الاقتصاد والسياسة ، ويصورها تصويراً ينعكس عن دنيا الواقع ، وفي دنيا الواقع روعة لا تحتاج إلى خيال .

الدكتور ابراهيم عاكف الألوسي : وزير المعارف سابقاً في العراق ، عضو مجلس النواب العراقي ، أحد ممثلي العراق في مجلس الجامعة العربية — كنت في رحلة تفتيش فوصلت إلى بلدة في شمال العراق تدعى « تلعفر » ، يبلغ عدد سكانها نحو عشرة آلاف ، فدخلت حجرة أقيمت هناك ، وقد ركبت فيها مضخة ترفع الماء لينتفع الناس به في الري والشرب ، وكان عليها عامل يتولاها ، فرأيت المختار على مقربة منه ، فعجبت وقلت له دهشاً : « المختار ! » فقال : « نعم إنها مجلة نفيسة وأنا مداوم على مطالعتها منذ صدرت ، وقد احتفظت بجميع أعدادها » . فسرني ما رأيت وما سمعت من العامل ، لأنه عزز رأيي الذي انتهيت إليه بعد مطالعتها

[التتمة على الصفحة السابقة]